محمد يونس هاشم

اليهود والصليبيون الجدد

الدجل الديني والسياسي

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

- الرد على الأساطير الصهيونية :
  - الأرض الموعودة .
  - شعب الله المختار .
  - قصر السامية على اليهود وحدهم .
  - عداء الأغيار لليهود .
  - الخلاص في آخر الزمان .
- حقيقة العلاقة بين الغرب المسيحي واليهود .
- حقيقة تنبؤات نوسترا داموس .
- حقيقة السياسة الأمريكية .
- موقف العرب حكاما وشعوبا من هذا الصراع .

العنوان : اليهود والصليبيون الجدد(الدجل الدينى والسياسى)
المؤلف: محمد يونس هاشم
الطبعه : الثانيه(٢٠٠٩)
رقم الايداع: ٢٠٠٤/١٩٣٤٧
الترقيم الدولى :I.s.B.N٩٧٧-٦١٢١-٤-٧
الناشر : دار الابداع للصحافه والنشر والتوزيع
العنوان : ٩٥٣كورنيش النيل ـ مصر القديمه
البريد الالكترونى:darelebdaa@hotmai.com
تليفون : ٢٥٣٢٦٧٤٤ـ ٢٥٣١٢٣٢١
ـ ٠١٠٦٦٣١٥٨٤ ـ ٠١٠٢٥٩٢٨٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وكفى وسلام على الذين اصطفى ، الحمد لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وما كنَّـا لِنَهْتَدِيَ لولا أَنْ هَدَانَا الله ، الحمد لِلَّهِ الَّذِي له مَا فِي السَّموات وما فِي الأَرْضِ ولـه الحمد فِي الآخِرةِ وهو الحكيم الخبير .

الحمد لله أن نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في شهور معدودات ، الحمد لله أن تقبلها الكثيرون بقبول حسن ، الحمد لله أن ساهم هذا الكتاب في تغيير كثير من الأباطيل التي يشغب بها الجهلاء ، وأدعياء العلم على الحقائق الدينيـة الناصـعة الغراء ، وعلى قراءة الواقع بوعي وفهم لا كما يفهمه الغوغاء والدهماء .

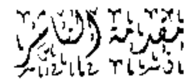
الحمد لله أن اكتسب الكتاب تأييد بعض النخب المثقفـة الواعيـة ، والمؤسسة السياسية المشتغلة بقضية الصراع العربي الإسرائيلي .

ولكل دعاة الحق والراغبين في الفهم نقدم الطبعة الثانية مـن كتـاب " اليهـود والصليبيون الجدد " هذه الطبعة المزيدة المنقحة التي أخذنا فيها بعين الاعتبار كـل المناقشات والحوارات التي دارت حول الكتاب من إضافات مثمرة ، وانتقادات بناءة فشكرا لكل من أهدوا إلينا أخطاءنا في هذا الكتاب ، وشكرا لكل من نـاقش هـذا الكتاب بالسلب أو الإيجاب .

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

محمد يونس هاشم

٢٠ / ١٢ / ٢٠٠٨



الحرب مع اليهود ليست وليدة اليوم بل هي قديمة ومستمرة تأخذ أساليب مختلفة : منها الإشاعات ، والحروب النفسية ، وحروب التشكيك في الدين ، وحروب الاتهامات ، وغير ذلك من الحروب الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية .

واليهود لا يتوفون عن استخدام أسوأ سلاح في مواجهة أعدائهم فيستخدمون النساء ، والجنس ، والمخدرات ، والرشاوى ، والدسائس ، ودس السموم في الأطعمة ، والأشربة ، والمزارع والمياه ، وكل شيء لأن الأساس عندهم كما يحكي القرآن الكريم قولهم : { لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ } والأميون هم غير اليهود كما يقولون .

فماذا يقول اليهود عن السلام ؟ اليهود قانعون في سرائرهم بعدم جدوى السلام مع العرب كما يقول جبري فالويل : " بالرغم من التوقعات الوردية وغير الواقعية من جانب حكومتنا بشأن اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل فإن هذه المعاهدة لن تدوم طويلا " .

وعندما رشّح ريجان نفسه عام ١٩٨٠ قال : " إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي نستطيع الاعتماد عليها كبقعة ستحدث فيها معركة مجدو " ويرى اليهود أن معركة مجدو هي المعركة الفاصلة بين أهل الخير (اليهود) وأهل الشر . ومجدو أرض في فلسطين يسمونها بهذا الاسم على بعد ٥٥ ميلا من تل أبيب .

هذا عن رؤيا اليهود للسلام المزعوم فماذا نقول نحن ؟

يكشف القرآن الكريم أن الصراع بين المسلمين واليهود مستمر ، وذلك حسبما ورد في صدر سورة الإسراء : { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ

عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) } .

وتوضح السنة النبوية هذا الصراع بقوله ﷺ : " لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ " .

فحقيقة المعركة إذن ليست فلسطينية ولا عربية ولا شرق أوسطية ، وليست نزاع أرض إنها معركة دينية بين الإسلام واليهود فهي معركة دينية في أبعادها .

معركة دينية تمسك فيها اليهود بكل ما عندهم من التوراة المحرفة ، والتلمود الذي وضعوه بأيديهم ، والبرتوكولات التي هي من صنع الحاخامات . بينما تخلى المسلمون عن دينهم الحق في هذا الصراع فصورت لهم المعركة على أنها أرض مقابل السلام ، وأن القدس عربية ولأنه لأمر عجيب أن يحذف المجلس الوطني الفلسطيني من أوراقه العهد الذي أخذه على نفسه بتدمير إسرائيل بناء على طلب إسرائيل ، بينما تتمسك إسرائيل في الكنيست بلوحة رسمية كتب عليها " من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل " ألا يعني ذلك تدمير مصر ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، وجزء من السعودية .. فلماذا لم تحذف إسرائيل مقابل ذلك لوحتها ؟ أو لم يطالبها أحد بذلك ومع ذلك فما تزال الأصوات تتمسك بالخيار الاستراتيجي وهو السلام ، ومازال مسلسل تقديم التنازلات مستمرا .

فهل وصلنا إلى هذه الدرجة من المهانة أم أن شخصيتنا قد مسخت فلا ندري ما نقول ، و لا ما نفعل ؟

فأرض فلسطين وقف إسلامي ليس لأحد أن يتنازل عن شبر فيها ، ولا يفاوض حول حبة تراب منها فمَن هذا الذي يعطي لنفسه الحق في أن يفاوض حول مسرى

الرسول ﷺ أو أرض فتحها عمر ، وخضبتها دماء الشهداء مع الأيوبي وقطز وشهداء ٤٨ وأطفال الحجارة .

ومع من يتفاوضون ؟!

مع الذين قالوا لله سبحانه وتعالى : { سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا } مع الذين قالوا لنبيهم : { أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا } مع ناقضي العهد مع رسول الله ﷺ .

ألا نقرأ التاريخ .. ألا نصدق القرآن الكريم فيهود اليوم هم يهود الأمس ، إن اليهود يرون أنهم شعب الله المختار ، ويرون أن الله خلق باقي الخلق من دواب وجعلهم على هيئة آدميين ليصلحوا لخدمة شعبه المختار ، بل يرون أن رب يهود يأمرهم بالقتل والتدمير لكل من ليس يهوديا ، ولن يستطيع اليهود أن يحققوا مآربهم إلا مع من تخلى عن رفع راية الإسلام ففي ١٩٧٣ في حرب أكتوبر المجيدة لم ننتصر إلا بقلوب قالت : الله أكبر .

إن أطفال الحجارة من حماس وغيرها في فلسطين الحبيبة علموا اليهود حقيقة الجهاد . فما أحوجنا إلى ، قلب عمر ، وعقل صلاح الدين ، وسيف قطز نقاتل به اليهود ، وهذا قادم لا محالة مهما خدعنا المخدوعون وسار في طريق مصالحتهم المفترون والخائفون .

كثيرة تلك الكتب التي كتبت عن اليهود وممارساتهم الوحشية ، وكثيرة تلك الكتب التي كتبت عن أمريكا وهيمنتها الاستبدادية ، لكن يلاحظ أن أغلب هذه الكتابات تفتقر إلى المنهج العلمي في طرح الموضوع ، فمعظم ما يكتب في هذا الموضوع يغلب عليه التعميم العاطفي الانفعالي ، فالأفكار سطحية جزئية مستهلكة ، لا تبحث تحت الجذور ، ولا تنظر نظرة شاملة موضوعية لقضية الصراع العربي الصهيوني ، ولا تحلل الواقع تحليلا دقيقا فلا تكاد تخرج عن ثرثرة الناس في العمل وعلى المقاهي .

أما كتاب " اليهود والصليبيون الجدد " فينهج فيه الأستاذ محمد يونس نهج التحليل المنطقي العقلاني برؤية إسلامية معاصرة فيحلل الموضوع إلى عناصره الأولية ،

وينقب عن كل عنصر ، ويناقشه مناقشة علمية هادئة ، ثـم يعيـد تركيـب هـذه العناصر في منظومة تحمل رؤية شاملة متميزة مغايرة لكثير من الأفكار الـشائعة التي تلوكها الألسن صباح مساء .

ويسر دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع أن تساهم في إعادة تشكيل الـوعي العربي تشكيلا يمكنه من تجاوز المحنة الراهنة ويـضعه علـى طريـق التقـدم والتحضر الذي هو أهله ، بدلا من ترديد الشعارات الجوفاء ، والاكتفـاء بالـدعاء على الأعداء ، وذلك من خلال نشر هذا الكتاب .

د / هـــدى الكـــومى

رئيس مجلس الإدارة

محررة عسكرية بالإعلام العسكرى

عضو إتحاد الناشرين

عضو إتحاد الكتاب

مقدمة المؤلف للطبعة الأولى

مع اقتراب نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة ظهرت حمّى دينية غربية تؤكد اقتراب يوم القيامة ، وتبارى الكتاب في تأليف الكتب لتأكيد ذلك وجعلوا مسرح أحداث نهاية العالم فلسطين ، وفسروا جميع الأحداث التي جرت في حرب الخليج وما بعدها من حروب شنتها الحكومة أمريكية على أفغانستان والعراق بأنها من علامات يوم القيامة ، وهي مقدمات الهرمجدون إن لم تكن هي الهرمجدون نفسها التي جاء ذكرها في الإنجيل في سفر الرؤيا ، وأن العالم أوشك على الفناء ، وأن المسيح المخلص أوشك على الظهور .

في البداية كانت كتبا دينية مسيحية بروتستانتية تبشيرية غربية روّج لها المبشرون ليؤكدوا أن نبوءات الإنجيل تتحقق ؛ وليجدوا مادة يخدعون بها المفرغون روحيا ، والمهووسون بالغريب ، و بأفلام الرعب التي كثرت في الآونة الأخيرة كثرة طاغية .

وتلقف الساسة الأمريكيون و الإنجليز هذه النبوءات وأشاعوها في مجتمعاتهم ؛ ليكسبوا تأييدها في مخططاتهم الاستعمارية ، و ليضفوا صفة الشرعية الدينية على أعمالهم الإجرامية مستغلين جهل شعوبهم بالدين أولا ، وبالواقع الخارجي ثانيا .

فموّهوا على شعوبهم ببعض النصوص المجتزأة المبتورة من سياقها ولووا أعناق هذه النصوص قسرا لتتماشى مع مآربهم وأفكارهم الخبيثة فإن كان سفر زكريا – في التوراة – تحدث عن معركة (الهدرمون) التي وعد الله فيها يهود السبي البابلي بالعودة إلى أورشليم ، وتحقق هذا الوعد على يد قورش الفارسي سنة ٥٣٨ ق . م ، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بعلامات يوم القيامة – كما سنبين – فإن بعض رجال الدين المُحْدَثين – من اليهود والمسيحيين البروتستانت الغربيين وبعض من يزعمون أنهم مفكرون إسلاميون – يرون أن معركة الهدرمون آتية في غضون شهور وعلى أقصى تقدير في بضع سنين .

وإذا كان سفر الرؤيا – في الإنجيل – تحدث عن معركة (الهرمجدون) على أنها إحدى علامات الساعة الكبرى التي تُسْبَق باحتراق ثلث الأرض ، وثلث الشجر ،

وبتَحَوُّل ثلث البحار إلى دم ، وموت ثلث الكائنات الحية ، وموت ثلث الناس بسبب تلوث مياه الأنهار ، وحدوث ضربة لثلث الشمس ، وثلث القمر ، وثلث النجـــوم ، وإظلام الكون ....

إذا كان لا بد من وقوع مثل هذه الحوادث كمقدمة للهرمجدون – كما نص علـــى ذلك سفر الرؤيا – فإن بعض رجال الدين أدعياء العلم بالغيب يؤكدون أن معركـــة الهرمجدون على الأبواب ، وما هي إلا عشية وضحاها تفصلنا عنها !!

والعجيب أن الكتب التي تحدثت عن هذه النبوءات مرَّ على إصدارها سنوات ولم يتحقق شيء مما تنبئوا به والأعجب أن جماعة شهود يهوه المسيحية تنبأت بمثـــل هذه النبوءات في مطلع القرن العشرين أي منذ نحو مائة عام ولـــم يتحقـــق مـــن نبوءاتهم شيئًا !! (١)

فإذا كان لليهود والصليبيين الجدد – أمريكا وأعوانها – مـــصلحة سياســـية فـــي ترويج هذه التُرَّهات ؛ ليعيثوا في بلاد العرب والمسلمين فسادا و يتحكموا في البلاد

---

(١) قد تنبأ شهود يهوه بنبوءات أثبت الزمن فشلها. فقد ادعى رسل Charles Russel الحبر الأول في شهود يهوه أن سنة ١٩١٤ ستكون فاتحة العهد الألفي للمسيح لكن نشوب الحرب العالمية أبطل نبوءته.
وادعى أن سنة ١٩١٨ ستشهد انقراض البابوية لكنه مات سنة ١٩١٦ في حادث قطار كان ينقله من لوس انجلوس الى بروكلين ولم تنقرض البابوية.
وجاء جوزف رذرفورد (١٨٦٩-١٩٤٢) (Joseph Rutherford) وكتب كتبا كثيرة في ذم المسيحية الحالية وادعى أن المسيح سيظهر في عهده ليقضي على المسيحية الزائفة. لكن نبوءته فشلت " فضيلة الشيخ عبد الرحمان دمشقية، لبنان .
" ولكن انظر إلى هذه التواريخ التي عينتها هيئة شهود يهوه واحكم بنفسك ؟
١- حرب يوم الله القادر على كل شيء هرمجدون قد بدأت وستنتهي سنة ١٩١٤ بإزالة حكومات العالم الحالية .(الوقت قريب، صفحة١٠١، طبعة ١٩١١)
٢- المسيح رجع سنة ١٨٧٤ .(السر المنتهي ، صفحة ٣٨٢ ، ٢٩٥ ، طبعة ١٩١٧)
٣- الملك الألفي ابتدأ في سنة ١٨٧٤ (السر المنتهي ، صفحة ٣٨٦)
٤- القيامة ستحصل سنة ١٨٧٨. (لبأت ملكوتك، صفحة ٢٣٤).
٥- إن إبراهيم ، اسحق ، يعقوب ، والأنبياء الأمناء القدامى سيعودون سنة ١٩٢٥ ملايين يعيشون ألان لن يموتوا أبدا، صفحة ٨٩ ."
مراجعات النبوءات الكاذبـــة لجمعيـــة بـــرج المراقبـــة لهيئـــة شـــهود يهـــوه " الأخ جوزيـــف ســـلوم www.baytallah.com

والعباد باسم هذه النبوءات ، فما مصلحة بعض الكتاب المسلمين في تـرويج هـذه الترهات والأساطير التي كذبها الواقع وشهدت الأحداث الأخيرة بدجل أصحابها !!

إن بعض الكتاب المسلمين للأسف انساق وراء هذه الترهات وانخدع – أو شارك في الخداع – بهذا الدجل الديني والسياسي فراح بعض الكتّاب المسلمين : النصيبين الحرفيين ، أو الشيعة المتنكرين ، أو الشيعة المجاهرين ، أو المغمـورين طـلاب الشهرة ، راح كل هؤلاء يؤلفون الكتب عن علامات يوم القيامة ، وعـن المهـدي المنتظر ، والمسيح والدجال ، وملاحم يوم القيامة سائرين في نفس اتجـاه اليهـود والنصارى بل ومقتبسين من كتبهم ، ومؤلفاتهم ، ومستشهدين بكتبهم على صحة ما جاء في بعض الأحاديث عن علامات يوم القيامة ! وظهرت أسـماء كتّـاب جـدد ارتبطت أسماؤهم بهذا الموضوع وحققوا شهرة واسعة ، وربما ثراء كبيرا أيـضا من وراء هذه الكتابات ، وبعد أن كان الكلام عن علامات يوم القيامة الكبرى يشغل بعض الصفحات في الكتب الدينية القديمة ألفت فيه المجلدات .

وبعد أن كان يكتفى بالقرآن وبالأحاديث المتواترة في إثبات العقيـدة والغيبيـات استعان هؤلاء الكتاب بأحاديث الآحاد التي لا تفيد – عند الأصوليين – إلا الظـن العلمي ، بل استعانوا بالأحاديث الضعيفة أيضا تلك الأحاديث التي لا يؤخذ بها إلا في فضائل الأعمال – إن أخِذ – ولا يصح بها حكم شرعي فضلا عـن عقيـدة ، وغالى بعضهم فاستشهد بالأحاديث الموضوعة على أمور عقدية !!

أما ما لا يكاد يصدق أنه يصدر من مسلم فهو وضع بعض الأحاديث ونـسبتها لبعض كبار الصحابة والتابعين ، والاعتماد على كلام المنجمين وخاصة العـرّاف نوستراداموس اليهودي المتنصر والادعاء عليه بأنه قد أخذ نبوءاته مـن التـراث المحمدي الذي أورثه الرسول لعليّ بن أبي طالب ومنه إلى بنيـه وشـيعته ممـن أورثهم الله علوما عن أئمتهم المعصومين الذين عندهم علم من الكتاب يفوق علـم الأنبياء والمرسلين !!

ولما راجت هذه الكتب وكثر حديث الناس عنها كثر الكتّاب فيها ممن لا حظ لهم من علم أو من فهم ، هؤلاء الأميون الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هـم إلا يظنون .

فألفت كتب تزعم أن صدام حسين هو السفياني الأول المذكور في بعض الأحاديث وأن هذا السفياني سيرسل جيشا ليحارب به المهدي فيخسف بجيش السفياني ، ولا أدري ما يقول أصحاب هذا الكلام بعد أن خسف جيش بوش الأمريكاني بجيش صدام السفياني !!

هل يعني هذا أن بوش هو المهدي المنتظر وعلينا أن نذهب لمبايعته والقتال معه ؟

وماذا يقول أصحاب هذه النبوءات بعد إسقاط تمثال صدام حسين دكتاتور العراق ، وبعد أن ديس بالنعال بعد سقوط بغداد يوم ٩ إبريل ٢٠٠٣ م ؟ وبعد القبض عليه واستخراجه من مخبئه تحت الأرض بالقرب من تكريت في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣ م ، وعرض صوره مجللة بالخزي والعار { فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }(الزمر : ٢٦)

هل هذا هو السفياني الذي سيهزم قوات التحالف مرتين ؟!!

ويجيبنا الكاتب- قبل أن يعلم بمصير العراق ومصير صدام بالطبع - بأن صدام السفياني قد انتصر في حربه ضد قوات التحالف لأن هدف قوات التحالف كان إسقاط نظام صدام وإذلال شعبه فلما لم يتم ذلك - بحسب زعمه - فإن صدام يكون قد انتصر على أمريكا وحلفائها !! ولا تعليق .

وزعم بعض هؤلاء الكتاب - عفا الله عنا وعنهم - أن ابن صدام حسين هو السفياني الثاني الذي سيخلف أباه ، ويرسل جيشا لمحاربة المهدي المنتظر فيخسف به ولم يحدد لنا هؤلاء الكتاب مَن المقصود بالسفياني الثاني هل هو عدي أم قصي ؟! وعلى العموم ليس هذا مُهما الآن فقد خسَف المهدي المنتظر بوش !! بهما جميعا وقتلهما وعرض صور جثتيهما ليراهما كل العالم ، وليثبت كذب وادعاء هؤلاء الدجالين .

زعم أحد هؤلاء الكتّاب أن المهدي المنتظر سيخرج في موسم الحج سنة ١٤١٩ هـ وفي ١٤٢٠ هـ تعلن الخلافة ، وأنه في الـ (٢٠٠٠) م تكون معركة البحر

المتوسط وفي (٢٠٠١) م تكون الهرمجدون العظمى يسبقها أو يقاربها معركة نووية بين فرنسا وأمريكا تخرب فيها فرنسا مؤقتا ويبتلع المحيط أثناءها نيويورك كانت هذه تنبؤاته في سنة ١٩٩٧ فلما لم يتحقق شيئا مما زعمه أعاد طبع الكتاب سنة ٢٠٠٣ م بنفس الاسم وغير كلامه وحذف هذه الفقرات وراح يتنبأ بغيرها لكن هذه المرة كان حريصا ألا يقع في التحديد الدقيق إنما توارى وراء صيغ التمريض فاستخدم مصطلحات مثل : قد يظهر المهدي في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، وقد يتأخر ظهوره مائة عام ... وأن المعركة النووية العظمى ستكون بين (كوريا الشمالية) وأمريكا أو فرنسا وأمريكا .

ولم يكن هناك ذكر في طبعة ٩٧ لكوريا الشمالية وأضاف الكاتب اسمها في الطبعة الجديدة لما ظهر من خلاف بين أمريكا وكوريا الشمالية حول السلاح النووي الذي تملكه الأخيرة وأبقى احتمال أن تكون الحرب النووية بين أمريكا وفرنسا بسبب الخلاف الذي حدث بين أمريكا وفرنسا قبل غزو أمريكا للعراق دون تفويض من الأمم المتحدة وهكذا فإن النبوءات تظهر بعد تمام الأحداث لا قبل حدوثها !!

وألف شاب كتابا زعم فيه بعد حسابات دقيقة معقدة لعدد كلمات سورة الإسراء من الآية (٤) للآية (١٠٤) أن نهاية إسرائيل ستكون بإذن الله : في موعد أقصاه ٣ / ٣ / ٢٠٠٣م أو في موعد أقصاه ١ / ٩ / ٢٠٠٣م مع ترجيح الاحتمال الأول !!

إن الغباء والجهل هما ما دفعا الكتّاب إلى كتابة مثل هذه الترهات ، وإن الضعف والعجز هما ما دفعا عامة المسلمين إلى تصديقها .

وبسبب هذه الفئة من الكتاب اختلط الحابل بالنابل ، والغث بالسمين ، والعلم بالدجل ، والدين بالشعوذة ، وتبلبلت عقول الناس واختلطت المفاهيم وفُسرت أحلام العامة على أنها نبوءات [1] تقام عليها العقائد ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

[1] كالحلم الذي رأته امرأة مصرية فقد رأت " أن طفلا يرضع من القمر " واتخذ منها بعض المنجمين والعرافين المدعين للعلم دليلا قاطعا على ميلاد المهدي المنتظر . وحدثت فتنة وقانا الله شرها فقد تدخل "مسئولون وألغوا البرنامج التلفزيوني الذي قيل أنه أذاع هذا الكلام ، ولقد نفي كل من يعمل في البرنامج هذه الإشاعة بدأ من رئيسة التلفزيون ، والشيخ الذي قيل أنه فسر الحلم الذي رأته المرأة ، إلى مقدمة

ولما وجدت أن الأمر جد خطير ، وأن السكوت عن بيان الحق كالنطق بالباطل وكلاهما شر مستطير استعنت بالله وشرعت في كتابة هذا الكتاب على وجه السرعة واصلا الليل بالنهار علني أدرك هذه الافتراءات على الله وعلى دين الله فأبطلها قدر علمي وجهدي فإن كان ما فيه حقا فبتوفيق الله تعالى وإن كانت الأخرى فأرجو الله ألا يحرمني أجر المجتهد ، فما أقدمت على هذا العمل إلا حبا في الله وذودا عن حياض الإسلام من تلك الأوهام التي شاعت على أنها دين .

ولما كان من أهداف الكتاب رد مزاعم الصهيونية من اليهود ونصارى الغرب حول : أرض الميعاد ، والهرمجدون ، وعقيدة الألفية ، والمسيح المخلص .. تلك التي روجوا لها في الآونة الأخيرة فإني آثرت أن أبحث أصل هذه العقائد والأفكار وممارسات أصحابها عبر العصور ولذا جاء منهج الكتاب مرتبا – غالبا– ترتيبا تاريخيا ، وكنت أود لو بدأت بتفنيد المزاعم المعاصرة المفتراة لكني وجدت أنها وثيقة الصلة بافتراءات قديمة وما تلك المزاعم التي يرددها الآن الصليبيون الجدد من الغرب وبعض المغفلين من العرب إلا حلقة في سلسلة طويلة من افتراءات ، وترهات قديمة ، كما أن الذي أوقع كثير من الكتّاب في خطأ الفهم والاستدلال هو اجتزاؤهم لبعض النصوص من سياقها النصي ، وتفسيرها بعيدا عن سياقها التاريخي فضلوا وأضلوا .

البرنامج ومع ذلك انتشرت الشائعة وصرح وزير الأوقاف المصري الدكتور محمود حمدي زقزوق أنه كان وراء إلغاء برنامج " رؤى " لتفسير الأحلام الذي كان يذيعه التلفزيون المصري وقال في حيثيات إلغائه للبرنامج إنه كان يعمل على تغييب العقل وإفشاء الجهل بين الناس ومن الخير إلغاؤه !!
وكان أن رد الأزهر الشريف رسميا على هذه الشائعة ومما جاء في هذا الرد " أنه من غير المقبول إذاعة مثل هذه الموضوعات الخاصة بالغيبيات والأحلام علي الجمهور لأنها قد تحدث بلبلة في الرأي العام حيث نسب للمتحدث فيه الشيخ محمود الحنفي تفسير رؤيا قصتها عليه سيدة على أنها تعني أن "المهدي المنتظر" قد ولد بالفعل، وأن يوم القيامة أصبح وشيكاً، والشائعة مجهولة المصدر تقول أن سيدة مصرية اتصلت بالبرنامج، وقالت إنها رأت في منامها أنها وضعت طفلا، ثم شاهدته يصعد إلى السماء ويرضع من القمر، فطلب منها الشيخ أن تقسم بالله ثلاثا أن ما قالته صحيحا. فأقسمت السيدة، فانبرى الشيخ قائلا بصوت جهوري إن إرضاع القمر في الرؤيا يعني أمراً واحداً هو أن "المهدي المنتظر" قد ولد بالفعل، وعلينا انتظار يوم القيامة قريباً . ورغم نفي الشيخ الحنفي وكل من معد البرنامج والمذيعة التي تقدمه لواقعة اتصال هذه السيدة المزعومة بالبرنامج جملة وتفصيلا، إلا أن الناس تعاملت مع الشائعة على أنها الحقيقة، التي تحاول السلطات المصرية التعتيم عليها " !!

وبناء على ذلك فقد بدأت الكتاب بالنصوص التي بنت الصهيونية عليها مزاعمها ، مع تفنيد هذه المزاعم ودحضها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وكـذلك بالحجة والبرهان ، والتاريخ الإنساني العام .

وبيَّنت مسلسل التحريف الذي جعل وعود الله لإبراهيم بملك أرض كنعان تـؤول لإسرائيل – يعقوب – دون سائر أبناء إبراهيم ثم بيَّنـت أن البقـاء والاسـتمرار اليهوديين هما محض افتراء ، فأكثر يهود اليوم ليسوا أحفادا لبني إسرائيل إلا فـي الاسم والإثم .

وتحدثت عن الشخصية اليهودية ، وهل هناك شخصية يهودية ثابتة عبر التاريخ تَسِم جميع اليهود في كل زمان ومكان ؟ وأهم ما يميز هذه الشخصية اليهودية – إن كان ثمة شخصية يهودية ثابتة عبر التاريخ – وكيف حافظ كثير مـن الجماعـات اليهودية على سمات شخصياتهم على مدى تاريخهم رغم اختلافهم عـن أسـلافهم عرقيا وثقافيا ودينيا .

وتحدثت عن زعم يهودي آخر وهو أنهم الضحية الوحيدة في التاريخ وفندت هذا الزعم الباطل وأثبت أنهم ليسوا الشعب الوحيد الذي اضطهد تاريخيا ، وأثبـت أن مفسديهم هم المسئولون عما حدث لهم بسبب كفرهم وإثارتهم الفتن ونشرهم الفساد في الأمم التي عاشوا بينها كما أكدت هذا الأديان السماوية : التـوراة ، والإنجيـل والقرآن ، وذكرت أشهر الاضطهادات التي تعرضوا لها مبينا سبب كل اضـطهاد مثل : اضطهادهم في مصر وسبب خروجهم منها ، و السبي الآشوري ، والـسبي البابلي ، والشتات الروماني ، والحرق على يد هتلر النازي .

ثم أثبت أنهم ليسوا الضحية بل هم الجزار الذي ارتكـب المـذابح الجماعيـة ، ومارس أبشع أنواع العنف مع أعدائه .

ونوهت بإيجاز إلى أهم المذابح التي ارتكبوها سفاحو اليهود في حق العرب بعـد قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية المحتلة .

ثم تحدثت عن حقيقة معركة الهرمجدون من خلال عرض للنصوص الدينية ، وبينت كيف استغلت الحكومة الأمريكية هذه المزاعم الدينية لتحقيق مصالح استعمارية ؟ وكيف خُدِعَ بعض الكتاب العرب بالتدين الزائف لكثير من الأمريكان؟

وعرضت عرضا وافيا لسفر الرؤيا الذي ذكرت فيه معركة الهرمجدون وأثبت خطأ الاستدلال بمعركة الهرمجدون على ما يجري من أحداث راهنة .

ثم تحدثت بإيجاز عن عقيدتي : المهدي ، والمسيح بالنسبة للمسلمين وبينت أن بعض المسلمين المحدثين وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه كثير من اليهود ونصارى الغرب – البروتستانت – في مطابقة هذه النصوص للواقع حالي .

ثم تحدثت بشيء من التفصيل عن العرّاف نوستراداموس وعن نبوءاته وبيَّنت إن نبوءاته ما هي إلا تفسير لبعض نبوءات الكتاب المقدس أعاد كتابتها بلغة غامضة مبهمة ، ثم بيَّنت سر ذيوع هذه النبوءات في الآونة الأخيرة بين كثير من اليهود والمسيحيين الغربيين ، كما بيَّنت سر احتفاء غلاة الشيعة بهذه النبوءات ، وذكرت أهم عقائد غلاة الشيعة ورأي العلماء الثقاة فيها .

ثم تحدثت عن علاقة الغرب باليهود ، وعن أصل الصهيونية وهل حقا أن اليهود هم الذي يتحكمون في السياسة الأمريكية أم أن ساسة الغرب المسيحي هم الذين يُسَخِّرون اليهود لتحقيق مخططاتهم الاستعمارية ؟

ثم بحثت موضوعا كثر الجدل حوله وهو : هل السياسة الأمريكية سياسة دينية كما يزعم بعض كتاب الغرب ومن يشايعهم من الكتاب المسلمين أم أنها سياسة علمانية ؟

وبينت أن السياسة الأمريكية كافرة بتعاليم الكتاب المقدس إن لم يكن كفر اعتقاد فهو – على الأقل– كفر عمل وممارسة ، وذكرت أهم المبادئ التي جاء بها المسيح وبيَّنت إن كثيرا من الأمريكان بعيدون كل البعد عنها بل مؤمنون بأضدادها ، وتحدثت عن سمات الشعب الأمريكي ، و ممارساته الحياتية .

ثم عرضت لقضية مهمة يتحاشاها كثير من الكتاب المسلمين وإن تعرضوا لها لا يعرضونها بالأمانة المطلوبة وهي قضية موقف المسيحيين العرب من النبوءات اليهودية والمسيحية البروتستانتية من جهة ، وعلاقتهم بالعدوان الصهيوني الغربي اليهودي على البلاد العربية من جهة أخرى ، وبيَّنت بإيجاز الفروق الجوهرية بين المذاهب المسيحية فيما يتعلق بالمزاعم والوعود الإلهية لبني إسرائيل .

وفي الفصل الأخير بينت موقف العرب – حكومات وشعوب ، كتاب دين ووعاظ – من مخطط الصليبيين الجدد ، وكشفت عن حقيقة الفهم الخاطئ لدى كثير من العرب لحقيقة الصراع ، وبيَّنت في جلاء الأسباب الحقيقية وراء نجاح المخطط ، وبينت المسئول الحقيقي عن هذا .

وفي النهاية رسمت للعرب والمسلمين طريق الخلاص مما هم فيه من ذل وهوان ، وواجب كل إنسان نحو دينه ودنياه كما فهمت من كتاب الله وسنة نبيه وقراءتي للتاريخ وتدبري للواقع .

وأخيرا ما سطرته في هذا الكتاب مبلغ علمي وطاقة جهدي واجتهادي داعيا الله تعالى أن يرزقنا الفهم الدقيق والعمل الصالح وأن يجنبنا الزلل ، وأن ينفع الله الناس بما فيه من حق ، وأن يعفو عني ويسامحني عما قد يكون فيه من خطأ في الفهم أو تقصير في الجهد .

{ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود : ٨٨)

محمد يونس هاشم

❁❁❁

الفصل الأول

المرجعية النصية للأساطير الصهيونية

أن ما يجري الآن من أحداث في البلاد الإسلامية و العربية ليضع علامات استفهام كثيرة حول حقيقة الصراع الغربي الصهيوني ، والعربي الإسلامي .

لكن عندما نقرأ النصوص التي تعتمد عليها الصهيونية العالمية في مخططاتها وممارساتها يزول العجب وتختفي علامات الاستفهام .

إذ أن " التفكير العنصري الذي تبنته الصهيونية الحديثة إنما يعود بأصوله إلى بعض مصادر التوراة دون غيرها ولهذا فالتفكير العنصري الصهيوني ما هو إلا نتيجة من نتائج التحريف والتبديل الذي تعرضت له التوراة فالمصدر اليهوي (١) يعد بحق المنبع الأول للتفكير العنصري في اليهودية ومنه استمدت الصهيونية الحديثة أيديولوجيتها العنصرية .

فقد طور أصحاب المصدر اليهوي كثيرا من المفاهيم القومية ذات الطابع العنصري ومنه على سبيل المثال : " ثالوث الشعب و الأرض و الإله " ، ومفهوم " أرض إسرائيل " وهم الذين أضافوا المعاني العنصرية التي اكتسبتها مفاهيم " العهد " أو الميثاق و " الاختيار الإلهي لإسرائيل " وكذلك " الخلاص الإلهي " وكانت كلها مفاهيم دينية خالصة قبل أن تكتسب هذه المعاني العنصرية التي ألصقها بها

(١) أحد مصادر التوراة وسمي بهذا الاسم لأنه يستخدم لفظ " يهوه " للدلالة على الألوهية

المسئولون عن المصدر اليهوي في التوراة وتصبح فيما بعد سندا للعنصرية التي تبنتها الصهيونية الحديثة " (١)

الفرق بين اليهودية والصهيونية

وقبل أن نبدأ في ذكر المرجعية النصية للأساطير الصهيونية والرد عليها لابد أن نذكر – إحقاقا للحق – أن هذه الأفكار لا يتبناها كل اليهود ، ولا كل الغرب ، فهناك من الجماعات اليهودية من يناهض هذه الأساطير ، ويناصبها العداء ويتظاهر ضد من ينادي بها (٢) .

إن اليهودية ديانة سماوية كغيرها من الديانات السماوية الأخرى ، أما الصهيونية فحركة سياسية عنصرية متطرفة ومن حسن الحظ أن كثيرا من اليهود ليسوا صهاينة .

وعندما دعا تيودور هرتزل إلى إقامة دولة قومية لليهود عارضه معظم الحاخامات اليهود ، لأنهم وجدوا أن الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة للديانة اليهودية ، **فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلص السعي للحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب .**

إن المطلب الوارد في التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أي قراءة تحريفية تحوّل الأقوال العظيمة التي قالها الرسل العظام لتجعل منها تاريخا قوميا وحتى قَبَلياً .

---

(١) د. محمد خليفة حسن " علاقة الإسلام باليهودية . رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية " ص ٧١

(١) مثل حركة " ناطوري كارتا " اليهودية الذي يتزعمها موشي هيرش، الذي كان يعمل مستشاراً لرئيس السلطة الفلسطينية الراحل ياسر عرفات للشئون اليهودية، والذي يعتبر إقامة الدولة العبرية خطأً وتدنيساً لاسم الله ، وذلك لأنه يحظر على اليهود إقامة سلطة يهودية في أرض إسرائيل قبل قدوم المسيح المخلص إن حركة " ناطوري كارتا " أيدت في الأعوام الأخيرة المنظمات " اللاسامية " والمناهضة لإسرائيل في الولايات المتحدة وأوروبا ويشارك أعضاؤها في مظاهراتهم، وكذلك في المظاهرات التي ينظمها فلسطينيون ومسلمون ضد الدولة العبرية .

فالصهيونية إذن عقيدة قومية لم تولد من الديانة اليهودية بل من القومية الأوربية في القرن التاسع عشر ، ولم يحرك مؤسس الصهيونية هرتزل دافع ديني بل عقيدة سياسية قومية استعمارية فهو يقول في يومياته :

" إنني لا أنقاد لأي دافع ديني .. فأنا لا غنوصي (أي أنه من اللاأدرية) (1)

فهو لا تهمه الأرض المقدسة بوجه خاص فهو يقبل أيضا ومن أجل أهدافه القومية الاستعمارية بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين أو موزمبيق أو الكونغو .. ولكن أمام معارضة أصدقائه من اليهود فإنه يعي أهمية الأسطورة القوية التي " تمثل صيحة للمّ الشعث ذات قوة لا تقهر " (2)

فالصهيونية إذن عقيدة سياسية ، وقومية عنصرية ، وأيديولوجيا استعمارية تلك هي الخصائص التي تشرح السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بازل في أغسطس ١٨٩٧ م .

ولكن هذه العملية السياسية والقومية الاستعمارية لم تكن بأي حال تمثل روحانية الديانة اليهودية ، ففي نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل انعقد مؤتمر في مونتريال في أمريكا جاء في بيانه الختامي :

" إننا نشجب تماما أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية ، وإن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطئ لرسالة إسرائيل .. التي كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها .. ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسي ولا قومي ، ولكن روحي .. (3)

في هذا المؤتمر تمسك اليهود بروحانية اليهودية ، واعترضوا على المنحى الذي سلكه هرتزل في مؤتمر بازل الذي انتقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ما يبرر

---

(1) تيودور هرتزل " اليوميات " طبعة فيكتور جولانسز نقلا عن رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " دار الغد العربي ص ١٨ .

(2) نفسه ص ١٨

(3) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين الكتاب السابع ١٨٩٧ ص١٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢١

أهدافه السياسية الاستعمارية " فهو يشير إلى عصر مسيحي حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض " (١)

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من " رابطة حاخامات ألمانيا " وحتى " الاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا " و " الاتحاد الإسرائيلي في النمسا " وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية المستوحاة من التمسك بروحانيات الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى المخاصمات والمشاحنات التي دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة لكي تفرض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبي من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية على العكس ما كان متوقعا ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

نقول هذا لأن كثيرا من الكتابات العربية والإسلامية تخلط خلطا فاضحا بين اليهودية كديانة والصهيونية كسياسة ، فالصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة لليهودية ومن الخطأ الفاضح وَسْم الجماعات اليهودية كافة بميسم واحد ، ووصفها جميعا بصفات واحدة تميزهم عن سائر البشر " وغني عن القول أن هذا المفهوم يُفسِّر الواقع كله بصيغة واحدة بسيطة جاهزة، ومن ثم فهو يتجاهل واقع أعضاء الجماعات اليهودية المُركَّب غير المتجانس، وهو واقع لا يخضع لقانون عام ولا ينضوي تحت نمط متكرر واحد. " (٢)

إن اليهود ليسوا سواء عبر الزمان والمكان فهناك سمات مميزة عرقيا وثقافيا ودينيا لكل جماعة ، فبنو إسرائيل العبرانيون غير يهود السبي البابلي غير يهود السبي الروماني غير يهود المدينة على عهد النبي ﷺ غير اليهود الصهاينة في

---

(١) نفسه ص ٢١

(٢) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ ج١ " طبيعة اليهود " بيت العرب للتوثيق العصري والنظم .

العصر الحديث فاليهود على اختلاف الزمان لم يمثلوا جماعة واحدة موحدة دينيا ، وثقافيا وعرقيا " ونحن نذهب إلى أن العبرانيين أي اليهود القدامى ، كانوا يشكلون وحدة ثقافية وإثنية تتسم بقدر من التماسك والتجانس والوحدة . ولكن مع انتشار اليهود في أرجاء العالم في مجتمعات مختلفة ، لكل تقاليدها الحضارية والدينية ، وتواريخها ، تفاعَل اليهود مع هذه التقاليد والتواريخ وخضعوا لمؤثراتها ، شأنهم شـــأن كل الأقليات والبشـــر .

وقد بدأت عملية الانتشـــار مع التهجير البابلي ، ولكن وتيرتها تصاعدت مع ظهور الحضارة الهيلينية والرومانية .

وقد اكتملت عملية الانتشار والتَفرُّق مع هدم الهيكل في عام ٧٠م على يد تيتوس ، وكذلك سقوط العبادة القربانية المركزية وأية سلطة دينية مركزية يهودية. وقد تَحولّ اليهود نتيجة هذه العملية إلى جماعات مختلفة متفرقة غير متجانسة. ونحن نفضل استخدام مصطلح «جماعات يهودية» على مصطلح «يهود» لأن المصطلح الأخير يؤكد التَماسُك والتَجانُس والوحدة حيث لا تَماسُك ولا تَجانُس ولا وحدة " (١)

فهناك جماعات يهودية ملحدة لا دين لها ولولا خوفهم من الطرد من إسرائيل لتنصروا أو أسلموا ، وهناك جماعات يهودية غربية تؤمن بالعلمانية الغربية الشاملة ، وهناك جماعات يهودية شرقية رجعية متخلفة ، وجماعات يهودية دينية متطرفة تريد أن تبيد كل الأغيار من غير اليهود ، وجماعات صهيونية تنادي بعودة اليهود إلى أرض الميعاد تحت لواء القوى الإمبريالية أو الصهيونية العالمية ... وشأن اليهود شأن كل المجمعات البشرية ليس كل أفرادها على قلب رجل واحد فالعالم العربي فيه من التنوع والاختلاف ما لا يقل عن الجماعات اليهودية فمن سلفية إلى علمانية إلى صوفية إلى جهادية إلى رجعية إلى انحلالية إلى نفعية استغلالية ...

كذلك ليس كل الغرب صهيونيا معاديا للعرب ومناصرا لدولة إسرائيل بل هناك كثير من الغرب المحب للسلام الداعي للحق والعدل يرفض الأساطير الصهيونية ، وإذا كانت هناك مباركة من كثير من الدول الغربية للممارسات الصهيونية فإن هذا

---

(١) نفسه م٢ ج٢ " الجماعات اليهودية " .

يرجع لأسباب كثيرة : منها الدعاية الصهيونية الجبارة التي تزيف الحقائق وتبرر الجرائم ، ومنها حجب المعلومات الصحيحة عن الشعوب ، وتضخيم الممارسات غير المسئولة من بعض المسلمين التي لا يستبعد أن تكون الصهيونية ضالعة فيها ، ومن المؤكد أن كثيرا من هذه الممارسات كان لها أثرها البالغ في تغاضي المجتمع الغربي عن جرائم الحكومات الإسرائيلية في حق الشعوب العربية، ومن هذه الممارسات غير المسئولة ذبح المدنيين الأجانب ، وقتل المدنين العزل ، وخطف الأبرياء والتهديد بقتلهم ، واحتجاز الرهائن ...

تلك الجرائم التي ترتكب باسم الإسلام والإسلام منها براء فالله تعالى لا يحب المعتدين ولا يجيز العدوان إلا على الظالمين .

{ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة : ١٩٣)

" ولقد صان الله تعالى حرمة النفس الإنسانية فحرم قتلها و جعل الله تعالى من قتل نفسا واحدة – بغير حق – فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها – صان حرمتها وحافظ على حياتها – فكأنما أحيا الناس جميعا .

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }(المائدة : ٣٢)

والكلام عن حرمة النفس الإنسانية عام لا يختص بالمسلم فقط عكس ما زعم وعاظ السوء من استحلال دم ومال غير المسلمين !! فراحوا يقتلون فى خلق الله بغير حق وزعموا أن هذا جهاد فى سبيل الله ، والله برئ مما يفعلون إنما هو جهاد فى سبيل الشيطان ، فالآية الكريمة نصت على عموم النفس الإنسانية ولم تخصص نفس المسلمين ." (١)

وبعد بيان الفرق بين الجماعات اليهودية والصهيونية نبدأ في بيان مزاعم الصهيونية .

---

(١) " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللادينية " للمؤلف ص ٣١٩ مكتبة مدبولي .

تبني الصهيونية أفكارها على مجموعة من النصوص الدينية التوراتية ، وعلى أساس هذه النصوص المجتزأة يفسرون التاريخ ، والحقوق المقدسة في أرض الميعاد ، والخلاص على يد المسيح المخلص .

المرجعية النصية لليهود الصهاينة

أولا : العهد الإلهي لسام بتملك أرض العرب

هذه هي المرجعية النصية لليهود الصهاينة التي لا يعرفون من التوراة سواها وما على شاكلتها .

وهاك هي النصوص التوراتية التي اعتمد عليها الصهاينة في إثبات هذه المزاعم الباطلة .

" ٢٠وَاشْتَغَلَ نُوحٌ بِالْفَلاحَةِ وَغَرَسَ كَرْماً، ٢١وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَيْمَتِهِ، ٢٢فَشَاهَدَ حَامٌ أَبُو الْكَنْعَانِيِّينَ عُرْيَ أَبِيهِ،فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا خَارِجاً. ٢٣فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ رِدَاءً وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا الْقَهْقَرَى إِلَى دَاخِلِ الْخَيْمَةِ، وَسَتَرَا عُرْيَ أَبِيهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَدِيرَا بِوَجْهَيْهِمَا نَحْوَهُ فَيُبْصِرَا عُرْيَهُ. ٢٤وَعِنْدَمَا أَفَاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ ٢٥قَالَ: «لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُوناً، وَلْيَكُنْ عَبْدَ الْعَبِيدِ لإِخْوَتِهِ». ٢٦ثُمَّ قَالَ: «تَبَارَكَ اللهُ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ. ٢٧لِيُوَسِعِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي خِيَامِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ»(التكوين : ٩)

وبهذا اختصت التوراة سام من ولد نوح بتعبيد كنعان له ، و باستيطان أرضه .

وماذا فعل حام أبو كنعان حتى يستحق هو ونسله هذه العقوبة الأبدية ؟!

أ ليس الخطأ خطأ نوح – حسب رواية التوراة – ؟ فهو الذي عَبَّ من الخمر حتى غاب عن الوعي ، ونام وانكشفت عورته وعندما رآه ابنه الصغير " حام " على هذه الحال المذرية خجل منه وأخبر أخويه الكبيرين حتى يسترا أباهم .

فلماذا حُكِمَ عليه بهذا الحكم الأبدي هو ونسله إلى يوم القيامة ؟!

وإن كان " حام " قد أخطأ – فرضا – فما ذنب نسله ؟!

وكيف تزر وازرة وزر أخرى ؟!

وكيف يأخذ شخص بجريرة أبيه ؟!

بل كيف يأخذ ما لا يحصى من البشر – من لدن حام إلى يوم القيامة – بجريرة جد رأى أباه السكير عاريا ؟!!

إن أكثر الناس ظلما لا يحكم بهذا ، لكنهم جماعة اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ؛ ليستولوا على ما ليس لهم .

وتستمر الرواية التوراتية لتخص إبراهيم من ولد سام بالبركة ، وتعبيد كنعان – ابن حام – ونسله له ، وإعطائه أرض كنعان ملكا أبديا له ولنسله من بعده .

عهد يهوه لإبراهيم

يقول المؤرخون الأكاديميون اليهود : " تعرف الأرض الواقعة بين وادي الأردن والبحر الأبيض المتوسط في التقليد اليهودي بأرض إسرائيل، ويردد العهد القديم كثيراً العهد الإلهي على أن الأرض قد أعطيت لإسرائيل. وقد أتت لفظة "أرض الميعاد" من هذا الوعد الإلهي المتضمن في أول قول الرب لإبراهيم في سفر (التكوين: ١٢) " اتْرُكْ أَرْضَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ وَاذْهَبْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، ٢فَأَجْعَلَ مِنْكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً لِكَثِيرِينَ "

ولقد صرح بالوعد بشكل مختصر في سفر (التكوين : ١٥) " ١٨فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَقَدَ اللهُ مِيثَاقاً مَعْ أَبْرَامَ قَائِلاً: «سَأُعْطِي نَسْلَكَ هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ وَادِي الْعَرِيشِ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ.."

وتعتبر هذه الحدود أوسع الحدود التي نص عليه العهد القديم وتحدد قطعة أرضية ممتدة تقريبا من غزة في الجنوب الغربي إلى نهر الفرات. ولكن في بعض مقاطع العهد القديم الأخرى، فإن الأرض التي حددها الميثاق تعتبر صغيرة جدا.

ففي سفر (التكوين : ١٧) مثلا فإن حدود أرض الميعاد مقتصرة على منطقة الكنعانيين الذين تجول إبراهيم في وسطهم "٧وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلَهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً»." (1)

---

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " ترجمة عبد الغني بن إبراهيم من منشورات: معهد هاريت و روبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ص ١٠٤

" فَارْتَحَلَ إِسْحقُ إِلَى مَدِينَةِ جَرَارَ حَيْثُ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ٢فَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: «لاَ تَمْضِ إِلَى مِصْرَ، بَلِ امْكُثْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أُعَيِّنُهَا لَكَ. ٣أَقِمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الأَرْضِ وَفَاءً بِقَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. ٤وَأُكَثِّرُ ذُرِّيَّتَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأَهِبُهَا جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ. وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ. " (التكوين : ٢٦)

يقول علماء اللجنة اليهودية الأمريكية : " لم يتم في العهد القديم، أبداً، تفسير السبب الذي استبعد إسماعيل من الميثاق. ويميل علماء اليهود للاعتقاد أن هدف القصة، كما ورد من أمثاله في سفر التكوين، هو تفسير العلاقات الإثنية واللغوية القريبة بين الإسرائيليين والشعوب التي يعيشون في أوساطهم .

ورد ذكر إسماعيل في العهد القديم كجد أعلى للشعوب العربية . "[1]

والعبارة الأخيرة تبين لماذا استبعاد إسماعيل من الميثاق ؛ لأنه هو جد العرب أصحاب الأرض الأصليين .

ولكن إسحاق الوريث الوحيد لملك أبيه ووعوده – بحسب الرواية التوراتية – أنجب من زوجته " رفقه " توأمين : عيسو البكر لأنه ولد أولا ، ويعقوب الذي خرج ويده قابضة على عقب عيسو لذا سمّوه يعقوب ، وكان عيسو رجلا صالحا يعمل ويطعم أهله من ثمرة جهده لذا أحبه أبوه إسحاق بعكس يعقوب الذي لا يفارق حضن أمه رفقة .

" ٢٨وَأَحَبَّ إِسْحقُ عِيسُو لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ صَيْدِهِ، أَمَّا رِفْقَةُ فَقَدْ أَحَبَّتْ يَعْقُوبَ. " (التكوين : ٢٥)

وتستمر الدراما التوراتية ، جاعلة يعقوب يتمكن من شراء بكورية عيسو مستغلا حاجة أخيه إلى الطعام والخبز وهاك القصة كما جاءت في توراة اليهود .

" ٢٩وَذَاتَ مَرَّةٍ عَادَ عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ مُرْهَقاً فَوَجَدَ يَعْقُوبَ قَدْ طَبَخَ طَعَاماً، ٣٠فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الطَّبِيخِ الأَحْمَرِ لأَنَّنِي جَائِعٌ جِدّاً». لِهَذَا دُعِيَ

[1] الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٢٢

وكنعان المذكور في الإصحاح السابق هو جد من جدود العرب ، والعرب أول من سكن فلسطين وهذا ثابت تاريخيا لا ينازع فيه إلا جاحد لكن الصهاينة يريدون أن يثبتوا أحقيتهم في أرض العرب – وخاصة فلسطين – أحقية توراتية لا أحقيقة تاريخية .

و بعد ذلك يقول الله لإبراهيم :

" ٢٩لِتَخْدُمْكَ الشُّعُوبُ، وَتَسْجُدْ لَكَ الْقَبَائِلُ، لِتَكُنْ سَيِّداً عَلَى إِخْوَتِكَ. وَبَنُو أُمِّكَ لَكَ يَنْحَنُونَ. وَلْيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ».." (التكوين : ٢٧)

كيف آل العهد الإلهي من إبراهيم إلى بني إسرائيل وحدهم ؟

كان لإبراهيم ثمانية أولاد : إسماعيل من هاجر ، وإسحاق من سارة ، و زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا من زوجته قطورة بنت يقطن الكنعانية ، فكيف آل العهد الإلهي لبني إسرائيل من دون أبناء إبراهيم الآخرين ؟

ولكي يَقْصُر اليهود العهود على بني إسرائيل وحدهم جعلوا زوجتي إبراهيم الأخريين : هاجر ، وقطورة جاريتين حتى يحرموا أولادهما من ميراث أبيهم إبراهيم ووعوده ، وعلى الرغم من اعتراف التوراة نفسها أن إسماعيل هو بكر أبيه إبراهيم وأنه من ذريته إلا أنها تحرمه ميراثه ووعوده ؛ لأن العرب من نسل إسماعيل وبالتالي يعدون شركاء لبني إسرائيل في هذا الوعد .

وزيادة في الحيطة تجعل توراة اليهود إبراهيم يُوَرِّث إسحاق ملكه ، ووعود الله له فهو ابنه الحقيقي لأنه من سارة الحرة ولأنه هو الذبيح – كما يدعون – أما إسماعيل فبرغم أنهم يعترفون أنه ابن إبراهيم البكر إلا أنه ابن الجارية المصرية هاجر فلا حق له في ميراث أبيه ولا وعد الله له !!

" ٥ وَوَرَّثَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحقَ كُلَّ مَالَهُ. ٦أَمَّا أَبْنَاؤُهُ مِنْ سَرَارِيهِ (أي جواريه : هاجر و قطورة) فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَطَايَا، وَصَرَفَهُمْ فِي أَثْنَاءِ حَيَاتِهِ نَحْوَ أَرْضِ الْمَشْرِقِ بَعِيداً عَنْ إِسْحقَ ابْنِهِ. " (التكوين : ٢٥) .

والتوراة تؤكد – بالباطل – ميراث إبراهيم لإسحاق حتى لا يشاركه أحد من إخوته فيه فتقول توراة اليهود :

عِيسُو بِأَدُوم. ٣١فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي أَوَّلاً امْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِكَ». ٣٢فَقَالَ عِيسُو: «أَنَا لاَبُدَّ مَائِتٌ، فَأَيُّ نَفْعٍ لِي مِنْ بَكُورِيَّتِي؟» ٣٣فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «احْلِفْ لِي أَوَّلاً». فَحَلَفَ لَهُ، وَبَاعَ امْتِيَازَاتِ بَكُورِيَّتِهِ لِيَعْقُوبَ. ٣٤عِنْدَئِذٍ أَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزاً وَطَبِيخَ عَدَسٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَامَ وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ. وَهَكَذَا احْتَقَرَ عِيسُو امْتِيَازَاتِ الْبَكُورِيَّةِ " (التكوين : ٢٥)

ولم يكتف يعقوب – التوراتي – بهذا بل قام بتدبير من أمّه " رفقة " بسرقة النبوة من عيسو التي كان ينوي إسحاق منحه إياها وبالفعل تم لهما ما أرادا مستغلين ضعف بصر إسحاق وغياب عيسو وغياب الإله " يهوه " بالطبع إذ كيف يسمح الإله " يهوه " للص بأن يكون نبيا ، والمستحق للنبوة عبدا له ، ودونك القصة كما ترويها التوراة .

" وَلَمَّا شَاخَ إِسْحقُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ اسْتَدْعَى ابْنَهُ الأَكْبَرَ عِيسُو وَقَالَ لَهُ: «يَابُنَيَّ، ٢هَا أَنَا قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ مَتَى يَحِينُ يَوْمُ وَفَاتِي. ٣فَالآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَامْضِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَاقْتَنِصْ لِي صَيْداً. ٤وَجَهِّزْ لِي طَعَاماً شَهِيّاً كَمَا أُحِبُّ وَائْتِنِي بِهِ لِآكُلَ، لِتُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ».٥وَسَمِعَتْ رِفْقَةُ حَدِيثَ إِسْحقَ لاِبْنِهِ عِيسُو. فَعِنْدَمَا انْطَلَقَ عِيسُو إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِيَصْطَادَ صَيْداً وَيَأْتِيَ بِهِ. ٦قَالَتْ رِفْقَةُ لاِبْنِهَا يَعْقُوبَ: «سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ لِعِيسُو أَخِيكَ ٧اقْتَنِصْ لِي صَيْداً، وَجَهِّزْ لِي أَطْعِمَةً شَهِيَّةً لِآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ مَوْتِي». ٨وَالآنَ يَابُنَيَّ أَطِعْ قَوْلِي فِي مَا آمُرُكَ بِهِ، ٩وَاذْهَبْ إِلَى قَطِيعِ الْمَاشِيَةِ، وَاخْتَرْ جَدْيَيْنِ لأُجَهِّزَ لأَبِيكَ أَطْعِمَةً شَهِيَّةً كَمَا يُحِبُّ، ١٠تُقَدِّمُهَا لأَبِيكَ لِيَأْكُلَ، فَيُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ». " (التكوين : ٢٧) .

وتنطلي الخدعة على إسحاق ويبارك يعقوب وهو يحسبه عيسو ، وعندما يعود عيسو ويجهز الطعام لأبيه قائلا :

" «لِيَقُمْ أَبِي وَيَأْكُلْ مِنْ صَيْدِ ابْنِهِ فَتُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». ٣٢فَقَالَ إِسْحقُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَأَجَابَهُ: «أَنَا ابْنُكَ بِكْرُكَ عِيسُو». ٣٣فَارْتَعَدَ إِسْحقُ بِعُنْفٍ وَقَالَ: «مَنْ هُوَ إِذاً الَّذِي اصْطَادَ صَيْداً وَأَحْضَرَهُ إِلَيَّ فَأَكَلْتُ مِنَ الْكُلِّ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَبَارَكْتُهُ؟ وَحَقّاً يَكُونُ مُبَارَكاً». ٣٤فَمَا إِنْ سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ حَتَّى أَطْلَقَ صَرْخَةً هَائِلَةً وَمُرَّةً جِدّاً وَقَالَ: «بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَاأَبِي». ٣٥فَأَجَابَ: «لَقَدْ مَكَرَ بِي أَخُوكَ وَسَلَبَ بَرَكَتَكَ».

٣٦فَقَالَ: «أَلَمْ يُدْعَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ؟ لَقَدْ تَعَقَّبَنِي مَرَّتَيْنِ: أَخَذَ بَكُورِيَّتِي، وَهَا هُوَ يَسْلُبُنِي الآنَ بَرَكَتِي». ثُمَّ قَالَ: «أَمَا احْتَفَظْتَ لِي بِبَرَكَةٍ؟» ٣٧فَأَجَابَ إِسْحقُ: «لَقَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّداً لَكَ، وَصَيَّرْتُ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ لَهُ خُدَّاماً، وَبِالْحِنْطَةِ وَالْخَمْرِ أَمْدَدْتُهُ. فَمَاذَا أَفْعَلُ لَكَ الآنَ يَاوَلَدِي؟». ٣٨فَقَالَ عِيسُو: «أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَاأَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضاً يَاأَبِي». وَأَجْهَشَ عِيسُو بِالْبُكَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ. ٣٩فَأَجَابَهُ أَبُوهُ: «هَا مَسْكَنُكَ يَكُونُ فِي أَرْضٍ جَدْبَاءَ لاَ يَهْطِلُ عَلَيْهَا نَدَى السَّمَاءِ. ٤٠بِسَيْفِكَ تَعِيشُ وَلأَخِيكَ تَكُونُ عَبْداً " (التكوين : ٢٧) .

هل هذا كلام الله ؟!

هل يمكن أن تسرق نبوة ؟!

هل يمكن أن يصنع ذلك رجل صالح فضلا عن نبي مرسل ؟!

لكنها جماعة اليهود التي عادت الله ، وقتلت فريقا من الأنبياء والمرسلين ، وعبدت الشيطان والطاغوت .

ولكي تتم الخطة التي وضعها اليهود لجعل يعقوب – جدهم الذي ينتسبون إليه بزعمهم – هو المستحق لوعد الله بميراث أرض الغربة – أرض العرب – لابد ألا يتزوج يعقوب من بنات كنعان (١) – جد العرب – حتى يكون الوعد لهم خالصا من دون العرب .

" فَاسْتَدْعَى إِسْحقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ قَائِلاً: «لاَ تَتَزَوَّجْ مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ. ٢قُمِ انْطَلِقْ إِلَى سَهْلِ أَرَامَ، إِلَى بَيْتِ بَتُوئِيلَ أَبِي أُمِّكَ، وَتَزَوَّجْ إِحْدَى بَنَاتِ خَالِكَ لاَبَانَ. ٣وَلْيُبَارِكْكَ اللهُ الْقَدِيرُ وَيُنْمِكَ وَيُكَثِّرْكَ لِتَكُونَ أُمَّةً تَتَفَرَّعُ مِنْهَا شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، ٤وَلْيُعْطِكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مَعَكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ لِتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي تُقِيمُ فِيهَا الآنَ؛ هَذِهِ الأَرْضَ الَّتِي وَهَبَهَا اللهُ لإِبْرَاهِيمَ». " (التكوين : ٢٨)

كيف حصل يعقوب على لقب إسرائيل ؟

تذكر توراة اليهود أن يعقوب بن إسحاق نام بين بئر سبع وحران في أرض فلسطين فرأى الله فقال له :

---

(١) التوراة تجعل عيسو هو الذي يتزوج من بنتين من بنات كنعان وتجعلهما يسيئان معاملة رفقة لدرجة أنها كرهت حياتها بسببهما " قالت رفقة لإسحاق قد كرهت حياتي من جراء البنات الحيثيات فإن تزوج يعقوب من الحيثيات بنات هذه الأرض المماثلات لزوجتي عيسو فإن موتي خير من حياتي فاستدعى إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه قائلا لا تتزوج من بنات كنعان " (التكوين : ٢٨) .

" أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحقَ. إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَرْقُدُ عَلَيْهَا الآنَ أُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ، ١٤الَّتِي سَتَكُونُ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْباً وَشَرْقاً، وَشِمَالاً وَجَنُوباً، وَتَتَبَارَكُ بِكَ وَبِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ. " (التكوين : ٢٨)

وبعد أن سرق يعقوب النبوة من أخيه صارع الإله " يهوه " وهزمه وحصل منه على لقب إسرائيل وإليك هذه القصة التي هي أغرب من الخيال .

" صَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ. ٢٥وَعِنْدَمَا رَأَى أَنَّهُ لَمْ يَتَغَلَّبْ عَلَى يَعْقُوبَ، ضَرَبَهُ عَلَى حُقِّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ مِفْصَلُ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. ٢٦وَقَالَ لَهُ: «أَطْلِقْنِي، فَقَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَأَجَابَهُ يَعْقُوبُ: «لاَ أُطْلِقُكَ حَتَّى تُبَارِكَنِي». ٢٧فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَأَجَابَ: «يَعْقُوبُ». ٢٨فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ (وَمَعْنَاهُ: يُجَاهِدُ مَعَ اللهِ)، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». ٢٩فَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: «أَخْبِرْنِي مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. ٣٠وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ (وَمَعْنَاهُ: وَجْهُ اللهِ) إِذْ قَالَ: «لأَنِّي شَاهَدْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَبَقِيتُ حَيّاً». " (التكوين : ٣٢)

والهدف من هذه المصارعة العجيبة تعليل التسمية الجديدة ليعقوب وهي " إسرائيل " والتي تتكون من مقطعين " إسرا " أي تغلب وهزم ، " إيل " الله فهي تعني هازم الإله " وهدفت اليهود بالتسمية الجديدة إلى الفصل بين نسل إسحاق ونسل إسماعيل المشتركين في أبوة إبراهيم جد يعقوب بن إسحاق فهذه الأسطورة إذن هدفها عنصري بحت ألا وهو تخصيص نسل يعقوب وتسميتهم بالإسرائيليين والحط من شأن نسل إسماعيل ، وجعل النبوة و الوحي محصورين في نسل إسحاق فقط .

وهذه الأسطورة واحدة من عدة أساطير تم خلقها وإضافتها إلى مادة التوراة لكي تؤكد على النزعة العنصرية التي أدت إلى تبلور عدد من المفاهيم الدينية العنصرية مثل : مفهوم الاختيار الإلهي لبني إسرائيل ، وإطلاق لقب شعب الله المختار عليهم ، وقصر الوعود والمواثيق الإلهية على هذا الشعب وهناك مفهوم الخلاص الذي جعل الخلاص الإلهي قاصرا على بني إسرائيل دون البشر أجمعين كما تم تغيير اسم الأرض من أرض فلسطين أو أرض كنعان إلى أرض إسرائيل " (١)

---

(١) د. محمد خليفة " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " ص ١٧

وبهذه الأساطير التوراتية بينة الوضع ، مفضوحة الغرض ، متهرئة الحبكة صار بنو إسرائيل شعب الله المختار وصار إسرائيل – يعقوب – ابن يهوه البكر " هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ : إِسْرَائِيلُ هُوَ ابْنِي الْبِكْرُ " (الخروج : ٤)

تجديد العهد لبني إسرائيل في سيناء

يمثل خروج بني إسرائيل من مصر عند اليهود بداية تكوين شعب إسرائيل ، لكن هذا التكوين لم يكتمل إلا عندما أنزل الله التوراة على جبل سيناء. وتمثل التوراة تأكيدا للعهد فالتوراة تسمي بـــ "كتاب العهد" " ٧ وَتَنَاوَلَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَتَلاَهُ عَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُهُ وَنُطِيعُهُ». ٨ ثُمَّ أَخَذَ مُوسَى الدَّمَ الَّذِي فِي الطُّسُوسِ وَرَشَّهُ عَلَى الشَّعْبِ قَائِلاً: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ بِنَاءً عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الأَقْوَالِ». (الخروج : ٢٤)

فالعهد بتملك أرض كنعان مشروط حسب نص التوراة بطاعة الله والالتزام بتعاليم التوراة عدم عصيان الله .

فمن بين الميثاق المبرم بين " يهوه " وشعبه عقوبات العصيان التي يقول الرب فيها لبني إسرائيل :

" إن عصيتموني ولم تعملوا بكل هذه الوصايا ، وإن تنكرتم لفرائضي وكرهتم أحكامي ولم تعملوا بكل وصاياي ، بل نكثتم ميثاقي ، فإني أبتليكم بالرعب المفاجئ وداء السل والحُمَّى التي تُفني العينين وتتلف النفس ، وتزرعون على غير طائل ، وينهب أعداؤكم زرعكم . وأنقلب عليكم فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتحكم بكم مبغضوكم وتهربون من غير طارد لكم .

وإن أمعنتم في عصيانكم أزيد من عقابكم سبع مرات وفقاً لخطاياكم . أُذِلُّ غطرستكم ، وأجعل سماءكم كالحديد لا تمطر وأرضكم كالنحاس لا تُغِلُّ فيذهب جهدكم باطلا ... وإن لم تتعظوا ، وتماديتم في عصيانكم أنقلب عليكم وأزيد في بلائكم سبع مرات وفقا لخطاياكم . أسلط عليكم سيف العدو . فينتقم منكم لنقضكم ميثاقي .. وأجعل الأرض قفرا فيرتاع من وحشتها أعداؤكم الساكنون فيها ، وأشتتكم بين الشعوب ، وأجرد عليكم سيف ، وألاحقكم ، وأحول أرضكم إلى قفر

ومدنكم إلى خرائب . عندئذ تستوفي الأرض راحة سبتها طوال سنين وحشتها وأنتم مشتتون في ديار أعدائكم . حينئذ ترتاح الأرض وتستوفي سنين سُبُوتِها فتَعَوّض في أيام وحشتها عن راحتها التي لم تنعم بها في سنوات سُبُوتكم عندما كنتم تقيمون عليها . أما الباقون منكم في أرض أعدائكم ، فإني ألقي الرعب في قلوبهم فيهربون من حفيف ورقة تسوقها الريح ، وكأنهم يهربون من السيف . ويسقطون وليس ثمة مطارد لهم . ويعثر بعضهم ببعض كمن يفر من أمام سيف من غير مطارد لهم ، ولا تثبتون أمام أعدائكم فتهلكون بين الشعوب وتبتلعكم أرض أعدائكم . أما بقيتكم فتفنى بذنوبها وذنوب آبائها في أرض أعدائكم كما فني آباؤهم من قبلهم "(اللاويين: ٢٦)

في العهد الذي أبرمه الله مع إبراهيم كان الختان والامتثال بعمله آية حية للعلاقة الإلهية مع ذرية إبراهيم ، وفي تأكيد العهد في سيناء كانت التوراة بأكملها والالتزام بأوامرها هي التي أصبحت الآية الحية للعلاقة الإلهية مع كل اللاجئين من مصر الذين أصبحوا أمة إسرائيل .

ولكن اليهود الصهاينة كان لهم رأي آخر في العهد يخالفون فيه ليس فقط أسلافهم إنما يخالفون صراحة نصوص التوراة التي يدَّعون التمسك بها فالعهد بالعودة إلى أرض الميعاد – عندهم – ليس مشروطا بطاعة أو التزام بتعاليم التوراة .

" من وجهة نظر الديانة اليهودية، فبالرغم من أن عدم الالتزام غير مقبول ، إلا أنه لم يلغ العهد، نفسه، أبدا. يعني هذا أن العهد القائم بين الله واليهود أزلي ولا يمكن إلغاؤه والتراجع عنه أبدا .إن الذين سوف لا يستطيعون أو أنهم غير قادرين على طاعة أوامر وأحكام العهد فإنهم سيعاقبون، لكن العهد نفسه لن يزول أبدا " ٣١ لأن الرب إلهك إله رحيم لا يتركك و لا يهلكك و لا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه " (التثنية : ٤) [1]

وبهذا يتضح جليا أن العهد عند اليهود الصهاينة غير مشروط بالطاعة والالتزام بتعاليم التوراة إنما هو منحة من يهوه إله إسرائيل إلى شعبه المختار !!

---

(1) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٢٥

المرجعية النصية لأسطورة شعب الله المختار

يتيه اليهود بأنفسهم فخرا ، ويرون أنهم أفضل البشر ، بل إن تلمودهم ينص على أن الله ما خلق بقية الخلق إلا لخدمة يهود ، فهم شعب الله المختار ، وهم الوحيدون من دون الناس من نطفة بشرية ، أما غيرهم فهم من نطفة حصان .

ودونك بعض نصوص توراة اليهود التي تنص على اختيار يهوه بني إسرائيل شعبا منتسبا إليه من دون سائر الأمم .

" قَدْ شَهِدْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ ... فَهَلُمَّ الآنَ لأُرْسِلَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَتُخْرِجَ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ".(الخروج : ٣)

" ذَهَبَ مُوسَى وَهَرُونُ وَقَالاَ لِفِرْعَوْنَ: «هَذَا مَا يُعْلِنُهُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَحْتَفِلَ لِي فِي الْبَرِّيَّةِ " (الخروج : ٥)

" فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى شَعْبِكَ يَارَبُّ ؟ " (الخروج : ٥)

" قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّنِي أَنَا الرَّبُّ وَأَنَا أُحَرِّرُكُمْ مِنْ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ، وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَأَحْكَامٍ قَوِيَّةٍ. ٧ وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْباً وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً، فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مُحَرِّرُكُمْ مِنْ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ. ٨وَأَقُودُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ أَنْ أَهَبَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ لأُعْطِيَهَا لَكُمْ مِلْكاً. أَنَا هُوَ الرَّبُّ». (الخروج : ٦)

" ٦ لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ؛ إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض " (التثنية : ٧)

وكثيرة تلك النصوص التوراتية التي تنص على اتخاذ " يهوه " بني إسرائيل شعبا مختارا من دون بقية الشعوب ، لكن ما هو المبرر الذي يسوقه علماء اليهود لتبرير هذا الاختيار ؟

المبرر – حسب الرؤية اليهودية – هو وفاء " يهوه " لعهده مع إبراهيم "٧ وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيل، فَأَكُونُ إِلَهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً»." (التكوين : ١٧)

ولكن السؤال مازال قائما ، لماذا خصَّ " يهوه " إبراهيم ونسله بهذا العهد دون سائر البشر ؟ ولماذا يختار " يهوه " بني إسرائيل شعبا مختارا ؟

ودونك رد علماء اليهودي عن هذا السؤال " تمثل دائما عبارات العهد القديم حول ماهية الله الحقيقة التاريخية للعالم القديم الذي كان بنو إسرائيل الشعب الوحيد الذي اعترف فيه بالتوحيد والوحدانية الإلهية. ولربما يعتبر بنو إسرائيل الوحيدين الذين اعترفوا بالتوحيد الإلهي الحقيقي في كل الفترة التوراتية الممتدة أكثر من ألف سنة مع احتمال استثناء قصير لإخناتون فرعون مصر. لا يوجد شعب آخر على الأرض قد توصل إلى حقيقة وحدانية الله، وظل مخلصا لتلك الحقيقة. فلهذا السبب وجَّه العهد القديم رسالته تقريبا لبني إسرائيل على الخصوص، لعدم وجود شعب آخر يستطيع فهمها والاستجابة لها بشكل فاعل .

يُنْظر إلى هذا أحيانا كأنه يعني الخصوصية حيث ورد في العهد القديم أن الله قد عين بني إسرائيل كشعبه المتميز وهذا التوجه ليس غريبا، ولا يجب الاستغراب من هذا التوجه إذا أُخِذ تاريخ الفترة في عين الاعتبار.

وبسبب الإطار التاريخي، فإن الوثنية لا تعتبر بالضرورة خطيئة لغير بني إسرائيل لأنها تعبير لحقيقة الوجود البشري باستثناء إسرائيل . لكنْ نَذَر بنو إسرائيل أن لا يقعوا أبدا فريسة لإغرائها . " (١)

إذن كان اختيار " يهوه " لبني إسرائيل شعبا مختارا – حسب الرؤية اليهودية – لأنهم أول شعب آمن بالله الواحد الأحد ، والتزم بأوامر التوراة . لكن التوراة لا تفتأ تصف بني إسرائيل بالكفر والشرك والخروج على شريعة الرب مما يؤكد أن اختيار " يهوه " لبني إسرائيل كان لجنسهم لا لإيمانهم .

فإيمان بني إسرائيل بالله وحده يمثل الاستثناء على مدى تاريخهم ، إنما القاعدة التي تؤكدها توراة اليهود هي كفر بني إسرائيل بالله وعبادتهم لآلهة أخرى وعصيانهم له وارتكابهم الموبقات في عينه !!

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٧٦، ٧٧ .

" واقترف بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم ، ونبذوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من ديار مصر وغووا وراء آلهة أخرى من أوثان الشعوب المحيطة بهم ، وسجدوا لها ، فأغاظوا الرب . وتركوا الرب وعبدوا البَعل وعَشتَارُوث . فاحتدم غضب الرب على إسرائيل " (القضاة : ٢) (١)

ولما وجد اليهود أن فكرة التوحيد كسبب للاختيار تتناقض مع نصوص التوراة التي تؤكد خروجهم الدائم عليه ، عادوا إلى فكرة العهد مرة ثانية ، ولكن فكرة اختيارهم وفاء لعهد يهوه لإبراهيم أوقعهم في مأزق آخر وهو أن التوراة أكدت أن بني إسرائيل لم يعرفوا التوحيد إلا بعد تلقي موسى التوراة ، ولم يعد التوحيد خالصا إلا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد وأن قبل ذلك كانت البشرية بما فيها آباء بني إسرائيل : إبراهيم ،وإسحق ، ويعقوب ، وموسى ، وداود ، وسليمان وغيرهم كانوا مشركين . فكيف يعطي الله عهدا لمشرك بتملك الأرض المقدسة ، وكيف يصطفي نسله المشركين شعبا مختارا !!

يقول جارودي : " أضافت ترجمة مجمع الكنائس حاشية جاء فيها : " منذ زمن بعيد ، كان الاعتقاد سائدا في إسرائيل بوجود آلهة أجانب وقوتهم . " .

ولم يحدث إلا بعد المنفى ولا سيما لدى الأنبياء أن ثبتت الوحدانية أما ثبوت الوحدانية الخالصة لله ، أي الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج : " لا يكنْ لكَ آلِهَةٌ أُخرَى سِوَايَ " (الخروج : ٢٠) إلى صيغ تكتفي بفرض الطاعة ليهوه وليس لآلهة الآخرين ، مثلما جاء في سفر التثنية .

" فالرب إلهكم تتقون ، وإياه تعبدون ، وباسمه تحلفون . لا تسيروا خلف آلهة أخرى من آلهة الأمم المحيطة بكم " (التثنية : ٦)

وتكرر في سفر إشعياء " ألست أنا الرب ولا إله غيري ؟ بار ومخلص وليس هناك آخر " (إشعياء : ٤٦)

وهذا التأكيد الذي لا يقبل الجدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثاني من القرن السادس ق . م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩) (٢)

---

(١) لمعرفة رأي التوراة في اليهود راجع كتاب " حقيقة اليهود والصهيونية ، وأوهام الأمة العربية " للمؤلف . الفصل الأول : بنو إسرائيل في توراة اليهود .

(٢) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص٤٧، ٤٨ .

إذن لم يعرف بنو إسرائيل – حسب نصوص التوراة – التوحيد الخالص إلا بعد النفي أما قبل ذلك فقد كان الناس كلهم مشركين بما فيهم أنبياء الله ورسله !!

لكن كيف يتخلص بنو اليهود من مأزق اختيار يهوه لهم لأنهم أول الموحدين وتوراتهم تؤكد تأخر معرفتهم للتوحيد الخالص ، كما تؤكد خروجهم الدائم عليه لكن علماء اليهود عمدوا إلى طريقة ذكية للتخلص من هذا المأزق فقالوا : إن " يهوه " قد اختارهم بموجب عهده لإبراهيم ، وأن هذا الاختيار اختيار أبدي لا يمكن الرجوع فيه ، ولكي يجبر " يهوه " شعبه على الإيمان به وعدم الخروج على شريعته فإنه قرر أن يعاقب كل من يعبد غيره بألوان شتى من المصائب (١) حتى يعود إلى عبادته ، يعصوه فيغضب عليهم ويعاقبهم ثم يتوب عليهم لكن العهد والاختيار ثابت لا يتحول عنهم ويظل الحال هكذا دواليك طوال التاريخ حتى يعود اليهود إلى إيمانهم الكامل آخر الزمان ، وهنا يأتي خلاصهم على يد المسيح المخلص الذي هو من نسل داود .

هذا ليس كلامي ، ولا حتى كلام اليهود العاديين إنما هو كلام كبار علماء اليهود كما فهموه من نصوص التوراة .

" فكما أن العهد القديم يصف بني إسرائيل باختيار الله لهم بإعطائهم التوراة، فإنه أيضا يجب على بني إسرائيل أن يكونوا إلى الأبد "الشعب الذي يختار" ويظل مخلصا للأوامر الإلهية رغم الإغراءات الكثيرة التي تمثلها الحضارات الإنسانية المحيطة. لكن اليهود، مثل بقية البشر، ضعفاء فيقعون فريسة الإغراء. ويصف العهد القديم الأمر الذي تسبب دائما في عقابهم. لم تعاقب الأمم الأخرى على ذات المخالفات. لكن بما أن التوراة نزلت على بني إسرائيل فإنهم ملزمون باتباعها بالتمام والكمال .

لكن كبقية كل البشر فإن اليهود بشر معرضون للخطيئة. فلهذا استعرض العهد القديم تاريخا طويلا ومتكررا لفشل اليهود في الامتثال للأمر الإلهي. يأتي الفشل بالعقاب الإلهي الذي تتبعه توبة إسرائيل التي يجيب الله عليها بالمحبة والرحمة .

---

(١) راجع عقوبات العصيان .

لكن كون بني إسرائيل بشر، فإنهم يعصون الله مرة أخرى، وهذه فكرة رئيسة في التاريخ الديني للشعب اليهودي. ومع ذلك فإن تحقيق الغاية الإلهية لم يكن محل شك أبدا. إن شعب إسرائيل لن يهلك (أرميا ٣١: ٢٦ــ٢٧). إنه سيعود إلى إيمانه الكامل، بحسب اللاهوت اليهودي، وسيأتي بالنجـــاة إلى كل الأرض بقيـــادة كل واحد إلى الله في الخلاص النهائي في آخر الساعة (إرميا ٣ :١٧ــ١٨) لكن، إلى أن يحين ذلك الوقت فإن شعب إسرائيل سيظل شاهدا لله (أشعياء ٤٤: ٨) وسيستمر في العذاب عندما يعصي " (١)

الأمر أصبح الآن واضحا إن " يهوه " قد اختار اليهود ليكونوا شعبه اختيارا أبديا لا تبديل فيه ولا تحويل ، فاليهود شعبه المختار أبدا وإن كفروا به وعصوه لأنه يحبهم ، وغيرهم من الأمم الأخرى مطرودون من رحمة الله ومحرومون من حبه وإن آمنوا بالله الواحد الأحد ولم يشركوا به شيئا !!

أسطورة النقاء العرقي لليهود

الأسطورة الدينية الثالثة بعد أسطورتي : الأرض الموعودة ، وشعب الله المختار هي أسطورة النقاء العرقي لليهود ، وقصر السامية عليهم وحدهم ، بمعنى إذا أطلقت كلمة ساميين فإنها تعني اليهود فقط ، وأن معاداة السامية تعني معاداة اليهود دون غيرهم من الشعوب السامية الأخرى . وعليه فهم يفترضون :

١- أن اليهود المحدثين هم ورثة العبرانيين القدامى .

٢- أن دولة إسرائيل هي الوريثة الشرعية الوحيدة لمملكة داود القديمة التي قامت على أرض فلسطين .!!

و لكي يحافظ اليهود على نقائهم العرقي فإنهم عمدوا إلى :

١- تحريم الزواج بغيرهم من الأمم الأخرى .

٢- فرض العزلة الاختيارية على الجماعات اليهودية في الشتات .

لقد حرص اليهود على إثبات نسبتهم إلى سام بن نوح ، كما حرصوا على إثبات نقاء جنسهم السامي على مدى التاريخ . بأنهم لا يتزوجون ولا يزوجون إلا من كان

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٧٦

يهوديا صحيح النسب إلى سام ! وهذه هي أوامر " يهوه " إلههم حفاظا على جنسهم السامي من أن يدنس بأي من الأجناس الأخرى ، وبذلك لا تختلط دماء شعب الله المختار بأية دماء أخرى ، وليكونوا وحدهم – دون سائر الأمم – المستحقين للوعود الإلهية بملك أبدي لأرض كنعان ، والخلاص على يد الماشيخ في آخر الزمان .

المرجعية النصية لأسطورة النقاء العرقي لليهود

ودونك ما تستشهد به جماعة اليهود لتأكيد بقاء جنسهم ونقائه ، وصحة نسبهم إلى سام دون غيرهم من الأمم .

" إن شعب إسرائيل لن يهلك " (أرميا ٣١: ٢٦ــ٢٧)

" فاعلموا أن الرب إلهكم هو الله الإله الأمين الوفي بالعهد والإحسان لمحبيه وحافظي وصاياه إلى ألف جيل " (التثنية : ٧)

هذان النصان هما أساس أسطورة بقاء واستمرار اليهود ، فالنص الأول يبين أن شعب إسرائيل باق خالد لن يهلك ، أما النص الثاني فيبين أن إله إسرائيل الأمين الوفي سوف يفي بعهده لشعبه المختار إلى ألف جيل .

أما النصوص التي يستشهدا بها اليهود على نقاء عنصرهم وعدم اختلاطه بدم الأغيار فهي :

" إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَهاً آخَرَ غَيْرِي، لأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ جِدّاً. إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْقِدُوا مُعَاهَدَةً مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ، لأَنَّهُمْ حِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَتَهُمْ مُشْرِكِينَ وَيَذْبَحُونَ لَهُمْ، يَدْعُونَكُمْ فَتَأْكُلُونَ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ. وَتُزَوِّجُونَ بَنِيكُمْ مِنْ بَنَاتِهِمْ، فَيَجْعَلْنَ بَنِيكُمْ يَغْوُونَ أَيْضاً بِعِبَادَةِ آلِهَتِهِنَّ." (الخروج : ٣٤)

فيحذر " يهوه " إله إسرائيل شعبه المختار من الزواج من المشركين غير شعب إسرائيل .

" ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التي أنتم ماضون إليها لترثوها ، وطَرَد من أمامكم سبع أمم ، أكثر وأعظم منكم ، وهم الحثيون والجرجاشيون والأموريون واليبوسيون . وأسلمهم الرب إليكم وهزمتموهم ، فإنكم تحرّمونهم . لا تقطعوا لهم

عهدا ، ولا ترفقوا بهم ، ولا تصاهروهم . فلا تُزَوِّجوا بناتكم من أبنائهم ، ولا أبناءكم من بناتهم ، إذ يغوون أبناءكم عن عبادتي ليعبدوا آلهة أخرى ، فيحتدم غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا .. لأنكم شعب مقدّس للرب إلهكم فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص "(التثنية:٧)

وهذا الفصل العنصري هو الطريقة الوحيدة لمنع تدنيس العنصر المختار من الرب ، والدين الذي يربطه به . وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون .

إذن تمَّ بقاء شعب إسرائيل بموجب تعهد من إله إسرائيل بعدم هلاكهم ، ولكي يتم نقاء الجنس اليهودي فلا بد من تحريم الزواج من أجنبيات ؛ لذا فإن اليهود فرضوا على أنفسهم العزلة والعيش في الجيتو منذ خروجهم من أرض فلسطين وتشتتهم في البلاد حتى يحافظوا على جنسهم السامي من دنس الأغيار !

إن بقاء الجنس اليهودي السامي نقيا لم يدنس بدماء أخرى أسطورة تتواتر في التواريخ المتأثرة بالرؤية الصهيونية، بل نجدها دائماً مقرونة بكلمة «معجزة». ومصطلح «البقاء اليهودي» مرتبط بمصطلحات صهيونية أخرى مثل :" الاستمرار اليهودي" و" الشعب اليهودي" و" التاريخ اليهودي " و " الشخصية اليهودية "، وهي جميعاً تنبع من نموذج تفسيري واحد يفترض وجود جماعة متجانسة يُقال لها " اليهود " احتفظت بهويتها المستقلة، رغم انتقالها من مكان إلى آخر، ورغم تواجدها في أزمنة مختلفة. وعادةً ما يُقارَن هذا البقاء اليهودي باختفاء بعض الشعوب الأخرى مثل اختفاء الآراميين والبابليين، وحدوث بعض الشعوب الأخرى مثل العرب .

وهذا المفهوم، مثل غيره من المفاهيم الصهيونية، يفترض نوعاً من الاستمرار والوحدة والتجانس لا وجود له لا على مستوى النسق الديني أو على مستوى الجماعات اليهودية .(١)

الخلاص الإلهي لبني إسرائيل في آخر الزمان

ادعى اليهود أن هناك نصوصا من العهد القديم قد بشرت – خصوصا من أسفار الأنبياء – بالزمن الذي سيقضي فيه الله على كل الجور في هذا العالم. وسيرد الله

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٤ ج١ إشكالية التاريخ اليهودي مرجع سابق .

بني إسرائيل من كل شتاتهم إلى القدس، وإلى أرض إسرائيل، حيث يحكمون بالعدل والسلام ويباركون بمحبة الله (إشعياء ١١ :١١ــ١٢، عاموس ٩: ١٤ــ١٥). ولقد ورد في نصوص أخرى أن الشخص الذي سيحكم إسرائيل ويؤدي إلى الاستقامة والخلاص في نهاية الزمن سيكون من سلالة داود الموحد الكبير لإسرائيل في قديم الزمان. لكن الله وحده هو الذي سيحقق معجزة الخلاص، علما بأنه لم يرد في التوراة ما يشير إلى أن شخصاً بطلاً منقذاً سيقوم بمعجزة تحقيق هذا الخلاص. وبالرغم من هذا فقد بدأ كثير من اليهود داخل الإمبراطورية الرومانية في الاعتقاد أن الشخصية التي سيكون على يدها الخلاص الإلهي هي شخصية تحظى بالتوجيه الرباني . (١)

وإليك نصوص التوراة التي يستشهد بها اليهود على خلاص الرب لهم في آخر الزمان :

" ١١ و يكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من أشور و من مصر و من فتروس و من كوش و من عيلام و من شنعار و من حماة ومن جزائر البحر ١٢ و يرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل و يضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض " (إشعياء : ١١)

" ١٤ وأردُّ سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدنا خربة و يسكنون و يغرسون كروما ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها ١٥ وأغرسهم في أرضهم ولن يقلعوا بعد من أرضهم التي أعطيتهم قال الرب إلهك " (عاموس:٩)

" ١٧ في ذلك الزمان يسمون أورشليم كرسي الرب ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب إلى أورشليم ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرير . ١٨ في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل ويأتيان معا من أرض الشمال إلى الأرض التي ملكت آباءكم إياها " (إرميا : ٣)

" ٧ ها أنا أنقذ شعبي المنفي في أرض المشرق أو المغرب . ٨ وأردهم إلى أورشليم ليسكنوا فيها ويكونون لي شعبا وأكون لهم إلها بالحق والعدل .. ١٣ وكما كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل فإنني أخلصكم فتصبحون بركة " (زكريا : ٨)

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٢٥

هذه هي النصوص التي يَدَّعي اليهود – غير الصهاينة – أنها خاصة بنهاية الزمان ، وأن عليهم انتظار مجيء المسيخ ليحققها لهم ، وأن سعيهم بأنفسهم لتحقيق الخلاص يُعَدُّ اعتداء على إرادة إله إسرائيل ، فالشتات الذي يعيشون فيه إنما هو عقوبة من إله إسرائيل لمخالفتهم وصاياه ، وعندما تحين مشيئة إله إسرائيل فإنه يعيدهم إلى أرض الميعاد ليس لأجلهم يفعل هذا ، بل غَيْرَةً منه على اسمه الذي دنسوه بين الأمم التي تفرقوا بينها .

وهذا ما أوحى به إله إسرائيل إلى رسوله حزقيال ليبلغه لبني إسرائيل :

" قل لشعب إسرائيل : ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل (عظائم) يا شعب إسرائيل ، بل غيرة على اسمي الذي دنستموه بين الأمم التي تفرقتم بينها فأقدس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجسا بين الأمم التي تفرقتم بينها فتدرك الأمم أني أنا الرب حين أتقدس فيكم أمام أعيينهم يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن أصنامكم ... ولهذا اعلموا أنه ليس من أجلكم أنا أفعل هذا ، يقول السيد الرب فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا شعب إسرائيل " (حزقيال : ٣٦)

هذه هي النصوص التوراتية وهذا هو تفسير الصهيونية لها وهي بينة الوضع متهافتة البناء يصدق عليها المثل العربي " يكاد المريب يقول خذوني " .

أهم العقائد اليهودية

ووفقا لهذه للنصوص التي أوردناها تكون العقيدة اليهودية كما جاءت في توراة اليهود مبنية على الأسس الآتية :

١- جعل الإله الواحد إلها لبني إسرائيل فقط (١) ومجال سلطانه قاصرا على حدود شعبه " لأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك " وأُطلق عليه اسم " يهوه " لتمييزه

---

(١) جاء في سفر التكوين على لسان يعقوب الذي كان قد خطط للهروب من خدمة خاله وأبي زوجتيه " لابان " " إني أرى أن أباكما لم يعد يعاملني كالعهد به من قبل ولكن إله آبائي كان ومازال معي أما أبوكما فقد غدر بي " وبالفعل يتمكن يعقوب من الهرب مع عائلته وتسرق راحيل زوجته وبنت لابان أصنام أبيها و عندما يعرف لابان بهروب يعقوب يطارده تى إذا ما ظفر به قال له " إن بمقدوري أ أوذيك ولكن إله أبيك أمرني ليلة أمس قائلا إياك أن تخاطب يعقوب بخير أو شر و الآن أنت يمضي لأنك اشتقت لبيت

عن بقية الآلهة مع الاعتراف بوجود آلهة أخرى للشعوب الأخرى وقد نتج عن ذلك الفهم أن امتنع الإسرائيليون عن التبشير بالتوحيد كما أنهم لم يمنعوا غيرهم من عبادة آلهة أخرى " (١)

٢- قصر الوعود والمواثيق الإلهية على بني إسرائيل فقط ، و أهم هذه الوعود إعطائهم أرض كنعان ملكا أبديا لهم وتم تغيير اسمها من أرض كنعان إلى [أرض إسرائيل] " وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكا أبديًا وقد حدد لهم حدود هذه الأرض و(لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات).

٣- وحدة الإله بالشعب بالأرض بالتاريخ اليهودي : حسب المفهوم اليهودي للتوراة والتلمود يصبح اليهود تجسيدا للإله في الأرض " ولذا فهو شعب مقدَّس وأرضه مقدَّسة وتاريخه مقدَّس أما بقية العالم فتنسحب منه القداسة تماماً " (٢)

٥- جعل من يلعنهم ملعون من الرب ومن يباركهم مبارك من الرب " ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين"

وعلى ذلك فما على الشعوب إلا الانصياع لليهود الصهاينة ومباركة كل أعمالهم وإن كانت إجرامية – وهي دائما كذلك – و إلا عرَّضوا أنفسهم للعنة الرب واتهموا من اليهود بمعاداة السامية .

٦- الخلاص : وهو يعني أن الشتات الذي حدث لهم إنما هو عقاب من يهوه لشعبه بسبب عصيانهم له ، وبعدهم عن عبادته ، والشتات ما هو إلا تطهير لهم من ذنوبهم تماما كفترة التيه في سيناء ، وبعد انقضاء فترة العقوبة يرسل يهوه لهم مشيحا مخلصا من نسل داود لكي يعيدهم مرة ثانية إلى أرض الميعاد ليؤسس حكومته العالمية في صهيون و يهزم أعداءهم أجمعين من بقية الأمم غير اليهودية .

أبيك ولكن لماذا سرقت آلهتي فأجاب يعقوب لأنني خفت أن تغتصب ابنتيك مني و الآن من تجد آلهتك معه فالموت عقابه فتش أمام إخوتنا كل ما معي إن وجدت شيئا فخذه ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل قد سرقت الآلهة "

(١) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " ص ١٧

(٢) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " مرجع سابق م ٤ / ج ١ / الباب الأول " الرؤية الصهيونية للتاريخ

و إليك ما جاء في التلمود وهو مستند الحركة الصهيونية وهو تفسير العلماء اليهود للعهد القديم :

" يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم ، وقبل أن يحكم اليهود نهائيًا باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلثا العالم ، وسيأتي المسيح الحقيقي ، ويحقق النصر القريب ، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الثراء، لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعًا، ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل وتكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح "

أرأيتم كيف آل ميراث ووعود نوح لسام إلى إسرائيل إلى بنيه إلى يهود اليوم ؟!

هذا هو فكر اليهود التاريخي .

" إن ثمة تطابقاً كاملاً بين الوحي والعقيدة والتاريخ. فجماعة إسرائيل تتلقى تجربتها الدينية الحاسمة على مستوى الشعب كله، لا على مستوى الأنبياء وحسب وهو ما يعني في واقع الأمر أن أعضاء جماعة إسرائيل كلهم أنبياء .

ومن ثم ، فإن مجتمع إسرائيل ككل يعيش التاريخ والوحي باعتبارهما ظاهرة واحدة : التاريخ باعتباره وحياً، والوحي باعتباره تاريخاً. وهكذا يتحول اليهود إلى شعب من الكهنة والأنبياء ويتحول تاريخهم إلى وحي مستمر " (١)

***

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " مرجع سابق م ٤ / ج ١ / الباب الأول " : الرؤية الصهيونية للتاريخ " .

الفصل الثاني

الرد على أسطورة الأرض الموعودة

آراء علماء اللاهوت في العهد الإلهي لآباء بني إسرائيل

قبل أن نحلل النصوص التوراتية حول الوعد الإلهي لبني إسرائيل نذكر موجزا للآراء بعض كبار علماء اللاهوت والباحثين في العهد القديم حول أسطورة الأرض الموعودة .

ونبدأ برأي عميدة كلية اللاهوت البروتستانتية في باريس ، والذي يشاركها كثير من علماء اللاهوت فيه " إن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكي على أنه إضفاء للشرعية بعد الأحداث على الغزو الإسرائيلي لفلسطين ، أو على أنه امتداد لسيادة الإسرائيلية في عهد داود . بعبارة أخرى فقد أُدْخِل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبي الداودي والسليماني . "

أما الرأي الثاني فللبروفسور " غليوم " أستاذ العهد القديم في جامعة لندن وأستاذ اللغات الشرقية في جامعة برمنجهام سابقا وواضع العديد من المؤلفات عن العهد القديم ، يقول غليوم :

" إن النصوص الواردة في العهد القديم تعطي تفسيرا غامضا لرقعة هذه الأرض إنها تبتدئ من شجام (نابلس) وتمتد لتشمل كل المنطقة من النيل إلى الفرات ، وينص أحد الوعود على أن نسل إبراهيم سينتشر في الجهات الأربع ، وهنا أيضا من المهم أن ننتبه أن الوعد بالسيطرة على المنطقة من النيل إلى الفرات قد أُعْطِيَ

قبل مولد إسحاق وإسماعيل لذا فإن الوعد لا يعني أن هذه المنطقة تكون إسرائيلية (إي لنسل إسحاق) خالصة . " (١)

ونختتم هذه الآراء بذكر موقف المفكر الفرنسي الأشهر رجاء جارودي من النصوص التوراتية الخاصة بأصول الوعد المعطى للآباء .

" إننا لسنا في حِل من التأكيد على أنه في فترة ما من فترات التاريخ ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وأنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان ومن الناحية القانونية فإننا لا نملك صك للهبة موقعة من الله بل لدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر في أن المنظر الوارد في سفر التكوين (١٢ : ١-٨ / ٨ ، ١٣- ١٤/ ١٨) على سبيل المثال لا يعكس حادثة تاريخية .

فهل من الممكن والحال هذه تفعيل وعد الآباء ؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه في خدمة المطالبات السياسية فهو قطعا ليس كذلك .

فليس هناك أي سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه ، ولا نتفق بأي شكل من الأشكال مع أي من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إضفاء الشرعية على المطالبة بالأراضي الحالية لدولة إسرائيل . (٢)

وبعد أن عرفنا رأي علماء اللاهوت والباحثين في الوعد الإلهي نبدأ الآن بتحليل النصوص التوراتية التي يستند إليها اليهود الصهاينة في إثبات أحقيتهم في استيطان الأرض الموعودة أرض كنعان التي تمتد من النيل للفرات .

إسماعيل هو ابن إبراهيم البكر

تنص توراة اليهود على أن إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم " ١٥فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لأَبْرَامَ ابْناً، فَدَعَا أَبْرَامُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ. ١٦وَكَانَ أَبْرَامُ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا وَلَدَتْ لَهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ." (التكوين : ١٦)

---

(١) نقلا عن حسين الطنطاوي " الصهيونية والعنف " دار الشعب ص ٦٦

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص٣٩ ، ٤٠

ثم تنص توراة اليهود على أنه بعد مولد إسماعيل بثلاث عشرة سنة بشّر الله إبراهيم بميلاد اسحق من سارة ، وتعجب إبراهيم أن يولد له ابن آخر وقد بلغ المئة عاما " «أَيُولَدُ ابْنٌ لِمَنْ بَلَغَ الْمِئَةَ مِنْ عُمْرِهِ؟ وَهَلْ تُنْجِبُ سَارَةُ وَهِيَ فِي التِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهَا؟ » " (التكوين : ١٧)

لكن الله قضت مشيئته " ٢فَحَبِلَتْ سَارَةُ وَوَلَدَتْ لإِبْرَاهِيمَ فِي شَيْخُوخَتِهِ ابْنــاً، فِــي الْوَقْتِ الَّذِي عَيَّنَهُ اللهُ لَهُ. ٣فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ الَّذِي أَنْجَبَتْهُ لَهُ سَارَةُ «إِسْحقَ». "
(التكوين : ٢١)

ويَعِد الرب سارة أن تكون أمّاً لشعوب ومنها ينحدر ملوك أمم " ١٥وَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «أَمَّا سَارَايُ زَوْجَتُكَ فَلاَ تَدْعُوهَا سَارَايَ بَعْدَ الآنَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُهَا سَارَةَ (وَمَعْنَاهُ أَمِيرَةٌ). ١٦وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ ابْناً مِنْهَا. سَأُبَارِكُهَا وَأَجْعَلُهَا أُمّاً لِشُعُوبٍ، وَمِنْهَا يَتَحَدَّرُ مُلُوكُ أُمَمٍ» " (التكوين : ١٧)

ثم يؤكد الرب لإبراهيم أنه سيكون له نسل من إسحق :

" لأنه بإسحق يدعى لك نسل " (التكوين : ٢١)

والعجيب أن تنص التوراة بعد ذلك على أن إسحق هو الابن الوحيد لإبراهيم لتنسب له شرف الفداء من الذبح وهي التي ذكرت أن إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم ، كما ذكرت أن إبراهيم سيكون له نسل من اسحق فكيف يعده الله بالنسل من إسحق ثم يطلب منه أن يقدم ابنه للمحرقة وهو بَعْدُ صغير لم يتزوج وليس له ولد !!

" وَبَعْدَ هَذَا امْتَحَنَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، فَنَادَاهُ: «يَاإِبْرَاهِيمُ» فَأَجَابَهُ: «لَبَّيْكَ». ٢فَقَالَ لَهُ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، إِسْحقَ الَّذِي تُحِبُّهُ، وَانْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَقَدِّمْهُ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَهْدِيكَ إِلَيْهِ». " (التكوين : ٢٢) .

ومن الواضح الجلي – كما أشار إلى ذلك الباحثون قديما وحديثا – أن اسم إسحق قد أُقْحِم على النص السابق فيما بعد إذ كيف يكون إسحق هو الابن الوحيد وقد وُلِدَ إسماعيل قبله بأربع عشرة سنة بنص توراة اليهود نفسها !!

وتؤكد التوراة على أن الذاهب إلى المحرقة هو ابن إبراهيم الوحيد " فناداه ملاك الرب من السماء قائلا :

" إبراهيم ، إبراهيم فأجاب " نعم " فقال : " «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الصَّبِيِّ وَلاَ تُوقِعْ بِهِ ضُرّاً لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَخَافُ اللهَ وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي»... ١٥وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ مِنَ السَّمَاءِ مَرَّةً ثَانِيَةً: ١٦وَقَالَ: «هَا أَنَا أُقْسِمُ بِذَاتِي يَقُولُ الرَّبُّ: لأَنَّكَ صَنَعْتَ هَذَا الأَمْرَ، وَلَمْ تَمْنَعِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، ١٧لأُبَارِكَنَّكَ وَأُكَثِّرَنَّ ذُرِّيَّتَكَ فَتَكُونُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَرَمْلِ شَاطِيءِ الْبَحْرِ، وَتَرِثُ ذُرِّيَّتُكَ مُدُنَ أَعْدَائِهَا. ١٨وَبِذُرِّيَّتِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، لأَنَّكَ أَطَعْتَنِي» " (التكوين : ٢٢)

وعليه فإنه من المؤكد أن أمر التضحية والفداء قد جاء في وقت لم يكن فيه لإبراهيم سوى ولد وحيد هو إسماعيل . وبالتالي لا تنطبق على إسحق صفة «الوحيد». وقد نصت توراة اليهود على أن إسماعيل كان الابن الوحيد لإبراهيم لمدة أربعة عشر عاما .

" ٢١غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحقَ الَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ». ٢٢وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ مُحَادَثَتِهِ فَارَقَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ.٢٣وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَيْنِهِ أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ وَجَمِيعَ الْمَوْلُودِينَ فِي بَيْتِهِ وَكُلَّ مَنِ اشْتَرَيَ بِمَالٍ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. ٢٤وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي التَّاسِعَةِ وَالتِّسْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ عِنْدَمَا خَتَنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ، ٢٥أَمَّا إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ فَقَدْ كَانَ ابْنَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ. ٢٦وَهَكَذَا خُتِنَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ. " (التكوين : ١٧)

واليهود إذ ينفون عن إسماعيل صفة الذبيح المُفتدَى وينسبونها لإسحق فإنهم يرمون من وراء ذلك اتصاف اسحق بكل مكرمة فهو أولا ابن سارة الحرة وليس ابن هاجر الجارية كإسماعيل ، وهو صاحب العهد الأبدي هو وذريته قبل أن يولد ، وهو الذبيح المفدى لذا فهو الحقيق بأن يدعى الابن الوحيد لإبراهيم من دون إسماعيل تجهيزا له ليرث عهد الله لإبراهيم بامتلاك أرض كنعان !!

يقول البروفسور (غليوم) :

" يُعتَقَد حاليا أن هذه الوعود قد أعطت لليهود وحدهم ، ولكن التوراة لا تنص على ذلك إن عبارة " نسلكم " تشمل بدون شك العرب مسلمين ومسيحيين الذين

يملكون حق القول أنهم من نسل إبراهيم عن طريق ابنه إسماعيل إنه من المعتقد أن إسماعيل هو جد عدد كبير من القبائل العربية ، ونص سفر التكوين على أن إبراهيم هو جد العديد من قبائل شمال شبه الجزيرة العربية من نسل إحدى سراياه ، وعلاوة على ذلك فإنه لما أعطي عهد الطهور لإبراهيم (سفر التكوين ٢ ، ١٥) ووعد هو وأهله بأرض كنعان كملك أبدي قد عني إسماعيل آنذاك خصوصا وقد كان اسحق لم يولد بعد " (١)

ويركز العهد القديم على عدم نقاء دم إسماعيل ، فهو أولاً من أم مصرية ، ثم إنه تزوج هو نفسه من مصرية ، واندمج نسله مع المَدْيَنيين والمؤابيين ، الأمر الذي جعلهم خصوماً للعبرانيين على الدوام . وقد تم استبعاده من الميثاق الذي عُقد بين إبراهيم والخالق والذي ورث بموجبه نسل إبراهيم أرض كنعان .

وتصف توراة اليهود إسماعيل بأبشع الصفات .

" أَضَافَ مَلاَكُ الرَّبِّ: «هُوَذَا أَنْتِ حَامِلٌ، وَسَتَلِدِينَ ابْناً تَدْعِينَهُ إِسْمَاعِيلَ (وَمَعْنَاهُ: اللهُ يَسْمَعُ) لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ شَقَائِكِ. وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يُعَادِي الْجَمِيعَ وَالْجَمِيعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعِيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِهِ " (التكوين : ١٦) أي أن إسماعيل سيعادي كل الناس ويعاديه الناس جميعا ! .

وتُصوِّر الأجاداه إسماعيل شخصيةً شريرة فشل إبراهيم في تربيته، فهو يفسد النساء ويعبد الأوثان ويحاول قتل إسحق، ولكنه ماهر في استخدام السهم والقوس. تزوج من امرأة مؤابية، وحينما زارهما إبراهيم كان إسماعيل غائبـــاً. ولم تكرم الزوجـــة المؤابية وفادته، فترك إبراهيم له رسالة بأن عليه – أي إسماعيل – أن يُغيِّر وتد خيمته. ففهم إسماعيل مضمون الرسالة، وطلق زوجته وتزوج كنعانية تُسمَّى فاطمة (!).

وقد ندم إسماعيل في نهاية حياته على كل المعاصي والآثام، وتنحَّى جانباً في جنازة إبراهيم احتراماً لأخيه إسحق. ويُعتبَر إسماعيل أبا للعرب وقد كان يُشار إلى العرب في الكتب الدينية اليهودية في العصور الوسطى باسم الإسماعيليين. والآن

---

(١) نقلا عن حسين الطنطاوي " الصهيونية والعنف " مرجع سابق ص ٦٦

يُطلق سكان الكيبوتسات على العاملات العربيات اللائي يعملن فيها اسم كومبينه فاطمة "[1]

هل إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم المستحق لميراثه ؟

نصت التوراة على أن هاجر كانت جارية سارة ولمَّا كانت سارة عاقراً فقد طلبت من إبراهيم أن يتزوج بهاجر فينجب منها حتى لا ينقطع نسله .

" وَأَمَّا سَارَايُ زَوْجَةُ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ. وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ مِصْرِيَّةٌ اسْمُهَا هَاجَرُ، ٢فَقَالَتْ سَارَايُ لأَبْرَامَ: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ». فَسَمِعَ أَبْرَامُ لِقَوْلِ سَارَايَ. ٣فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ أَبْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَتَهَا، مِنْ بَعْدِ عَشَرِ سِنِينَ لإِقَامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَأَعْطَتْهَا لأَبْرَامَ رَجُلِهَا زَوْجَةً لَهُ " (التكوين : ١٦)

وتؤكد التوراة في مواضع كثيرة على أن هاجر جارية ، وابنها إسماعيل ابن الجارية ، وتكرر هذا بشكل ملفت " فأنا قد زوجتك من جاريتي " " ها هي جاريتك تحت تصرفك " " يا هاجر جارية ساراي " " إنني هاربة من وجه سيدتي سارة "

" ٩وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، ١٠فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». ١١فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. ١٢فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. ١٣وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ»." (التكوين : ٢١)

أرأيتم كم مرة وُصِفت فيها هاجر بأنها جارية ، وإسماعيل بأنه ابن الجارية !!

لما هذا التكرار الممل ؟

أنا أقول لكم هذا التكرار – بيِّن الوضع – أضيف إلى التوراة لاحقا ليئول ميراث إبراهيم لإسحاق دون إسماعيل لأن ابن الجارية لا ينبغي له – في منطق اليهود – أن يرث من أبيه هذا بالإضافة لسوء طبعه وفساد خلقه !

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ١ / الباب الثامن " إسماعيل " مرجع سابق

لكن ليس هناك جريمة كاملة كما يُقال فإن توراة اليهود نسيت أن تحذف جملة " ١٣وَسَأُقِيمُ مِن ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضاً لأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ." فتوراة اليهود تنص على أن إسماعيل من ذرية إبراهيم ، و كانت قد نصت على أن الله قد وهب لإبراهيم وذريته جميع أرض كنعان " ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً». " (التكوين : ١٧)

وتؤكد التوراة هذا العهد : " ٩وَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «أَمَّا أَنْتَ فَاحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ مَدَى أَجْيَالِهِمْ. ١٠هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ " (التكوين : ١٧)

يقول المثل إن كنت كذوبا فكن ذَكُورا ، لأن الكاذب ينسى كذبه ويصرح بما يناقضه وهذا ما حدث مع كَتَبَة التوراة فقد نسوا – أو أُنسوا – أن يحذفوا ما يناقض ما يدَّعونه فالتوراة نصت على أن إسماعيل من ذرية إبراهيم المستحقة لميراثه ، كما نسى كَتَبَة التوراة أن إسحق لم يكن يوما ابنا وحيدا لإبراهيم لذا فالذبيح هو إسماعيل الذي ظل وحيد إبراهيم لمدة أربع عشرة سنة .

ويعترف علماء اليهود المحققون بأن استبعاد إسماعيل من العهد ليس له ما يبرره وأن التوراة نفسها لم تقدم أي تفسير لهذا " لم يتم في العهد القديم، أبدا، تفسير السبب الذي استبعد إسماعيل من الميثاق. (١)

إسماعيل هو الذبيح

القرآن الكريم – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – يقص علينا قصة ذرية إبراهيم بالحق في وضوح مبين فقد دعا إبراهيم ربه أن يرزقه ابنا صالحا فبشره الله تعالى بغلام حليم { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق . ص ٢٣

*سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ } (الصافات : ١٠٠- ١١٣)

والغلام الحليم هو إسماعيل فهو بكر أبيه وهو أول أبنائه الصالحين ، وهو الذي أسكنه إبراهيم عند بيت الله المحرم .

{ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }

(إبراهيم : ٣٧)

وهو الذي أمره الله تعالى مع أبيه إبراهيم أن يطهرا بيت الله الحرام للطائفين والعاكفين والركع السجود .

{ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } (البقرة : ١٢٥)

وهو الذي رفع القواعد من البيت الحرام مع أبيه إبراهيم .

{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (البقرة : ١٢٧)

وهو الذي دعا مع أبيه أن يجعلهما الله مسلمين له ويريهما المناسك ويتوب عليهما.

{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (البقرة : ١٢٨)

وهو الذي أدى مع أبيه إبراهيم المناسك من طواف وسعي حتى إذا أتم السعي أخبره أبوه أنه يرى في المنام أنه يذبحه .

{ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } (الصافات : ١٠٢-١٠٧)

ولا ذكر هنا لإسحاق على الإطلاق في سكن البيت الحرام ولا تطهيره ولا بنائه ولا أداء المناسك والسعي ، لا ذكر إلا لإبراهيم وإسماعيل ، وبعد أن ابتلى الله تعالى إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل ، وتم الفداء بالذبح العظيم بشّر الله تعالى إبراهيم بإسحق نبيا .

{ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ } (الصافات : ١١٢- ١١٣)

وإن المرء ليأخذه العجب ، كيف التبس الأمر على بعض المفسرين فزعموا أن الذبيح هو إسحاق مع أن النص القرآني واضح غاية الوضوح في أن البشارة بإسحاق كانت بعد عملية الذبح والفداء ؟! وكيف جيء بإسحاق من الشام ليذبح في مكة التي هي مسكن إسماعيل وأمه !!

فيزعم أصحاب رأي إسحاق هو الذبيح أن " إبراهيم ذبح إسحاق في المنام ، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة ، حتى أتى به المنحر من منى ؛ فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه ، وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الأودية والجبال " .

ولا دليل على هذا الكلام العجيب . وكثير من علماء السلف والخلف من فنّده .

" عن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ! ومتى كان إسحاق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة ، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة. وروي عن النبي ﷺ :"أن الذبيح إسماعيل" (١)

وذكر القرطبي حجج من قال إن الذبيح هو إسماعيل فقال :

" احتج من قال إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: { وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين } (الأنبياء: ٨٥)

وهو صبره على الذبح ، ووصفه بصدق الوعد في قوله:{ إنه كان صادق الوعد } (مريم : ٥٤) ؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ؛ ولأن الله

---

(١) تفسير القرطبي لقوله تعالى : { {فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك }

تعالى قال :{ وبشرناه بإسحاق نبيا } فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبيا، وأيضا فإن الله تعالى قال :

{ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب } (هود : ٧١)

فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب. وأيضا ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة ، فدل على أن الذبيح إسماعيل ، ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس " (١)

وأكد العلماء المحققون وعلى رأسهم الحافظ ابن كثير – في كتابه الماتع البداية والنهاية – أن الذبيح هو إسماعيل وأن من قال بغير ذلك من المسلمين فلا برهان له على ذلك إنما تلقاه من اليهود الذين حرفوا الكلم عن مواضعه .

" وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ، ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان أسنهما وأجلهما الذي هو الذبيح على الصحيح : إسماعيل بكر إبراهيم الخليل ، من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل ، ومن قال: إن الذبيح هو إسحاق فإنما تلقاه من نقلة بني إسرائيل ، الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل ، وخالفوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل .

فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر، وفي رواية الوحيد ، وأياً ما كان فهو إسماعيل بنص الدليل ، ففي نص كتابهم : إن إسماعيل ولد ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، وإنما ولد إسحاق بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل، فإسماعيل هو البكر لا محالة، وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة " (٢)

هل هاجر جارية سارة أم أميرة مصرية ؟

إن توراة اليهود تصرح بأن هاجر جارية ، وإسماعيل ابن الجارية – كما سبق ذكره – وللأسف أخذ المسلمون هذا الادعاء التوراتي قضية مُسَلَّمَة ووصفوا هاجر بأنها جارية سارة دون دليل إنما تلقوا هذا الأمر من التوراة دون تمحيص .

---

(١) نفسه .

(٢) ابن كثير " البداية والنهاية " ج١ ص ٢٢١

والحقيقة أن هاجر ليست جارية كما ادعت التوراة إنما هي أميرة مصرية هذا ما يؤكده علماء الآثار المصرية القديمة " والبرديات الفرعونية تؤكد على أن هاجر ليست جارية سارة إنما هي أميرة مصرية وهي شقيقة الملك المصري سنوسرت الذي آمن بدعوة إبراهيم وزوجه من أخته هاجر " (١) .

تحقق الوعد الإلهي بدخول بني إسرائيل أرض كنعان

إن سلمنا جدلا – لا حقيقة – بأن حام بن نوح قد أخطأ ، وأن الرب قد أقام عهدا بينه وبين سام ونسله من بعده أن يعطي له كل أرض كنعان ، وإن سلمنا جدلا أن إسحاق هو الذبيح – وهو ليس كذلك – وأنه هو الوريث الشرعي للعهد الإلهي ، وإن غضضنا الطرف والعقل عن الطريقة التي حصل بها يعقوب على النبوة ، وعلى لقب إسرائيل ، وإن كذبنا توراة اليهود والتاريخ وصدقنا أن بني إسرائيل هم أول من سكن أرض كنعان ، وأنهم استطاعوا أن يحافظوا على نقائهم العرقي .

إن سلمنا بكل هذا الأساطير فإن الوعد الإلهي بتملك بني إسرائيل أرض كنعان قد تحقق بالفعل في عهد يشوع ، وتوراة اليهود نفسها تنص على هذا وتؤكده .

" وهكذا وهب الرب إسرائيل جميع الأراضي التي حلف أن يعطيها لآبائهم فورثوها وأقاموا فيها ، فأراحهم الرب من كل ناحية كما أقسم لآبائهم ، ولم يستطع أحد من جميع أعدائهم أن يقاوموا ، بل أسلمهم الرب لهم جميعا فتحقق كل ما وعد الرب به بني إسرائيل من وعود صالحة " (يشوع : ٢١)

فعلى الرغم مما فعله بنو إسرائيل مع الرب ونقضهم لعهده وعبادتهم سواه إلا أنه وفّى لهم بوعده لآبائهم بدخول أرض كنعان تفضلا منه لا جزاء لهم ، فما فعلوه يستحق العقاب لا المكافأة .

" استمعوا يا بني إسرائيل : أنتم على وشك عبور نهر الأردن لتدخلوا لطرد شعوب أكبر وأعظم منكم وللاستيلاء على مدن عظيمة محصنة بأسوار تبلغ عنان

---

(١) هذا الرأي سمعته كثيرا من عالم المصريات المعماري الأشهر د. سيد كريم رحمه الله وذكر هذا الرأي في موسوعته عن تاريخ مصر القديمة " لغز الحضارة المصرية " وفي حديث لرئيس تحرير جريدة حديث المدينة نشر في تاريخ ٢٣ فبراير ٢٠٠٠ م .

السماء يقيم فيها الجبابرة والعمالقة الذين عرفتم عنهم وسمعتم من يقول : " من يستطيع أن يتحدى العناقيين ؟ " اعلموا اليوم أن الرب إلهكم يتقدمكم كنار آكلة وهو الذي يستأصلهم ويذلهم أمامكم ، فتطردونهم وتبيدونهم سريعا كما كلمكم الرب . **لا تقولوا لأنفسكم بعد أن ينفيهم الرب من أمامكم : " لقد أدخلَنَا الرب لامتلاك هذه الأرض بفضل صلاحنا " . إنما من أجل كثرة إثمهم يطردهم الرب إلهكم من أمامكم . إذ ليس بفضل صلاحكم واستقامتكم تدخلون لامتلاك أرضهم ، إنما من أجل إثمهم يطردهم الرب من أمامكم وفاء بوعده الذي أقسم عليه لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب . فاعلموا انه ليس بفضل صلاحكم يهبكم الرب إلهكم هذه الأرض الخصيبة لامتلاكها ، لأنكم شعب عنيد "** (التثنية : ٩)

فتغلب الإسرائيليين على الكنعانيين العرب وقهرهم لهم لم يكن بسبب صلاحهم وإقامتهم للتوراة إنما كان بسبب فساد العرب وتخليهم عن دينهم وعن السعي المخلص لدنياهم فابتلاهم الله تعالى باليهود عبدة العجل ، كما سيبتلي أحفادهم باليهود الصهاينة الذين أحسنوا الأخذ في أسباب التقدم ، والاستفادة من المشروع الغربي .

هذه هي الحقيقة التي يجب أن يعيها اليهود والعرب جميعا ، وهي أن انتصار اليهود لم يكن مرجعه طاعة الله وإنما أخذهم في أسباب التقدم ، وتخلي العرب – أكثرهم – عن الدين الصحيح ، وإهمالهم لأسباب التقدم والعدل والحرية . (١)

تحقق الوعد بالعودة من الشتات

إن كل النصوص الخاصة بعودة اليهود من الشتات وتمكين " يهوه " لهم في أرض كنعان – على فرض صحتها – فهي خاصة بوعود " يهوه " ليهود السبي الآشوري والبابلي بالعودة إلى أورشليم وقد انتهت هذه الوعود بعودتهم على يد " قورش الأكبر " الإمبراطور الفارسي الذي أصدر عام ٥٣٨ ق . م مرسوماً بإعادة اليهود الذين وُطِّنوا في بابل إلى فلسطين .

---

(١) لمزيد من التفصيل حول تاريخ اليهود ، الرجوع إلى كتاب " حقيقة اليهود والصهيونية ، وأوهام الأمة العربية " للمؤلف .

وهذا نص المرسوم كما جاء في كتاب عزرا .

" هذا ما يقوله قورش ملك فارس لقد وهبني الرب إله السماء جميع ممالك الأرض وأوصاني أن أشيد له هيكلا في مملكة يهوذا فعلى كل واحد من أبناء شعبه أن يصعد إلى أورشليم في أرض يهوذا فيبني هيكل الرب إله إسرائيل وعلى أهل المواضع التي يقيم فيها المسبيون المغتربون أن يمدوهم بالذهب والفضة والدواب فضلا عما يتبرعون به أبناء هيكل الرب الذي في أورشليم " (عزرا : ١) .

وعلى ذلك فقد تحقق لبني إسرائيل دخول أرض كنعان في زمن يشوع ، وإقامة مملكة يهودية في زمن داود ، وسليمان ، لما كفروا بالله وعبدوا آلهة أخرى حكم عليهم بالشتات فكان السبي البابلي والآشوري ووعدهم إن استقاموا على شرعه يعيدهم مرة أخرى لأرض الميعاد ، وقد تم هذا أيضا في القرن السادس قبل الميلاد على يد قورش الأكبر وبهذا تحققت جميع العهود لهم .[١]

***

---

(٢) لمزيد من التفصيل حول أسطوة العودة راجع الفصل الرابع من الكتاب " الدين والسياسة والنبـوءة " للمؤلف .



الفصل الثالث

الرد على أسطورة شعب الله المختار

لقد ادعى اليهود أن سبب اختيار يهوه لهم ليس فقط أن يعقوب أباهم قد صارع الرب وحصل منه على لقب إسرائيل ، وأنه دعاه ابنه البكر بل لأنهم هم أول الموحدين ، وأن " يهوه " لم يُعْبَد وحده إلا بنزول التوراة على موسى . فقد كانت جميع الأمم السابقة عليهم أمماً مشركة تؤمن بتعدد الآلهة ، وتنحت لها التماثيل ، وترسم لهم الصور . وأن سائر الأنبياء والمرسلين السابقين على موسى مشركين يدعون مع الله آلهة أخرى !!

والحقيقة أنه لا يؤمن بهذا الهراء إلا من سفه نفسه ، وألغى عقله ، وجعل إلهه هواه فكيف يجوز شرعا وعقلا أن نحكم على جميع خلق الله – بما فيهم أنبياء الله ورسله – قبل موسى بالشرك دون دليل إلا هذه الترّهات ؟!

والحقيقة إن الأصل في عقائد البشرية من لدن آدم هو التوحيد ، وما الشرك إلا خروجا عليه وهذا ثابت كما بينا في توراة اليهود ، وهو واضح لا ريب فيه في القرآن الكريم . يقول تعالى :

{ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ {٣٣} ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (آل عمران : ٣٣، ٣٤)

إن التوحيد الذي هو أساس الإسلام هو دين الله تعالى الذي ارتضى للبشرية ودعا كل أنبياء الله تعالى الناس إليه .

{ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } (البقرة : ١٣٠- ١٣٢)

تاريخ اليهود مع التوحيد

بعد خروج الناس على رسالة التوحيد التي جاء بها الأنبياء اختار الله تعالى أنبياء بني إسرائيل لتبليغ رسالته إليهم وفضل المؤمنين بهؤلاء الرسل من بني إسرائيل على سائر العالمين من الكفار والمشركين .

{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } (البقرة : ٤٧)

يُذَكِّر الله تعالى اليهود سَالفَ نعمه على آبائهم وأسلافهم، وما كان فَضَّلهم به من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم، كما قال تعالى: { وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } (الدخان: ٣٢)، وقال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ } (المائدة: ٢٠) (١)

وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم ، فأما بعدما عتوا عن أمر ربهم ، وعصوا أنبياءهم ، وجحدوا نعمة الله عليهم ، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم ، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة ، وقضى عليهم بالتشريد وحق عليهم الوعيد . (٢)

وهذا مصير كل أمة بدّلت نعمة الله كفرا ، لأن الميزان عند الله للتقوى والفعل الصالح ، وليس للجنس أو اللون أو النسب .(٣)

فالاختيار الإلهي لبني إسرائيل كان مشروطا بالإيمان بالله تعالى وحده والعمل بالشرائع السماوية ، والاختيار لم يكن قاصرا عليهم وحدهم إنما كان شاملا لكل من آمن بالله وعمل صالحا وقال أنني من المسلمين .

لكن الذي حدث أن عملية الاختيار الإلهي لبني إسرائيل انتهت إلى نتيجة غير طبيعية وهي الدخول مع الإله في علاقة خاصة يصبح فيها الإله إلهاً للشعب الإسرائيلي ، ويصبح الشعب الإسرائيلي عبدا للإله الإسرائيلي ، ولم ينته الأمر عند

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٥٥ .

(٢) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " دار الشروق ج ١ ض ٤١ .

(٣) محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ٣٨٤٤ .

الاستئثار بالإله والرسالة ولكنه يتعدى ذلك إلى فكرة الاختيار للأفضلية العنصرية والتي كانت منطلقا لاغتراب الإسرائيلي في العالم القديم والوسيط ، ولا نزال نجد لها مبررات في عالمنا الحديث والمعاصر .

وهكذا اعتقد الإسرائيلي القديم أنه أفضل خلق الله ، وأنه مختار الرب ، وانتهجت اليهودية سياسة عدم التبشير بالتوحيد ، واعتباره شأنا دينيا يهوديا لا يخص بقية البشرية ، وهذا التخصيص للتوحيد أدى إلى ما يمكن أن تسميته بالغربة الدينية فللإسرائيليين إلههم ، وللشعوب الأخرى آلهتها ، وأصبحت الرابطة بين الإله والشعب رابطة عصبية دموية لا يسمح لغير الإسرائيلي باتخاذ الإله الإسرائيلي إلهاً له ، ووضعت شروطا عنصرية عِرقية للتحول إلى اليهودية .

وكنتيجة لهذه العلاقة الخاصة بين الإله والشعب أصبحت وظيفة الإله فيما يختص بالخلاص مرتبطة بشعبه ، ولا تمتد لغيره . فالإله مسئول عن خلاص شعبه ، وتحقيق هلاك أعداء شعبه .

وقد أدت هذه الأصول الثلاثة : الاختيار ، والتوحيد الخاص ، والخلاص الخاص إلى ما أصبح معروفا باسم " العنصرية اليهودية " التي تعني في المقام الأول وضع سياج حول الشخصية اليهودية فيمنعها من الاختلاط والاندماج في غيرها ، وتحاول تحقيق هذا من خلال مفاهيم دينية أعيد تفسيرها لكي تعطي هذا المعنى .(١)

هل هناك شعب مختار لجنسه ؟

الحقيقة الإيمانية التي جاءت في الكتب المقدسة وعلى لسان جميع الأنبياء والرسل أنه ليس بين الله تعالى وشعب من الشعوب صلة نسب – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – كما أنه ليس هناك شعب مختار لجنسه ، و إنما هناك مؤمنون صالحون ، وهناك كفار مفسدون ، وخلق بينهم كثيرون .

فجميع الشعوب والقبائل متساوية في الخلق ، ولا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح . وهذه التقوى علمها عند الله فلا ينبغي أن يزكي إنسان أو شعب نفسه فالله تعالى هو أعلم بمن اتقى .

---

(١) انظر د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " دار الثقافة للنشر والتوزيع . مبحث " أصول الاغتراب في العهد القديم " .

{ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } (النجم : ٣٢)

والحقيقة أن هناك من المفكرين اليهود من لا يعترف بفكرة شعب الله المختار ، وأن التوحيد كان من لدن آدم وأن كل ذلك ثابت في التوراة والتلمود وفي ذلك يقول علماء اللجنة اليهودية الأمريكية :

" لقد خاض المفكرون اليهود معركة فكرية مع مسألة اختيار التوراة لبني إسرائيل كالمتسلمين الوحيدين للتوراة. هل هذه خصوصية وإبعاد ؟ هل هذا يعني أن في طبيعة اليهود ما يجعلهم أفضل من أي أمة قومية أخرى ؟ هل اليهود شعب أرفع مقاما لأن التوراة نزلت عليهم ؟ إن التوراة نفسها لم تعطِ إجابات قاطعة. فمن جهة، تقول (التثنية ١٤:٢). "إنكم شعب مقدس للرب إلهكم ، وقد اختاركم من بين شعوب الأرض كافة لتكونوا له شعبا خاصا. ومن جهة أخرى ، تقول في عاموس (٧:٩) "ألستم لي يا بني إسرائيل مثل الكوشيين؟ ألم أخرج إسرائيل من ديار مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير؟ "

" ٧ ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل يقول الرب ألم أصعد إسرائيل من أرض مصر و الفلسطينيين من كفتور و الآراميين من قير " (عاموس : ٩)(١)

هذا يؤكد أن إله إسرائيل يسوي بين بني إسرائيل ، والشعوب الأخرى فهم بالنسبة للرب كالكوشيين ، وأن إنقاذ بني إسرائيل بإخراجهم من مصر لم يكن عملا قاصرا عليهم فقط فقد أنقذ الفلسطينيين بإخراجهم من كفتور ، والآراميين بإخراجهم من قير.

إن الكهنة في التلمود، مثل العهد القديم نفسه، يشعرون بعدم الارتياح للتصور الخصوصي لليهود في الديانة اليهودية. يعطي التلمود، أحيانا ، تفسيرات مباشرة لآيات العهد القديم كما جاء في الرسالة التلمودية للأب زارة ٢٦ : ألم يرد في (التوراة) أن "أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألق في جبل فاران "(التثنية ٣٣:٢) .

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٣٦

وورد فيها أيضا: "لقد أقبل الله مـن آدم" (حبقـوق ٣: ٣). ماذا كـان الـرب يـريده في سـعير وفي جبل فاران ؟ يقول الكاهن يوحنان : " يعلمنا هذا أن الرب المقدس تبارك وتعالى قد أعطى التوراة لكل أمة ولسان، لكن لم يقبلها أحـد حتـى جاء إلى إسرائيل التي تقبلتها". ونجد في مكان آخر من التلمود شبها ممتعا للـنص القرآني ٢:٦٣(١) ، ٢: ٩٣ (٢) و ٤:١٥٤(٣) "فأخرج موسى الشعب من المخيم للقاء الله، فوقفوا عند سفح الجبل" (التثنية ١٧:١٩). يقول حما بن حسا " إن هذا يعلمنا أن الرب المقدس قلب عليهم الجبل رأسا على عقب كبرميل مقلوب وقـال لهـم: "إذا تقبلتم التوراة ، فذلك حسن، وإذا لم تقبلوها فإن هذا سيكون قبركم." (شبات ٨٨ أ)

يعترف هذان التفسيران ويؤكدان بأن الشعب الإسرائيلي ليس في طبيعته ما يجعله أفضل من إي أمة أو شعب آخر. والشيء الوحيد الذي يميز بني إسرائيل هو استعدادهم ليكونوا أول من تقبل الأوامر الإلهية والعيش بحسب القانون الرباني. ففي العهود القديمة ، لا يوجد شعب بحسب علمنا، أخذ على عاتقه التخلي عن الوثنية والعيش في ظل القانون الإلهي. كان بنو إسرائيل دائما أمة صغيرة محاطة بشعوب وثنية، فلذلك ليس من الغريب ملاحظة أنهم يعيشون بمعزل عن الشعوب التي يعيشون في وسطها. إن هدف هذا السلوك كان الحفاظ على العقيدة الوحـدانية لبني إسرائيل، لكن هذا الهدف فسـر في الفترة اليونانية ـ الرومانيـة أنه نخبوي . لم تكن رغبة بني إسرائيل في العيش عن معزل من الشعوب الأخرى نابعة من شعور نخبوي، بقدر ما هي نابعة من سمة البقاء بعيداً عن الانغماس في الوثنية المتفشية التي يمارسها اليونان والرومان وشعوب الحضارات القديمة " (٤)

إذن لم يعدم اليهود من المفكرين الذين رأوا بأن الشعب الإسرائيلي ليس في طبيعته ما يجعله أفضل من إي أمة أو شعب آخر . ولا من كهنة التلمود الذين

---

(١) {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }(البقرة : ٦٣)

(٢) { وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا {١٥٤} (النساء : ١٥٤)

(٣) { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } (البقرة : ٩٣)

(٤) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٣٦- ٣٧

يشعرون بعدم الارتياح للتصور الخصوصي لليهــود في الديانة اليهودية . ولا من نصوص التوراة التي تثبت تجلي الله لشعوب أخرى غير بني إسرائيل مثل شعب "ســعير" ، "جبل فاران" .

وهذا ما ينادي به الحاخامات اليهود المخلصين لإيمان أنبيائهم ومنهم الحاخام موشى ما نوحين في كتابه " انهيار اليهود " الذي أكد فيه أنه على عكس شمولية الأنبياء فإن التفسير القَبَلي والقومي لتحالف الله مع الشعب المختار الذي وضعه الصهاينة مثل بن جوريون ، وموشى ديان ، وشيمون بيريز ، والعصابة العسكرية بأكملها التي اجتاحت إسرائيل والذين جعلوا من الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية في العالم أجمع أجهزة تابعة لحكومة إسرائيل لها نفس الأيديولوجية العنصرية الموجودة لدى المناهضين للسامية .

ويذكر موشى ما نوحين في كتابه " انهيار اليهود " أن شعوب العالم اليوم تشعر بالاشمئزاز من عبارات الجنس المتفوق والشعب المختار وعبء الرجل الأبيض والأحلاف مع الله وأرض الميعاد كل تلك الادعاءات أصبحت اليوم مستهلكة بسبب ما ترتكبه ضد الشعوب الأضعف .

إن هذه الفكرة المحددة لدى الصهيونية هي أسوأ عدو لإسرائيل فسوف تقودها إلى الهزيمة مثل كافة الإمبراطوريات التي أسست على هذه الأيديولوجية من نابليون حتى هتلر . (١)

ويقول جان جاك روسو في كتابه عن اليهود المتعصبين : " إن إلهكم ليس هو إلهنا إن الإله الذي يختار لنفسه شعبا واحدا وينكر بقية الجنس البشري ليس هو الأب المشترك لجميع الناس . (٢)

***

(١) نقلا عن رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٣٣٨ ، ٣٣٩
(٢) نفسه ص ٣٤١

الفصل الرابع

الرد على أسطورة قَصْر السامية علي اليهود وحدهم

إن أسطورة نقاء العرق اليهودي واتصال نسبه بسام أمر مغرق في الخيال والوهم فهناك تَنوُّع هائل بين أعضاء الجماعات اليهودية على المستوى العِرقي، فهناك يهود بيض ، ويهود سود ، ويهود صفر، وتختلف أحجام الرأس باختلاف انتماء اليهودي كما يظهر الاختلاف والتباين على المستوى الثقافي وهكذا .

أسطورة الجنس والاستعمار الغربي

إن مفهوم "الجنْس" من مُستحدَثات القرن التاسع عشر الأوربي، وُضِع اعتِسافًا لتبرير سيطرة الغرب الاستعمارية، وللفصل بين الفصائل اللغوية، بناءً على فكرة الاختلاف "البيولوجي" ولا سيما فكرة التدرُّج بين الأجناس الإنسانية الكبرى .

وقد توصل الكونت دي جوبينو في كتابه: "دراسة عن تفاوُت الأجناس الإنسانية " إلى نتيجة هي: أن الأجناس تَفْسَدُ حين تتهجَّن .

لقد جاء في سفر (التكوين ٩: ١٨ــ ١٩) "وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفُلْك سامًا وحامًا ويافثًا، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، ومن هؤلاء تَشَعَّبَتْ كل الأرض". وقد عرفت القرون الوسطي الإقطاعية في حام أبا الرقيق، وفي يافث أبا السادة، وفي سام أبا الكهنة ورجال الدين .

لقد استُخدمت النظرية الكاذبة عن الجنس دائمًا لتبرير أعمال السيطرة والعُنْف، والمثال الذي بلغ الذِّرْوة في ذلك هو النازية، فهتلر يتّهم في كتابه: " كفاحي " اليهود بأنهم يُريدون أن يدمروا بالغباء الناشئ عن التهجين هذا الجنس الأبيض الذي يَمقُتونه ثم يقول: "إن اليهودي يُسمم دم الآخرين، ولكنه يَحتفظ بدمه".

لقد أسس الصهيونيون أسطورة "العودة" على أسطورة الاستمرار العرقي والتاريخي بين العبرانيين الكتابيين، وبين اليهود المعاصرين، وقد حاولوا حملَ الآخرين على الاعتقاد بأن كل "يهوديٍّ" أينما وُجد في العالم، عندما يَجيء إلى إسرائيل ـ إنما "يعود" إلى أرض أجداده، في حين يُقرِّر الواقع أن ٩٩% على الأقل من اليهود المعاصرين ليس مِن أجدادهم أحد وطِئت قدماه أرض فلسطين، بسبب التحوُّل مِن ناحية، وبسبب الزيجات المختلطة خلال القرون من ناحية أخرى .

لقد استنتج مكسيم رودنسون بهدوء قوله: "إن من المُحتمل جدًّا، على ما أثبته علْم الأنثروبولوجيا الفيزيقية ـ أن السُّكَّان المَوصوفين بأنهم "عرب" في فلسطين، "وقد كانت الأغلبية مع ذلك "مُستعرِبة" كان فيهم من دم قدماء العبرانيين، أكثر ممَّا لدَى أغلبية اليهود في الشتات، الذين لم يَمنعهم التعصُّب الديني مُطلقًا مِن أن يَمتصُّوا مِن المُتحولين ذَوِي الأصول المختلفة. (١)

وهكذا تنهار أسطورة "العوْدة" وقد لجَأ القادة الصهيونيون الإسرائيليون إلى هذه الأساطير كيْمَا يُخفوا غزوتهم الاستعمارية تحت قناع "عودة" اليهود، الذين ليْس لأغلبيتهم الساحقة أيُّ جَدٍّ أصليٍّ من هذا البلد. إن أوضح نتائج هذه الخديعة قد صاغها توماس كيمان في قوله: "إن الصهيونيين أوربيون، وليس هنالك مُطلقًا أيُّ رباط بَيولوجي، أو أنثروبولوجي بين أجداد اليهود في أوربا، وبين قدامى الأسباط العبرانيين". (٢)

الصهيونية والأصل السامي لليهود

والأصل أن العبرانيين كانوا قبائلَ سامية، ضمْن قبائل أخرى، متبدية مُترحِّلة، مِن شبه الجزيرة العربية إلى العراق، وإلى سورية، وإلى فلسطين، وإلى مصر .

وقد استَمدت القصص الكتابية سَمْتَهَا من هذا المجتمع الأصلي، ومِن هذا الخليط مِن الشعوب: فليس إبراهيم وحده هو الذي لم يكن عِبرانيًا، بل آراميًّا "٥ ثم تصرح وتقول أمام الرب إلهك : أراميا تائها كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك في

---

(١) مكسيم رودنسون: "شعب يهودي أم مشكلة يهودية " ص : ٢١٨ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " للباب الثاني ، الفصل الثاني . مرجع سابق .

(٢) توماس كيمان " العرب " ص ٢٥٣ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني الفصل الثاني . مرجع سابق .

نفر قليل فصار هناك امة كبيرة و عظيمة و كثيرة " (التثنية : ٢٦) بل إن حزقيال يقول عن أورشليم: " ٣ وقل هكذا قال السيد الرب لأورشليم مخرجك ومولدك من أرض كنعان لبوك أموري وأمك حثية ". (حزقيال : ١٦)

وأبرز السمات في الصهيونية السياسية الراهنة، وفي استغلالها السياسي، لليهودية أنها تختار لهذا الاستغلال، من التقاليد اليهودية أبلاها وأقتلها، أبلاها، وهو "التقليد القبلَي" وأقتلها وهو "التعصُّب".

إن الرفْض الصهيوني للاندماج يعتمد على سلَّم للقيم، ثبَّته الفريق الكهنوتي الذي حصَر التاريخ اليهودي في هذا المُخطَّط: العصر الذهبي هو عصر العُزلة القبليَّة، من حيث هي نقاءٌ وطهارةٌ، والانحطاط هو الانفتاح على الآخرين، والحوار من أجل الخِصْب المتبادل، "وتمثُّل" كل ما هو سامٍ عند الآخرين.

ويؤكد علماء اللجنة اليهودية الأمريكية على عدم وجود جنس يهودي كما يدعي الصهاينة : " بالتأكيد فإن إسرائيل لا تمثل جنسا معينا، لأن اليهود يمكن أن يكونوا سودا أو بيضا ويمثلون صفات أجناس مختلف الشعوب. وهي ليست ديانة فقط ولا هي مجرد ثقافة أو إثنية أو جنس، بل ربما خليط الكل ويمكن وصف الشعب الإسرائيلي بشكل أفضل كثقافة دينية كان لها وجود، ونمو، وتطور أكثر من ثلاثة آلاف سنة " (١)

وقد كان هرتزل معجباً بالنظرية العرقية، ولكنه كان صديقاً لإسرائيل زانجويل الروائي الإنجليزي والزعيم الصهيوني اليهودي ذي الأنف الطويل والشبيه بأنوف الزنوج والشعر الكث الحالك السواد، وكانت نظرة واحدة إليه تكفـــي- على حدّ قول هرتزل نفسه - لدحض أي تصور عرقي لليهـــود .

الشعوب السامية

السامية نسبة إلى سام الابن الأكبر لنوح. والمصطلح يُطلَق على مجموعة من الشعوب عاشت في رقعة كبيرة من الأرض (تضم شبه الجزيرة العربية والشام

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم

وبلاد الرافدين) وتحدثت بمجموعة من اللغات المتقاربة هي اللغات السامية. وتشمل التسمية شعوباً مثل الآشوريين والبابليين والآراميين والكنعانيين والفينيقيين والعموريين والمؤابيين والأدوميين والعمونيين والعبرانيين، كما تشمل جزءاً كبيراً من سكان إثيوبيا فيما بعد .

وفي الوقت الحاضر، يمثلهم العرب (من الناحية الأساسية) . وينتمي العبرانيون(أي اليهود القدامى) إلى الشعوب السامية وليس إلى مجموع اليهود بوجه عام، ذلك أن أعداداً كبيرة من الأفراد والقبائل غير السامية مثل الخزر قد تهوَّدت .

ويكاد يُجمع الباحثون على أن شبه جزيرة العرب هي الموطن الأصلي للساميين، فمنها خرجت هجرات متتالية إلى بلاد الرافدين حتى جبال إيران وإلى أرمينيا ومنطقة الهلال الخصيب. وكانت هجراتهم الجماعية على فترات متباعدة أولاها هجرة الأكاديين الذين عُرفوا بالبابليين نحو عام ٣٥٠٠ ق.م ثم هجرة الآراميين بين عامي ١٥٠٠ و١٢٠٠ ق.م وآخرها هجرة العرب مع الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي .

ويُعَدُّ العرب أكثر الجماعات السامية قرباً مما يمكن تسميته " الخطاب الحضاري السامي الأصلي" . كما أن اللغة العربية أقرب اللغات الحية إلى السامية الأصلية. ومع هذا، ينصرف مصطلح" معاداة السامية " إلى اليهود دون سواهم. (١)

فالعرب إذن هم أصل الشعوب السامية وهذا ما أثبته المؤرخون القدامى والمحدثون .

قال ابن هشام : العرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان . وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل . ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

قال ابن إسحاق : عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطسم وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح ، عرب كلهم . فولد نابت بن إسماعيل : يشجب بن نابت ، فولد يشجب: يعرب بن

---

(١) موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " عبد الوهاب المسيري م٤ / ج ١ " الساميون والشعوب السامية " . مرجع سابق .

يشجب ، فولد يعرب : تيرح بن يعرب ، فولد تيرح : ناحور بن تيرح ، فولد ناحور : مقوم بن ناحور، فولد مقوم : أدد بن مقوم ، فولد أدد : عدنان بن أدد. فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام " (١)

أصل اليهود المعاصرين

نحن نطلق اليوم اسم اليهودي بشكل عام علي كل شخص اعتنق يوما الدين اليهودي.. والواقع هو أن الكثيرين من هؤلاء ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقي، ذلك أن عددا ضخما منهم منحدرون من سلالات الهيروديين أو الأيدوميين ذوي الدم التركي المنغولي .

شرعت الأعراق غير الساميّة والتركية والفنلندية في القدوم إلي أوروبا، قادمة من آسيا منذ القرن الأول الميلادي، عبر الممر الأرضي الواقع شمالي بحر قزوين.. ويطلق علي هذه الشعوب الوثنية اسم "الخزر".. وقد استقروا في أقصي الشرق من أوروبا، حيث شكلوا مملكة الخزر القوية، ثم بسطوا سلطانهم شيئا فشيئا بواسطة الغزوات المتكررة، حتى سيطروا في نهاية القرن الثاني علي معظم المناطق الواقعة في أوروبا الشرقية غربي جبال الأورال وشمالي البحر الأسود .

وقد اعتنق الخزر اليهودية آنئذ، مفضلين إياها علي المسيحية أو الإسلام، وبنوا الكنائس والمدارس لتعليم الدين اليهودي في سائر أنحاء مملكتهم.. وكان الخزر إبان ذروة قوتهم يجبون الجزية من خمسة وعشرين شعبا قهروهم .

وقد عاشت دولة الخزر ما يقارب الخمسمائة عام، حتى سقطت في نهاية القرن الثالث عشر في أيدي الروس الذين هاجموهم من الشمال .

وقد انتقلت الروح الثورية من الخزر اليهود إلي الإمبراطورية الروسية، واستمرت حتى ثورة الحمراء سنة ١٩١٧.

إن غزو الخزر في القرن الثالث عشر يبيّن لنا أن الكثير من الناس الذين نطلق عليهم اسم اليهود قد بقوا في الواقع داخل الإمبراطورية الروسية . (٢)

---

(١) ابن هشام " السيرة النبوية " ١ / ١١٥ دار الجيل الطبعة الأولى بيروت .

(٢) وليم جاي كار " أحجار على رقعة الشطرنج " الفصل الثالث " اليهود " .

وانتشر الخزر واستوطنوا المجر وهنغاريا وبولندا وأنحاء واسعة من أوروبا الشرقية ووسطها مصاحبين أو مستفيدين من التوسع التركي العثماني ومن المؤكد أن الخزر لم يكونوا عرقا واحدا أو ينتمون إلى قبيلة معينة، ولكنهم تجمع سياسي وعسكري من الشعوب والقبائل، وكانت اليهودية التي تجمع دينيا بين قادتهم ونخبهم الحاكمة والمؤثرة، فكان اليهود الخزر ينتمون إلى أعراق وشعوب وقبائل متعددة، فقد كانوا هم أيضا تجمعا نخبويا يشمل قيادات ونخب الخزر أنفسهم ويغلب على الدراسات التاريخية أن تنسب يهود الإشكناز إلى الخزر، ولكن قد يكون أيضا كثير من الأشكناز من الأوروبيين الأصليين وليس فقط من الخزر، فالمعلومات والمصادر التاريخية المتاحة لا تكفي لتأكيد مقولة حصر انتساب الأشكناز إلى الخزر، ولكن المؤكد هو أنهم ليسوا من بني إسرائيل .(١)

لا حق لليهود في استيطان أرض فلسطين

دأبت الصهيونية العالمية على مدى سنوات طويلة ، على طمس حقيقة عروبة القدس ، واختلاق الأكاذيب والادعاءات وتزوير الوثائق وتحريف النصوص بهدف طمس عروبة القدس، وطمس الوجود العربي في فلسطين .

ولقد نجحت آلة الضغط واللوبيات اليهودية والصهيونية العالمية في التأثير على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة، حتى أصدر الكونغرس الأميركي قراره باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ، ضاربا عرض الحائط بكل التراث التاريخي والقيم الإنسانية العقائدية للمسلمين وللمسيحيين أيضا في هذه المدينة العربية المقدسة

إن القدس تستمد عروبتها من عروبة فلسطين نفسها، وتوراة اليهود تثبت ذلك إذ لم يكن هناك في التاريخ وجود حقيقي ومستقر ومتواصل لبني إسرائيل في فلسطين، فبنو إسرائيل في زمن يعقوب النبي عليه السلام لم تكن تعيش في فلسطين، و سفر العدد من التوراة الذي يحدد عدد الخارجين من مصر في زمن النبي موسى عليه السلام يدل على أن اليهود لم يكونوا مقيمين في فلسطين، بل خارجها، وبالتحديد في مصر قبل زمن الخروج ، لم يكن لهم فيها صلة بفلسطين، كما أن نصوص التوراة لم تقل بأن اليهود خرجوا من مصر إلى أرض إسرائيل ، بل إلى أرض فلسطين، وأن بهذه الأرض شعوبا أخرى ليس منها بنو إسرائيل .

---

(١) لمزيد من التفصيل عن يهود الخزر راجع د.م. دنلوب " تاريخ يهود الخزر " دار قتيبة للنشر، دمشق

وأن الفلسطينيين انتصروا على بني إسرائيل أكثر من مرة واستعبدوهم في عهد داود عليه السلام، وان اليهود دخلوا في الشتات والتيه والتشرد لقرون طويلة قبل الميلاد ما بين مصر وبابل وآشور وغيرها، بينما بقي الفلسطينيون تاريخهم كله في فلسطين لم يخرجوا منها، وهو الأمر الذي تؤكد عليه التوراة ، وينكره اليهود الصهاينة اليوم .

إن ظهور الإسلام أكد على الأصول العربية للشعوب السامية، وبفضل الإسلام عادت هذه الشعوب إلى حظيرة العروبة بعد دخولها في الإسلام، ووحد الإسلام الفكر واللغة لكل سكان الشرق الأدنى القديم، وعادت اللغة العربية لتحتل مكانتها القديمة حيث كانت أصلا لكل اللغات السامية قبل أن تستقل هذه اللغات عنها، وهكذا كانت فلسطين قبل الإسلام وبعده وحتى الآن عربية .

ومر الغزو الأجنبي لفلسطين بمراحل عديدة بداية بالغزو الآشوري والذي كان له بالغ الأثر على وجود الإسرائيليين وبنيتهم الاجتماعية في شمال فلسطين، وأدى إلى سبيهم وتشتتهم وإخلاء شمال فلسطين منهم تماما، ثم جاء بعد ذلك الغزو البابلي لفلسطين في القرن بقيادة نبوخذ نصر، وكان السبي البابلي الشهير لليهود إلى بلاد بابل وآشور، والذي كان بداية للشتات الطويل لليهود الذي استمر حتى عصرنا الحاضر، وجاء بعد الغزو البابلي الغزو الروماني والذي صحبه أكبر عمليات سبي وشتات لليهود أدت إلى تفرقهم في أماكن مختلفة من العالم، وقد وقع الغزو الروماني لفلسطين في القرن الأول للميلاد عام ٧٠ م ، وراح ضحيته أكثر من مليون يهودي قتلوا في الحرب مع الرومان، وخرج باقي اليهود من فلسطين متوجهين شمالا وغربا إلى أوروبا، وفقدت فلسطين قيمتها تماما بعد ذلك بالنسبة لليهود .

إن فترة الوجود والاستقرار الوحيد في حياة الإسرائيليين في فلسطين هي فترة الدولة المتحدة التي نشأت في عصر شاؤول، وداود وسليمان عليهما السلام وتمتد من ١٠٣٠ إلى ٩٢٣ قبل الميلاد، أي نحو مائة عام تقريبا، وانقسمت الدولة بعد هذه الفترة إلى دولتين هما، إسرائيل الشمالية، ويهوذا الجنوبية، وسقطت الدولة الأولى على يد الآشوريين عام ٧٢١ ق.م.، وسقطت الثانية عام ٥٨٦ ق.م. على يد البابليين .

إن المدينة القديمة التي كانت تسمى يبوس تحولت إلى مدينة أورشاليم التي أنشأها العرب الكنعانيون القادمون من شبه الجزيرة العربية، وقد حكموها من عام

٢٠٠٠ وحتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد، أن اسم «أورشاليم» هو اسم عربي وليس عبريا، وان الكنعانيين أطلقوه على القدس نسبة إلى أحد الملوك الكنعانيين العرب واسمه ساليم، وان هذا كان قبل ظهور اللغة العبرية .

إن سفر القضاة في العهد القديم يؤكد على عروبة أورشليم ، وأنها لم تشهد ملكا لبني إسرائيل حتى قيام مملكة شاؤول وداود وسليمان، وأن الفلسطينيين، حسب سفر القضاة، هم الذين كانت لهم السيادة على اليهود في هذه البلاد، حيث يؤكد العهد القديم على أن العرب الكنعانيين كانوا أصحاب حضارة بينما الإسرائيليون كانوا بدوا . إن عمليات تهويد القدس مستمرة من قِبَل الإسرائيليين، ومعالمها العربية والإسلامية تتساقط وتندثر تدريجيا، والقدس بالفعل أصبحت على وشك الضياع إن لم تكن قد ضاعت بالفعل، وتحتاج إلى معجزة لإنقاذها وإعادتها لهويتها العربية.[١]

والعجيب أن توراة اليهود تذكر صراحة أن الفلسطينيين العرب هم أول من سكن وتملك أرض فلسطين .

" فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ شَهِدْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ جَرَّاءِ عُتُوِّ مُسَخِّرِيهِمْ وَأَدْرَكْتُ مُعَانَاتَهُمْ، ٨فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ <u>إِلَى أَرْضٍ طَيِّبَةٍ رَحِيبَةٍ تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً، أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ</u>. "(الخروج : ٣)

وأن إسحق رحل إلى مدينة جَرَار الفلسطينية الخاضعة لأبيمالك ملك الفلسطينيين للعيش في كنفه فاراً من الجوع الذي حل بأرضه " وَحَدَثَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَارْتَحَلَ إِسْحقُ إِلَى مَدِينَةِ جَرَارَ حَيْثُ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ " (التكوين : ٢٦)

فتوراة اليهود تنص على أن فلسطين كانت كنعانية قبل أن يرتحل إليها إسحق فارا من الجوع ، وقبل أن يلجأ إليها بنو إسرائيل فارّين من فرعون مصر ، وبرغم هذا الاعتراف فإن توراة اليهود تذكر أن الرب قد وعد إسحق أن يعطيه أرض الفلسطينيين ملكا له وفاء لقسمه لإبراهيم أبيه " ٢فَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ قَائِلاً: " «لاَ تَمْضِ

---

(١) " عروبة فلسطين والقدس في التاريخ القديم " مركز زايد للتنسيق والمتابعة عرض ليلى يكن أبو ظبي

إِلَى مِصْرَ، بَلُ امْكُثْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَعَيِّنُهَا لَكَ. ٣أَقِمْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي أُعْطِي لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الأَرْضِ وَفَاءً بِقَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ " (التكوين : ٢٦)

لقد كان اليهود لا يشكلوا إلا أقلية في المجتمعات التي يعيشون فيها حتى عندما كونوا مملكة يهودية فقد كانت مملكتهم صغيرة مقامة على جزء من أرض فلسطين التي كانت مكتظة بالعرب الكنعانيين ، وهذا ما يؤكد علماء اليهود المعاصرون : " يشكل اليهود -منذ نحو ألفين سنة تقريبا- وعلى العموم، أقلية في الأماكن التي يعيشون فيها. وحتى في أرض إسرائيل في الأيام الغابرة التي كان فيها اليهود، بكل تأكيد، الأغلبية الساحقة لأن البلد كان صغيرا ومحاطا بعدد من الشعوب الأخرى غالبا أكبر من اليهود، وكلها وثنية .(١)

إذن أحقية العرب في فلسطين ثابتة تاريخيا وتوراتيا فهم أصحاب الأرض الأصليين كما أنه لم يكن هناك في التاريخ وجود حقيقي ومستقر ومتواصل لبني إسرائيل في فلسطين، وإن الفلسطينيين العرب انتصروا على بني إسرائيل أكثر من مرة واستعبدوهم في عهد داود عليه السلام ، وان اليهود دخلوا في الشتات والتيه والتشرد لقرون طويلة قبل الميلاد ما بين مصر وبابل وآشور وغيرها، بينما بقي الفلسطينيون تاريخهم كله في فلسطين لم يخرجوا منها، وهو الأمر الذي أكد عليه كتاب العهد القديم ، و ينكره اليهود الصهاينة الآن .

كما أن نصوص التوراة لم تقل بأن اليهود خرجوا من مصر إلى أرض إسرائيل ، بل إلى أرض فلسطين ، وأن بهذه الأرض شعوبا أخرى ليس منها اليهود

فاهو الرب يقول لموسى " ١٦اذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ قَدْ تَجَلَّى لِي قَائِلاً: إِنَّنِي حَقّاً قَدْ تَفَقَّدْتُكُمْ، وَشَهِدْتُ مَا أَصَابَكُمْ فِي مِصْرَ، ١٧وَهَا أَنَا قَدْ وَعَدْتُ أَنْ أُخْرِجَكُمْ مِنْ ضِيقَةِ مِصْرَ **إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ**، هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلاً " (الخروج : ٣)

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٠١ .

زواج بني إسرائيل بالأجانب

إن النهي عن الزواج من أجنبيات الذي بالَغ مؤلفو التوراة في إثبات تمسك العبرانيين به هو محض افتراء فقد نصت التوراة نفسها أنه لم يحدث أبدا ففي كل العصور كان هناك زواج من أجنبيات .

إن العبرانيين، منذ استقرارهم في كنعان قد اختلطوا بالدم وبالثقافة مع الشعوب المحلية، وذلك بشهادة الكتاب المقدس ذاته فعندما كان عزرا ونحميًا يُمليان القوانين الأولى لحماية الدم، كان هذا التهجين قد مضى عليه أكثر من خمسة قرون، يقول نحميا في سفره: "١٣/٢٣ـــ ٢٥"، مُحدِّدًا حالة اليهود يومئذ: "رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعَمُّونيات ومُوآبيات، ونصف كلام بَنِيهِمْ باللسان الأشدودي".

إن توراة اليهود تصرح بأن بني إسرائيل لم يحافظوا على نقاء عرقهم بل اختلطوا بغيرهم من الأمم الأخرى وتزوجوا بناتهم وزوجوهم . وأن الزواج من الأغيار شمل معظم أنبياء بني إسرائيل .

فقد تزوج إبراهيم بهاجر المصرية " أَخَذَتْ سَارَايُ جَارِيَتَهَا الْمِصْرِيَّةَ هَاجَرَ وَأَعْطَتْهَا لِرَجُلِهَا أَبْرَامَ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ." (التكوين : ١٦)

" وتزوج عيسو بكر إسحق وأخو يعقوب بزوجتين حيثيتين . قَالَتْ رِفْقَةُ لإِسْحقَ: «قَدْ كَرِهْتُ حَيَاتِي مِنْ جَرَّاءِ الْبَنَاتِ الْحِثِّيَّاتِ، فَإِنْ تَزَوَّجَ يَعْقُوبُ مِنَ الْحِثِّيَّاتِ بَنَاتِ هذِهِ الأَرْضِ الْمُمَاثِلاتِ لِزَوْجَتَيْ عِيسُو، فَإِنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي "(التكوين : ٢٧)

وتزوج يوسف من ابنة كاهن مصري وأنجب منها ولدين .

" وَدَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ ، وَزَوَّجَهُ مِنْ أَسْنَاتَ بِنْتِ فُوطِي فَارَعَ كَاهِنِ أُونَ، فَذَاعَ اسْمُ يُوسُفَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ مِصْرَ. ٥٠وَأَنْجَبَتْ أَسْنَاتُ بنت فوطي فارَعَ كَاهِنِ أُونَ لِيُوسُفَ ابْنَيْنِ قَبْلَ حُلُولِ سَنَوَاتِ الْجُوعِ " (التكوين : ٤١)

وبارك إسرائيل (يعقوب) ابني يوسف من السيدة المصرية واعتبرهما من نسله الذي يرث الأرض الموعودة بل يُعدُّ ابني يوسف من أسنات المصرية المثل الأعلى لبني إسرائيل يدعون الله لكي يصيروا مباركين كابني يوسف .

" وَأَبْصَرَ إِسْرَائِيلُ ابْنَيْ يُوسُفَ فَسَأَلَ: «مَنْ هذَانِ؟» ٩فَأَجَابَهُ يُوسُفُ: «**هُمَا ابْنَايَ اللَّذَانِ رَزَقَنِي إِيَّاهُمَا اللهُ هُنَا». فَقَالَ: «أَدْنِهِمَا مِنِّي فَأُبَارِكَهُمَا»**. .. وَبَارَكَ يُوسُفَ

قَائِلاً: «إِنَّ اللهَ الَّذِي سَلَكَ أَمَامَهُ أَبَوَايَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحقُ، اللهَ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هذَا الْيَوْمِ، ١٦ الْمَلاَكَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يُبَارِكُ الْغُلاَمَيْنِ، وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا اسْمِي وَاسْمَا أَبَوَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحقَ، وَلْيَكْثُرَا كَثِيراً فِي الأَرْضِ».... ٢٠وَبَارَكَهُمَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: «بِكَ يُبَارِكُ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: «لِيَجْعَلْكَ اللهُ مِثْلَ أَفْرَايِمَ وَمِثْلَ مَنَسَّى» . (التكوين : ٤٨)

وتوراة اليهود تصرح أن يعقوب قد أعطى يوسف وذريته من زوجته المصرية سهما زيادة على إخوته في أرض الميعاد .

" ثُمَّ قَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: «إِنَّنِي مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ وَلكِنَّ اللهَ سَيَكُونُ مَعَكُمْ وَيَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِ آبَائِكُمْ. ٢٢وَهَا أَنَا قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنَ الأَرْضِ سَهْماً وَاحِداً عَلاَوَةً عَلَى إِخْوَتِكَ، أَخَذْتُهُ مِنَ الأَمُورِيِّينَ بِسَيْفِي وَقَوْسِي». (التكوين : ٤٨)

والسؤال هنا هل تُعَدُّ الأُمَّة العظيمة التي من نسل منسى ، وجمهور الأمم التي من نسل أفرايم من بني إسرائيل ، عِلْماً بأن أمهما مصرية لم تكن تمت لبني إسرائيل بأية صلة قبل أن يتزوجها يوسف الصديق ؟

فإن كانت الإجابة بنعم – كما تصرح التوراة بذلك – فالمصريون إذن يكونون شركاء لليهود في العهود الإلهية بتملك الأرض المقدسة ، والخلاص في آخر الزمان . وإن كانت الإجابة بـــ لا . حسب القانون اليهودي بأنه لا يُعَد يهوديا إلا من كانت أمه يهودية فإن على اليهود أن يتتبعوا ذرية يوسف – إن استطاعوا – ويخرجوهم من إسرائيل فهم ليسوا من شعب الله المختار ، ولا يستحقون العهود الإلهية !! كذلك عليهم أن يفعلوا الشيء نفسه مع ذرية موسى فيتتبعون ذريته من ابنة كاهن مديان صفورة . فقد تزوج موسى من ابنة كاهن مِديان " صفورة " وأنجب منها " وقَبِل موسى أن يقيم مع الرجل (كاهن مِديان) الذي زوجه من ابنته صَفُّورة . فأنجبت له ابنا دعاه جِرشوم (ومعناه غَريب) إذ قال : " كنت نزيلاً في أرض غريبة " (الخروج:٢)

" كانت قصة موسى الذي تزوج بنت كاهن عربي حكيم من مدين يسمى يثرو هي الاستثناء المهم في هذا الاتصال القليل نسبيا بين المجموعتين " (١)

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٦٨

كذلك عليهم أن يتتبعوا ذرية سليمان من زوجته المصرية ابنة فرعون مصر " تزوج سليمان ابنة فرعون ملك مصر وأحضرها إلي مدينة داود " (ملوك الأول:٣)

وأن يتتبعوا ذرية ملك مصر شيشنق الأول الذي تزوج ابنة سليمان " تزوج ملك مصر الليبي (شيشنق الأول) من الأسرة الثانية والعشرين الليبية (٩٤٥ ــ ٧٤٥ ق.م)، ابنة سليمان "

وكذلك عليهم أيضا أن يتتبعوا ذرية سليمان من زوجاته الألف الأجنبيات " أولع سليمان بنساء غَريبات كثيرات ، فضلا عن ابنة فرعون ، فتزوج نساء موآبيات ، وعمونيات ، وأدوميات وصيدونيات وحثيات وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب بني إسرائيل عن الزواج منهم قائلا لهم " لا تتزوجوا منهم ولا هم منكم ، لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتهم " ولكن سليمان التصق بهن لفرط محبته لهن فكانت له سبعمائة زوجة ، وثلاثمائة محظية " (ملوك أول : ١١)

كذلك عليهم أن يتتبعوا ذراري بني إسرائيل من أزواجهم وزوجاتهم الأجانب .

" وأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والأَمُوريين والفرزّيّين والحويِّين واليَبُوسيين . وتزوجوا من بناتهم ، وزوَّجوا بناتهم لأبنائهم وعبدوا آلهتهم " (القضاة : ٣)

والحقيقة التي تؤكدها توراة اليهود أن التزوج من الأجنبيات لم يكن أمراً مُحرَّماً في معظم تاريخ بني إسرائيل بل أنه كان هو القاعدة .

ولقد بقي الزواج المُختلط كثيرًا في يهود الشتات كما تشهد بذلك جهود المَجامع لإيقاف تيَّاره، فكان الخطر الذي أصدره مَجمع تُوليد "عام: ٥٨٩م"، والذي أصدره مجمع روما "عام: ٧٤٣م" والذي أصدره مجمع لتران، عام "١١٢٣، ١١٣٩م".

ولا ريب أن سياسة المُجتمعات المُغلقة ــ الجيتو" ــ قد بطأت هذه الحركة، ولكنه بمُجرد أن سقطت الحوائط في أوربا الغربية، فإن معدل الاختلاط لم يكفّ عن الارتفاع، في ألمانيا، ما بين عامي: " ١٩٢١ و١٩٢٥" كان هناك من بين كل مائة زواج يهودي اثنتان وأربعون زيجة مختلطة . (١)

---

(١) ج. كومارس "مسألة الجنس في العلم الحديث " اليونسكو ، باريس ١٩٥٨ ص ٣١ نقلا عن " فلسطين أرض للرسالات الإلهية " مرجع سابق .

ومن الظواهر الأخرى التي أدَّت إلى تَناقُص أعداد اليهود الزيجات المُختلَطة. فبعد الحرب العالمية الأولى، كان نحو ٥٠ % من الزيجات اليهودية في ألمانيا (عام ١٩١٥) زيجات مُختلَطة زادت إلى ٦٠% في عام ١٩٣٢. وفي عام: ١٩٢٦ عقدت في برلين ٥٥٤ زيجة مختلطة.

وفي كوبنهاجن، وصلت نسبة الزيجات المُختلَطة إلى نحو ٨٦ % في الفترة بين عامي ١٨٨٠ و١٩٠٥. وفي أمستردام، وصلت النسبة إلى نحو ٧٠ % (١٩٣٠). ومن المعروف أن معدلات الاندماج المرتفعة تؤدي إلى تَزايُد الزواج المُختلَط. وفي نهاية القرن التاسع عشر، كانت عملية الاندماج في أوربا تأخذ شكل التنصُّر. وكانت نسبة التنصُّر تتفاوت من بلد إلى آخر، ووصلت إلى حدِّها الأقصى في ألمانيا حيث حقق اليهود أعلى معدلات الاندماج، وهو ما أدَّى إلى انصهارهم. (١)

وفي الولايات المتحدة لاحظت مجلة التايم ــ في العاشر من مارس ١٩٧٥ ــ أن اليهود الأمريكيين يَميلون إلى أن يتزوجوا من خارج مجتمعهم، فكان حوالي ثلث الزيجات مُختلطة .

فرية البقاء والاستمرار اليهوديين

ليس الزواج المختلط فقط هو الذي أفسد الجنس اليهودي بل ذوبان اليهود عبر التاريخ في الشعوب الأخرى واعتناقهم لدياناتهم ومعتقداتهم ، وكذلك تهوُّد كثير من هذه الشعوب كل ذلك قضى على أسطورة بقاء واستمرار الجنس اليهودي .

فحوالي ثلاثة أرباع اليهود الذين كانوا يعيشون في المملكة العبرانية التي أسسها داود وسليمان قد فقدوا وذابوا في شعوب أخرى فمن المعروف تاريخياً أنه بعد انقسام المملكة العبرانية المتحدة إلى مملكتين متنازعتين (المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية)، انقسمت القبائل العبرانية الاثنتا عشرة إلى قسمين: عشر قبائل منها في المملكة الشمالية التي بلغ تعدادها ٨٠٠ ألف نسمة ، وقبيلتا يهودا وبنيامين في المملكة الجنوبية التي بلغ تعدادها ٣٠٠ ألف. وحينما سقطت المملكة الشمالية في أيدي الآشوريين عام ٧٢١ ق.م، هجَّر الآشوريون سكانها إلى آشور ، ولم يبق أحد

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ ج٢ الباب الخامس إشكالية التعداد . مرجع سابق .

في المملكة الشمالية إذ أن اليهود الذين هُجِّروا إلى آشور انصهروا وذابوا في سكانها، أما من تَبقَّوا فقد انصهروا في السكان المحليين أو فقدوا هويتهم العبرانية حيث اندمجوا في المجتمع وانصهروا فيه بالانخراط في سلك الديانات الوثنية العديدة، وقد تمت هذه العملية بسرعة غير عادية. ولهذا، فإن يهود بابل الذين هجَّرهم البابليون عام ٥٨٧ ق.م إلى مناطق قريبة من مناطق التهجير الآشوري لا يشيرون إلى ذلك التهجير الآشوري مع أنه لم يكن قد مر سوى نحو مائة وثلاثين عاماً فقط. ولعل سرعة ذوبان المهجَّرين يعود إلى أن المملكة الشمالية كانت قد عقدت تحالفات كثيرة فدخلت على العبادة اليهودية فيها عناصر وثنية من الديانات المجاورة. (١)

واليهود يعترفون أن معظم قبائلهم قد ضاعت " قضت الإمبراطورية الأشورية على المملكة الشمالية وسكانها ولم ينج من بطشها إلا المملكة الجنوبية وسكانها اليهود. ومنذ ذلك الوقت أصبح الناس يعرفون باليهود؛ ومنها جاءت الكلمة الإنجليزية المعروفة " Jews "ولكن ، بالرغم من ضياع معظم القبائل ، فإن التقليد اليهودي يميل حتى يومنا هذا، إلى تسمية الشعب اليهودي بإسرائيل . (٢)

فأين الـــ ٨٠٠ ألف يهودي الذي ذابوا في بلاد آشور وقد كانوا يمثلون نحو ثلاثة أرباع اليهود آنذاك ؟

كما أن سكان المملكة الجنوبية الذين بلغ عددهم عند اقتسام المملكة العبرية المتحدة ٣٠٠ ألف نسمة ، لم يبق منهم في المملكة الجنوبية إلا ١٥٠ ألفاً بعد السبي البابلي عام ٥٦٨ ق.م ، ولم يعد من سبي بابل – بعد عفو قورش – سوى ٦٠ – ٧٠ ألف فقط وفضل اليهود الباقون البقاء في بابل .

" دام السبي الإجباري في بابل قرابة خمسين عاما .وبدخول سنة ٥٣٩ ق.م هزم قورش ملك فارس البابليين. وسمح بعودة الراغبين من اليهود إلى أرض إسرائيل

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٤ ج١ الباب الخامس عشر التهجير الآشوري والبابلي . مرجع سابق .

(٢) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٧

(كتاب عزرا ١ـ٢) . عاد عشرات الآلاف في السنة التالية ، لكن كثيرين آخرين اختاروا البقاء في بابل . " (١)

وقد شهد المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيف بأن اليهود فيما وراء الفرات كانوا " لا يُحصَون عدَدًا ".

إن عدد سكان مقاطعة يهودا لم يتجاوز فيما بعد مرسوم قورش ما بين ٦٠ و ٧٠ ألفاً نسمة فقط . فأين باقي اليهود الذين كان عددهم إبان مملكة داود مليون وثمانمائة ألف نسمة !!

ومن الصعب أن نتصور أن بِضْع عشرات من ألوف الأشراف المَنفيين، والذين عاد عددٌ غير قليل منهم إلى فلسطين بعد عفْو قورش ـ كان من المُمكن أن يُوجدوا مجتمعًا بهذا القدْر من الأهمية، إلا أن يكون ذلك عن طريق تحوُّل عدد كبير من الناس إلى اليهودية .

ففي شمالي آشور القديمة اعْتنق ملك الأبيادين اليهوديةَ وتبِعه عددٌ كبير من أتباعه.

ولقد فَرضت الأسرة العصومية "من ١٣٥ ـ ٦٣ ق. م" خلال غزواتها ـ اليهودية على السُّكَّان المهزومين، وبخاصة الأدوميون، الذين دخلوا بالإيمان في الأسرة اليهودية، ولقد بان أنهم مُخلصون، شَديدُو الإخلاص، حتى إنهم قدَّموا إلى إسرائيل آخر مُلوكها الكبار، ولعِبوا دورًا من الدرجة الأولى في الحرب ضد الرومان.

وخلال القرون الثلاثة الأولَى من المسيحية، وقبل أن تُصبح الكنيسة في نيقية مُضطهدة لليهود بالهرْطقة ـ حقَّق التبشير اليهودي نجاحًا كبيرًا، وقد كتَب فيلون اليهودي يقول: "إن أعرافنا تَكسب، وتَجذب إليها البرابرة والهلينيين، القارة والجُزر، الشرق والغرب، أوربا وآسيا، والأرض كلها من طرفٍ إلى آخر. (٢)

---

(١) نفسه ص ١٨٢

(٢) برنارد لازار "معاداة السامية " باريس ١٩٨٢ ص٢٧ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

ولقد تتابعت هذه الحركة من التحول إلى اليهودية في المقاطعات التي خلَتْ من رقابة الكنيسة الرومانية، وفي مطلع القرن السادس الميلادي كان ملك اليمن ذو نواس، وجزء كبير من الشعب العربي، قد تحوّلوا إلى اليهودية.

وفي القرن السابع، كان شعب الخَزر، ذو الأصل التركي والروسي والماجيار، قد أنشأ مملكةً كبيرة على أرض أوكرانيا الحالية، وحوالي عام ٧٤٠ اعتنق ملك الخزر بولان اليهودية؛ لأنه لم يكن يريد أن يتبع البيزنطيين النصارى، ولا الفرس المسلمين، وقد استهوَى معه قسمًا كبيرًا من شعبه، يبلغ الثلث إذا ما استرشدنا بتكوين المحكمة العليا للمملكة، حيث كان يجلس فيها يَهوديانِ، ونصرانيانِ، ومسلمانِ، ومشرك واحد.

ومنذ القرن الحادي عشر، حتى الثالث عشر تشتَّتت هذه المَملكة تحت هجَمات الروس والبيزنطيين، ولا سيَّمَا هجمات جنكيزخان، وبذلك طورد الخزر إلى بولندا، والمَجر، والترنسلفانيا، مع مُشاركيهم في الدين الذين قدموا من ألمانيا والبَلْقان، فشكّلوا المجتمعات اليهودية، الكبرى، في أوربا الوُسطى الشرقية.

والنتيجة بسيطة، لقد استهل روفائيل بتاي مقاله عن اليهود في دائرة المعارف البريطانية بهذه العبارة الثمينة: "لقد ثبت من كشوف الأنثروبولوجيا الفيزيقية أنه لا يُوجَد جنس يَهوديٌّ، خلافًا للفكرة الشائعة. (١) ثم أشار، وهو يُلخِّص البحوث التي أُجريت على الفصائل الدموية إلى أن "مجموعات اليهودية تحمل في دمائها اختلافات ذات اعتبار فيما بينها، كما تحمل تَشابُهًا مُذهلاً مع غير اليهود في نفس البلد، ولمَّا رجع إلى السلم البيوكيمائي الذي وضعه هيرتزفيلد ذكر أن مؤشرات الدم على طرفي السلّم بين يهودي ألماني، وألماني يهودي تُظهر أن الفرْق طفيف: فهو ٢,٧٤ بالنسبة إلى فريق، و٢,٦٣ بالنسبة إلى الآخر، وكذلك الأمر بَيْن يهودي تركي، وتركي غير يهودي: ٩٧. بالنسبة إلى فريق، و ٩٩. بالنسبة إلى فريق آخر، فالمعامل يتراوح إذنْ بين ٤,٢% بين اليهود ومواطنيهم في بلدهم الخاص، على حين أنه يَختلف من ٣٠٠% بين اليهود من بُلدان مُختلفة، وتركيب الدم بصفة

(١) دائرة المعارف البريطانية ج ١٢ ص ١٠٥٤ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

عامة قريب إلى درجة التماثل بين اليهود وغير اليهود في البلد الواحد: ١,٥٤ بالنسبة إلى اليهود الرومانيين، ١,٥٣ بالنسبة إلى غير اليهود، وهو في مراكش ١,٦٣ بالنسبة إلى الجميع. (١)

ويذكر الكاتب الفرنسي المعروف " روجيه بيريفيت " في كتابه " اليهود " أعدادا ضخمة من اليهود الذين تنصروا من أواخر العصور الوسطى إلى عام ١٩٦٨(تاريخ تأليف كتابه اليهود) وعماد علمه هو القوائم التي كانت الكنائس تصدرها بأسماء اليهود المتنصرين ، وكتب أخرى صدرت في أوربا كثيرة وهي قوائم بأسماء اليهود المتنصرين في كل بلد ومن أشهر هذه الكتب – أو أدلة اليهود المتنصرين – هو الدليل المعروف بالسيمي جو ، وهو دليل بأسماء اليهود والمتنصرين نشر في مدينة جوتا في ألمانيا في القرن السادس عشر ، ولو صدقنا ما يقوله " روجيه بيريفيت " في كتابه " اليهود " فإن تسعين في المائة من الفرنسيين يرجعون إلى أصول يهودية (٢)

وعليه فإن كثيرا من غير اليهود قد تهوَّدوا ، وأصبحوا يشكلون نسبة كبيرة من اليهود ، وهذا ما يؤكده العلماء اليهود : " لدينا العلم بأن بعض اليهود قاموا بالدعوة إلى الدين منذ العهود الإغريقية الرومانية – على الأقل – وقد تهود عدد كبير من الوثنيين الإغريق والرومان، لكنه يبدو أن آخرين من الأمة اليهودية لم يدعموا هذه الدعوة، وبالفعل قد طورت جماعات مختلفة من اليهود مواقف مختلفة تجاه التقاليد الدينية التي رأوها حولهم تتراوح بين عدم الانحياز إلى الإدانة " (٣)

كما أن هناك عددا كبيرا من اليهود قد تنصر أو أسلم ، " إن معظم المسيحيين والزاردشتيين واليهود الذين كانوا رعايا الإمبراطوريات الإسلامية اعتنقوا الإسلام خلال القرون القليلة الأولى بعد الفتح. " (٤)

---

(١) رفائيل بتاي دائرة المعارف البريطانية ج ١٢ ص ١٠٥٤ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(٢) د. حسين مؤنس " كيف نفهم اليهود " دار المعارف ص ٢٣

(٣) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٠٢ .

(٤) نفسه ص ٣٩ .

ودونك أهم حالات تنصر ، وإسلام اليهود كما ذكرها علماء اليهود :

" سنة ٦١٣م يأمر سبسبوت ملك القوط المسيحي في أسبانيا أن يتحوّل اليهود إلى المسيحية أو المغادرة . يترك بعضهم ، ويتحوّل آخرون ، ويظل غيرهم يهوديا في السر " (١)

" سنة ٨٧٣ م يجبر باسل الإمبراطور البيزنطي عددا كبيرا من اليهود على اعتناق المسيحية " (٢)

" سنة ١٦٢٢م يُجْبر يهود مدينة مشهد في إيران على اعتناق الإسلام ويعرفون بالمسلمين الجدد " (٣)

" سنة ١٨٢٤م يُعَمَّد كارل ماركس في سن السادسة . لقد قام أبوه بتعميد أسرته وإدخالها في المسيحية لأنه لا يستطيع ممارسة منهة المحاماة في بروسيا (ألمانيا)(٤)

كما أن اليهود الإسرائيليين – على اختلاف جنسياتهم وأعراقهم – لا يؤمنون بالشريعة اليهودية كما جاءت في التوراة فنسبة٨٥ % منهم علمانيين لا دينيين " فحَسَب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥ % فقط من الإسرائيليين متدينون " (٥) . وحتى القلة الإسرائيلية المتدينة فإن معظمهم لا يؤمن بكل تعاليم التوراة إنما يؤمن ببعض الكتاب ويفكر ببعض ذلك لأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة .

{ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (البقرة : ٨٥)

يؤمنون بأنهم أول الموحدين ، ويفكرون بتوحيد الأمم السابقة عليهم كما نصت التوراة . يؤمنون باختيار الرب لهم ويكفرون بتجلي الرب لشعوب أخرى غيرهم . يؤمنون بعهد الرب لهم بتملكهم أرض كنعان ، ويكفرون بتحقق هذا العهد أيام

---

(١) نفسه ص ١٨٢
(٢) نفسه ص ١٨٣
(٣) نفسه ص ١٨٩
(٤) نفسه ص ١٩١
(٥) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٨٦ .

يشوع بنص التوراة . يؤمنون بعهد الرب لهم بالخلاص من السبي البابلي والآشوري والعودة إلى أرض الميعاد ، ويفكرون بنصوص التوراة التي تؤكد على تحقق هذا الخلاص وحدوث العودة إبان قورش الأكبر . يؤمنون بحرص اليهود على عدم الزواج المختلط ، ويكفرون بنصوص التوراة التي أكدت على الزواج المختلط ...

إذن فالزعم بأن يهود اليوم يمثلون تجانسا على مستوى العالم ،وأن هناك استمرارية تاريخية وثقافية بل عرقية لليهود على مدار تاريخهم كله زعم باطل ولا أساس له من الصحة ، والتاريخ الإنساني يشهد بكذب هذا الادعاء المفترى وإليك هذه الحقائق التي تؤكد كذب هذه الأسطورة :

١- إذا كان عدد اليهود في القرن الأول الميلادي يصل إلى ما يقرب من سبعة ملايين ، فإن عددهم في القرن السابع الميلادي لم يتجاوز المليون فأين الستة ملايين يهودي الباقين في عالم اليوم ؟!

٢- بعد موت سليمان انقسمت دولة إسرائيل إلى مملكتين : شمالية ، وجنوبية ، ولقد اختفت المملكة الشمالية إلى الأبد باستيلاء (شلمانصر الخامس) ملك أشور عليها وترحيل زعمائها ورؤوس قبائلها إلى آشور وميديا (شرقي العراق) وإحلال آراميين (من سوريا) وبابليين محلهم بحسب المدونات الآشورية (٧٢١ ق.م). وهذا ما يُسمَّى «السبي الآشوري» الذي اختفت على أثره القبائل اليهودية العشر « المفقودة »(١).

وتوراة اليهود تصرح بسبي بني إسرائيل إلى آشور ، وتوطين أقواما من بابل وكورث وعوًّا وحماة وسفروايم في مدن فلسطين .

" فاحتدم غضب الرب على إسرائيل ، وطرهم من حضرته ، ولم يبق سوى سبط يهوذا . ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طُرُق

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ٣ " الآشوريين " . مرجع سابق .

إسرائيل التي سلكتها . فنبذ الرب كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم وطرهم من حضرته .. **فَسُبِيَ الإسرائيليون من أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم .. ونقل ملك أشور أقواما من بابل وكوث وعوًا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل ، فستولوا على السامرة وأقاموا مدنها** " (ملوك الثاني:١٧)

وعندما اقتحم نبوختنصر المملكة الجنوبية ساق اليهود أسرى إلى بابل . **وبهذا فإن الوجود العبراني قد انتهى حينما وقفت المملكة الجنوبية** في وجه القوة البابلية العظمى وتم القضاء عليها وتشتيتها ..

وتوراة اليهود نفسها تعترف بهذا " يقول الرب إله إسرائيل : " ها أنا أجلب شراً على أورشليم ويهوذا فَتَطِنُّ أذنا كل من يسمع به . وسأوقع على أورشليم العِقاب الذي أوقعته بالسامرة وبأخآب ونسله . وأمسح أورشليم من الوجود كما يمسح الطبق من بقايا الطعام ثم يقلب على وجهه ليجف . **وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم فيصبحوا غنيمة وأسرى لهم** ، لأنهم ارتكبوا الشر في عينيَّ وأثاروا غضبي منذ خروج آبائهم من مصر إلى هذا اليوم . وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين حتى ملأ أورشليم من قصاها إلى أقصاها " (ملوك الثاني : ٢١)

وتوراة اليهود تعترف بخلو أرض كنعان من اليهود تماما .

" وهكذا سبي شعب يهوذا من أرضه أما بقية الشعب الذين تركهم نبوخذناصر ملك بابل في أرض يهوذا .. فهب جميع الشعب ، صغيرهم وكبيرهم ، ورؤساء الجيوش ، وهربوا إلى مصر خوفا من انتقام الكلدانيين " (ملوك الثاني : ٢٥)

٣- وعندما أعاد قورش كثيرا من المسبيين إلى فلسطين مرة ثانية كان هؤلاء العائدون قد نسوا العبرية ــ المصدر الأساسي لهويتهم الدينية ــ كما كانوا قد تأثروا تأثراً عميقاً بالتراث الديني في بابل . وتَغيرت الهوية لليهود من هوية ذات طابع ديني قومي تعبِّر عن نفسها من خلال الدولة إلى هوية دينية ثقافية تعبِّر عن نفسها من خلال مؤسسات مختلفة خاضعة للقوة الإمبراطورية .

٤- إن معظم اليهود المعاصرين إنما هم من يهود الخزر الذين ينتمون إلى أعراق وشعوب وقبائل متعددة ، ويغلب على الدراسات التاريخية أن تنسب يهود الإشكناز إلى الخزر، ولكن قد يكون أيضا كثير من الإشكناز من الأوروبيين الأصليين وليس فقط من الخزر، فالمعلومات والمصادر التاريخية المتاحة لا تكفي لتأكيد مقولة حصر انتساب الأشكناز إلى الخزر ولكن المؤكد هو أنهم ليسوا من بني إسرائيل (١).

وعليه فإننا نقول مطمئنين :

١- لا يوجد يهودي خالص ولا يهودي عالمي بل هناك يهود أمريكيون ويهود صينيون ويهود عرب ...

٢- أن هناك تَنوُّعا هائلا بين أعضاء الجماعات اليهودية على المستوى العِرْقي، فهناك يهود بيض ، ويهود سود ، ويهود صفر، وتختلف أحجام الرأس باختلاف انتماء اليهودي كما يظهر الاختلاف والتباين على المستوى الثقافي وهكذا.

٣- أن كلمة «يهودية» التي كانت تشير إلى نسق ديني يتسم بحد أدنى من الوحدة أصبحت تشير إلى عدد هائل من الحركات الدينية التي لا يربطها رابط .

كل هذا يجعلنا نقول مطمئنين إن يهود اليوم لا علاقة لهم عرقيا ببني إسرائيل أو الذين تحدثت عنهم التوراة لكن اليهود الصهاينة يفترضون ما يسمونه الاستمرار اليهودي ، ليكملوا دجلهم الديني والسياسي .

وحتى لو كان البقاء اليهودي معجزة وحقيقـــة- فرضا - فهو لا يعطي صاحبه أية حقوق . فبقاء اليهود لا يعطي يهود العالم أية حقوق في الاستيطان في فلسطين، حتى إن أرادوا ذلك وأصروا عليه أو شعروا بحاجة نفسية جامحة إليه .

ولو أن كل شعب سكن في بلد ما في زمن ما طالب بأحقيته في هذا البلد لاشتعلت الحروب في كل بلاد العالم .

---

(١) لمزيد من التفصيل عن يهود الخزر راجع د.م. دنلوب " تاريخ يهود الخزر " مرجع سابق .

لقد لجأ القادة الصهيونيون الإسرائيليون إلى هذه الأساطير كيْمَا يُخفوا غزوتهم الاستعمارية تحت قناع "عودة" اليهود، الذين ليْس لأغلبيّتهم الساحقة أيُّ جَدٌّ أصليٌّ من هذا البلد، إن أوضح نتائج هذه الخديعة قد صاغها تُوماس كيمان في قوله: "إن الصهيونيين أوربيون، وليس هنالك مُطلقًا أيُّ رباط بَيولوجي، أو أنثروبولوجي بين أجداد اليهود في أوربا، وبين قدامى الأسباط العبرانيين". (١)

والرجاء ممن يردد أساطير اليهود أن يقرأ أولا توراتهم فهي تُكَذّب هذه المزاعم ، فإن أصر على هذه المزاعم فعليه أن يعترف بتحريف التوراة ، ووجب عليه أن يثبت لنا بالدليل القاطع بان هذه المزاعم ليست من النصوص المحرفة !!

***

(١) توماس كيمان " العرب " ط لستيل بروان اندسي" بوسطون ١٩٧٥ ص ٢٥٣ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

الفصل الخامس

الرد على أسطورة عداء الأغيار لليهود

في الفصل السابق رددنا على الأساطير التوراتية التي ذكرتها توارة اليهود ولكن هناك أساطير أخرى أضافتها الصهيونية من هذه الأساطير أسطورة عداء الأغيار (غير اليهود) لليهود على مدى التاريخ .

إن أسطورة عداء الأغيار لليهود من الأساطير الصهيونية التي يحاول اليهود الصهاينة أن يستدروا بها عطف العالم خاصة الأوربيين فهم يزعمون " أن اليهود هم الضحية الوحيدة على مستوى التاريخ " مستغليين ما يحس بها الأوربيون من الشعور بالذنب تجاه اليهود بعد محرقة هتلر النازي وللأسف الشديد هناك من الأوربيين من يصدق بهذه المزاعم الكاذبة ويتعاطف مع اليهود في صراعهم مع العرب ويمدهم بكل سلاح للدفاع عن أنفسهم ضد جمال عبد الناصر النازي الجديد الذي يريد أن يرمي بهم في البحر !! أو ضد صدام حسين الدكتاتور العنيد الذي يريد أن يحرق نصف إسرائيل !! أو ضد أسامة بن لادن الإرهابي الكبير الذي يريد أن يبيد غير المسلمين . أو حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي ومن وراءهم من محور الشر (إيران وسوريا) الذين يوجهون صورايخهم ضد المدن الإسرائيلية الآمنة ويخطفون الجنود الإسرائيليين المسالمين !!

والحقيقة أن اليهود ليسوا الضحية الوحيدة على مدى التاريخ فهناك أمم شتى تعرضت للسبي والتهجير والتعذيب والاستعباد ، لكن اليهود لا يذكرون إلا عذاباتهم هم .

" فحينما يقوم البابليون بسبي وتهجير كثير من الأقوام السامية في فلسطين والشام لا يُذكَر سوى العبرانيين، وحينما يبيد النازيون الملايين لا يُذكَر أي من السلاف أو الغجر أو المعوقين أو غيرهم ممن تمت إبادتهم ، وذلك حتى تظل الأضواء مسلطة على اليهود وحدهم. وأن اليهود ضحية وحيدة مقابل الأغيار، الذنب الدائم .. بل يصبح احتلال فلسطين وطرد سكانها منها مجرد تعويض عما حاق باليهود من أذى على يد النازيين !." (١)

لم يكن اليهود وحدهم من تعرض لاعتداء الأغيار عليهم ففي عصر الشهداء تعرض المسيحيون للتعذيب والتنكيل والإبادة من الرومان بسبب تمسكهم بدينهم ورفضهم لوثنية الرومان .

" كان كل وثني يعرف أحد المسيحيين و يرشد عنه ، كان يؤتى به علي عَجَل ويدعون الواحد باسمه يتقدم إلي هيكل الأوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية ، وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحة له ، بعد أن يجتهدوا في إقناعه بذلك بكل وسائل التخويف والإرهاب" (٢)

وفي الأندلس انتهى وجود ملايين من المسلمين بسبب محاكم التفتيش .

تقول الدكتورة زجريد هونكه :

في ٢ يناير ١٤٩٢ م رفع الكاردينال (دبيدر) الصليب على الحمراء، القلعة الملكية للأسرة الناصرية، فكان إعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على أسبانيا .وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على أوربا طوال العصور الوسطى، وقد احترمت المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة، ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم وثقافتهم .

لقد حُرِّم الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرِّم عليهم استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حيًا بعد أن يعذَّب أشد العذاب .

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ " التاريخ من خلال الكوارث " مرجع سابق .

(٢) الشماس منسي القمص " تاريخ الكنيسة القبطية " ص ١١٠

وهكذا انتهى وجود الملايين من المسلمين في الأندلس فلم يبق في أسبانيا مسلم واحد يُظهر دينه . (١)

ويعترف أحد اليهود " روبيك آتوف " بهذه السياسة الإسرائيلية الوحشية تجاه العرب فيقول : " إن الغزو الصهيوني يستمد الوحي والقوة الدافعة لتصرفاته من أحلام وتطلعات تلك الأرواح التي تعرضت للتعذيب في الجيتوات الأوروبية ، إذ يبدو أن السنوات الطويلة من الإذلال و الاضطهاد اللذين عاناهما اليهود في أوروبا و الذي بلغ ذروته في عمليات الإبادة الهتلرية ، قد تركت شرخا عميقا في البنية الروحية لليهود الأوروبيين الذين يقودون إسرائيل اليوم ، وهكذا فإن أحقاد مئات الأعوام تجد اليوم متنفسا لها من خلال الوحشية التي يُعَامَل بها العرب على نحو لم يسبق له مثيل قط . ولكن أي قدر ساخر قاس هذا الذي يجعل اليوم العرب الذين كانت أراضيهم ملاذا لليهود الفارين إليها من الفظائع الرهيبة التي كانوا يتعرضون لها في أوروبا خلال القرون الوسطى ، ضحايا لاضطهاد بهذا المستوى و القسوة على أيدي اليهود بالذات " (٢) .

وقد وصلت تأثيرات النكبة النازية على السيكولوجية القومية في إسرائيل إلى ذروتها في الأسابيع التي سبقت حرب يونيو ١٩٦٧ . لقد استولى الفزع على الإسرائيليين بما فيهم الكثير من الشباب ، واعتقد الكثيرون أن المصريين الذين كانت نداءاتهم متعطشة للدماء ، وتردد كل ساعة في الراديو يدبرون لهم نكبة يهودية جديدة . إن المؤسسة الإسرائيلية تنمي حاسة اليهودي باستمرار لتحقيق أكثر من هدف . وأهم هذه الأهداف هو دفع الإسرائيلي للقتال بشراسة تحت ستار « الدفاع عن النفس من خطر الإبادة » ، و إيهام العالم الخارجي بمدى الخشية الإسرائيلية من خطر الإبادة العربية . وقد شهد الكثيرون من المراقبين بقدرة هذه المشاعر في تلك الفترة ، حيث تنفجر فيه عقدة المادة الانتحارية و تحل كل المشاكل الشخصية ، و تتآلف الأحزاب المتعارضة ، و تنشأ حكومة قومية و يبحثون عن بطل قومي . (٣)

---

(٢) د. زجريد هونكه " القومية" ص ١٧٤

(٢) آتوف . روبيك : « العرض المزدوج للباتريوت » صحيفة على همشمار ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٢ نقلا عن كتاب " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " دار الهلال ص ٢٣٦، ٢٣٧ .

(٣) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " مرجع سابق ص ٢٣٧

والعجيب في الأمر أن اليهود يستخدمون مع العرب سلاح البطش والإرهاب ويصرحوا للعالم بأنهم مهددون بالإبادة والحرق .

أما حكامنا العرب الأشاوس يعكسون الوضع فيلعبون على عواطف الجماهير العربية مستغلين : جهلهم وتخلفهم وضعف وعيهم السياسي من ناحية ، و سهولة السيطرة عليهم بدغدغة عواطفهم من ناحية أخرى ،وعشقهم للزعامة و للزعماء ومباركتهم لجلاديهم من ناحية ثالثة !

أما فيما يخص الدعاية الخارجية فكان حاكمنا يستخدمون لغة المدافع المدمدمة والصواعق المرسلة .

وكانت النتيجة أن إسرائيل احتلت أراضينا واستمر وصفهم بالضحية أما نحن فضاعت أراضينا واتهمنا نحن بالبربرية والنازية !!

والتساؤل هنا الذي يطرح نفسه لماذا اليهود على مدى التاريخ هم وحدهم – على حد اعتقادهم – المضطهدون من كل البشر على اختلاف أزمانهم وجنسياتهم ومعتقداتهم ؟!!

والحقيقة التي يصل إليها دارس التاريخ الإنساني العام أو توراة اليهود نفسها يتضح له بجلاء أن اليهود لم يكونوا أبدا الضحية بل هم دائما أس البلاء في كل بلد حلوا به بما يتميز به أكثرهم من خيانة للعهود ، وإثارة الفتن والحروب ، وما كانت النوازل التي حلت بهم إلا جزاء وفاقا .

الأسباب الحقيقية وراء اضطهاد اليهود

من العجيب حقا أن يكون " يهوه " إله بني إسرائيل وراء كل اضطهاد حاق ببني إسرائيل أو اليهود ؛ فهم الذي قرر إفناءهم بسبب كفرهم به واتخاذهم العجل إلها من دونه .

" ٧فَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى: «قُمْ وَانْزِلْ فَإِنَّ الشَّعْبَ الَّذِي قَدْ أَخْرَجْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، قَدْ فَسَدَ. ٨إِذِ انْحَرَفُوا سَرِيعاً عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، فَصَاغُوا لَهُمْ عِجْلاً وَعَبَدُوهُ وَذَبَحُوا لَهُ الذَّبَائِحَ هَاتِفِينَ: هَذَا هُوَ إِلهُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ دِيَارِ

مِصْرَ». ٩وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَإِذَا بِهِ شَعْبٌ عَنِيدٌ مُتَصَلِّبُ الْقَلْبِ. ١٠وَالآنَ دَعْنِي وَغَضَبِي الْمُحْتَدِمَ فَأُفْنِيَهُمْ، ثُمَّ أَجْعَلَكَ أَنْتَ شَعْباً عَظِيماً». "(الخروج :٣٢)

هذا هو رأي " يهوه في بني إسرائيل " شعب عنيد مُتَصَلِّب القلب " وسيظل هذا دأب كثير ممن ينتسب لهذا الدين . ويأخذ موسى في الابتهال إلى الرب ليعفوا عن شعبه العنيد حتى لا يَشْمت به المصريون " فتراعف الرب ولم يوقع بشعبه العقاب الذي توعد به " (الخروج : ٣٢)

ولكن موسى ما إن اقترب من المخيم " ١٩ وَشَاهَدَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ حَتَّى احْتَدَمَ غَضَبُهُ وَأَلْقَى بِاللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدِهِ وَكَسَّرَهُمَا عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ. ٢٠ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الذَّهَبِيَّ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِماً، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَأَرْغَمَهُمْ عَلَى الشُّرْبِ مِنْهُ." (الخروج : ٣٢)

ولم يكتف موسى بهذا فقرر تمحيصهم ومعرفة من يتبع الرب ممن تولى عنه واتبع هواه فوقف " في باب المخيم وصاح " كل من يتبع الرب فليقبل إليَّ هنا " فاجتمع حوله اللاويون . فهتف بهم " هذا ما يعلنه الرب إله بني إسرائيل : ليتقلد كل واحد سيفه ، وجولوا في المخيم ذهابا وإيابا من مدخل إلى مدخل ، واقتلوا كل داعر سواء أكان أخا أو صاحبا أم قريبا " . فأطاع اللاويون <u>أمر موسى فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل</u> " (الخروج : ٣٢)

والسؤال هنا من الضحية ومن الجزار في هذه الحادثة التي تعد أول حادثة يُقْتَل فيها هذا الخلق الكثير من بني إسرائيل ؟ هل يعد الكافرون بالله العابدون للعجل هم الضحية ؟! ويهوه هو الجزار ؟!!

إن المتتبع لكل عقاب سينزل ببني إسرائيل بعد ذلك يجده يسير على هذا المنوال فساد من بني إسرائيل ، وعصيان لله يكون جزاؤه عقاب من الرب ينزله بهم ليس بأيديهم كما حدث في هذه المرة إنما بأيدي أعدائهم .

فتوراة اليهود توضح بجلاء المسئول عن كل بلاء حاق ببني إسرائيل ، إنه كفرهم وفسادهم ، وما العقاب الذي ينزله بهم الله إلا جزاء وفاقا .

عقوبات العصيان

فمن بين بنود الميثاق المبرم بين " يهوه " وشعبه عقوبات العصيان التي يقول الرب فيها لبني إسرائيل :

" إن عصيتموني ولم تعملوا بكل هذه الوصايا ، وإن تنكرتم لفرائضي وكرهتم أحكامي ولم تعملوا بكل وصاياي ، بل نكثتم ميثاقي ، فإني أبتليكم بالرعب المفاجئ وداء السل والحُمَّى التي تُفْني العينين وتتلف النفس ، وتزرعون على غير طائل ، وينهب أعداؤكم زرعكم . وأنقلب عليكم فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتحكم بكم مبغضوكم وتهربون من غير طارد لكم .

وإن أمعنتم في عصيانكم أزيد من عقابكم سبع مرات وفقاً لخطاياكم . أذِلُ غطرستكم ، وأجعل سماءكم كالحديد لا تمطر وأرضكم كالنحاس لا تُغِلُ فيذهب جهدكم باطلا ... وإن لم تتعظوا ، وتماديتم في عصيانكم أنقلب عليكم وأزيد في بلائكم سبع مرات وفقا لخطاياكم . أسلط عليكم سيف العدو . فينتقم منكم لنقضكم ميثاقي .. وأجعل الأرض قفرا فيرتاع من وحشتها أعداؤكم الساكنون فيها ، وأشتتكم بين الشعوب ، وأجرد عليكم سيف ، وألاحقكم ، وأحول أرضكم إلى قفر ومدنكم إلى خرائب . عندئذ تستوفي الأرض راحة سبتها طوال سنين وحشتها وأنتم مشتتون في ديار أعدائكم . حينئذ ترتاح الأرض وتستوفي سنين سُبُوتِها فتُعَوِّض في أيام وحشتها عن راحتها التي لم تنعم بها في سنوات سُبُوتكم عندما كنتم تقيمون عليها . أما الباقون منكم في أرض أعدائكم ، فإني ألقي الرعب في قلوبهم فيهربون من حفيف ورقة تسوقها الريح ، وكأنهم يهربون من السيف . ويسقطون وليس ثمة مطارد لهم . ويعثر بعضهم ببعض كمن يفر من أمام سيف من غير مطارد لهم ، ولا تثبتون أمام أعدائكم فتهلكون بين الشعوب وتبتلعكم أرض أعدائكم . أما بقيتكم فتفنى بذنوبها وذنوب آبائها في أرض أعدائكم كما فني آباؤهم من قبلهم" (اللاويين:٢٦)

كل هذه البلايا من خراب لبيت بني إسرائيل ، وأوبئة ، وقتل ، وشتات ، وقهر وذل من أعدائهم جزاء المعصية والفساد ونقض الميثاق مع الله فإن تابوا وأصلحوا فإن " يهوه " يجدد لهم العهد .

" إن اعترفوا بخطاياهم وخطايا آبائهم وبخيانتهم لي وعداوتهم ، التي جعلتني انقلب عليهم وأنفيهم إلى أرض أعدائهم وإن خضعت قلوبهم النجسة بعد أن استوفوا عقاب خطاياهم فإني أذكر ميثاقي مع إسحق وميثاقي مع إبراهيم "(اللاويين : ٢٦)

وبناء على هذا الميثاق ، وأحداث التاريخ التوراتي ، بل والتاريخ الإنساني العام ، فإن كل اضطهاد نزل ببني إسرائيل ، أو بالجماعات اليهودية في كل زمان ومكان كان بسبب فسادهم ونقضهم للعهد .

وإليك ثبتا تاريخيا بأهم ما تعرضوا له من نوازل ، واضطهاد ، وأسباب هذا الاضطهاد في التاريخ الإنساني العام ثم في نصوص الأديان السماوية : التوراة ، الإنجيل ، القرآن .

أولا : أسباب اضطهاد اليهود في مصر القديمة

ما كان اضطهادهم في مصر القديمة، ثم طردهم منها إلا بسبب خيانتهم للمصريين القدماء والتحالف مع أعدائهم .

فقد عاش بنو إسرائيل في مصر عيشة كريمة ، في أفضل مكان بمصر وامتلكوا أجود أرض فيها وكان ذلك زمن الهكسوس .

" ٢٧وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَاقْتَنَوْا فِيهَا أَمْلاَكاً وَأَثْمَرُوا وَتَكَاثَرُوا. " (التكوين : ٤٧)

أقام بنو إسرائيل في مصر في عهد الهكسوس نحو مائة عام في كنف يوسف في أمن وسلام وفي نعمة وإحسان . واستمرت الحياة هنيئة لبني إسرائيل في مصر حتى بعد موت يوسف وجميع أخوته لسنين طويلة .

ولكن بعد أن تمكن المصريون من طرد الهكسوس الذين عاش بنو إسرائيل في كنفهم وأعانوهم على حكم مصر وتسخير المصريين لهم كما جاء في التوراة . اعتبر المصريون أن بني إسرائيل هم الذين استعبدوهم لصالح الحاكم الأجنبي لذا قاموا باضطهاد واستعباد بني إسرائيل الذين عاونوا الهكسوس أعداءهم .

" وَمَا لَبِثَ أَنْ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. ٩فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً. ١٠فَلْنَتَآمَرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلاَ يَتَكَاثَرُوا وَيَنْضَمُّوا إِلَى

أَعْدَائِنَا إِذَا نَشَبَ قِتَالٌ وَيُحَارِبُونَا ثُمَّ يَخْرُجُوا مِنَ الأَرْضِ». ١١فَعَهِدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَاةٍ لِيُسَخِّرُوهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتَيْ فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. ١٢وَلَكِنْ كُلَّمَا زَادُوا مِنْ إِذْلاَلِهِمْ، إِزْدَادَ تَكَاثُرُهُمْ وَنُمُوُّهُمْ، فَتَخَوَّفُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٣فَتَفَاقَمَ عُنْفُ اسْتِعْبَادِ الْمِصْرِيِّينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٤وَأَتْعَسُوا حَيَاتَهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ كَادِحِينَ فِي الْحُقُولِ. وَسَخَّرَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ بِعُنْفٍ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الشَّاقَّةِ." (الخروج : ١)

ولم يكن دافع فرعون مصر لاضطهاد بني إسرائيل مساعدتهم الهكسوس على استعباد المصريين فحسب بل قيامهم بأعمال تعد خيانة عظمى للوطن .

فقد كانوا يهربون أولادهم من التجنيد أو أعمال الحرب وانتهزوا فرصة انشغال فرعون وجيشه في محاربة الليبيين على الحدود الغربية فقاموا بتهريب الغلال والماشية والذهب إلى سوريا والبلاد الآسيوية وكانوا يشرفون على مخازن التموين وصوامع الغلال في بر رعمسيس ومنف مما تسبب في مجاعة في البلاد وتوقف إمداد الجيوش المحاربة بالتموين . فأوقف فرعون معاركه وعاد إلى العاصمة حيث أعد خطة للقضاء عليهم . (١) .

وتؤكد اللوحة المسماة بـــ " لوحة إسرائيل " والتي جاء فيها أن من أعمال الفرعون " مرنبتاح " العظيمة هي انتصاره على الليبيين وقضائه على بني إسرائيل وتطهير مصر منهم . " وإسرائيل خربت وليس بها بذر " (٢)

وظل هذا دأب أكثر اليهود في أي مكان حلُّوا فيه فإنهم كانوا يعملون على نقض العهود ، وإشعال الحروب ؛ والتحالف مع أعداء الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها مما جعلهم شعبا منبوذا مستحقا للاضطهاد .

ثانيا : أسباب السبي الأشوري

هاجم (شلمانصر الخامس) ملك أشور مملكة إسرائيل واستطاع أن يخضعها لحكمه ، وتعاهد مع هوشع ملك إسرائيل على دفع جزية سنوية نظير إبقائه في

---

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٥١.

(٢) سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " الهيئة المصرية العامة للكتاب الجزء السابع ص ١٠١

الحكم وقد قبل هوشع هذا العهد ، لكن سرعان ما خان هوشع العهد مع ملك أشور واستغاث بملك مصر سرا وأثاره على ملك أشور وما لبث أن اكتشف ملك أشور خيانة هوشع ، الذي أرسل وفدا يستغيث بِسَوَا ملك مصر ، ولم يؤد جزية لملك أشور كعهده في كل سنة " فحاصر شلمانصر الخامس السامرة ، ثم استولى عليها وخلفه سرجون الثاني فاختفت المملكة الشمالية إلى الأبد بالاستيلاء عليها وتم ترحيل زعمائها ورؤوس قبائلها إلى آشور وميديا (شرقي العراق) وإحلال آراميين (من سوريا) وبابليين محلهم بحسب المدونات الآشورية (٧٢١ ق.م). وهذا ما يُسمَّى «السبي الآشوري» الذي اختفت على أثره القبائل اليهودية العشر « المفقودة ». استمرت يهودا في دفع الجزية. و في نهاية الأمر، اندلعت ثورة فيها بتأييد من مصر. وقد كان ردّ سناخريب حاسماً، فأخمد الثورة، ولكنه سمح ليهودا أن تستمر كدولة تابعة. وحينما عاود اليهود الكرَّة، حاصر سناخريب القدس ولكنها لم تسقط إذ اضطر إلى فك الحصار بسبب الوباء على أن يدفع اليهود الجزية " (١)

ثالثا : أسباب السبي البابلي

وحدث نفس الشيء قبل السبي البابلي . تَمَرُّد من اليهود ، وإشعال للثورة ، وإيقاد للحرب وتحالف مع كل القوى المتصارعة مما جعلهم أعداء للجميع فهم يعاهدون البابليين ، وفي نفس الوقت يعاهدون المصريين أعداء البابليين ، وفي الوقت ذاته يعاهدون الله ، فهم يريدون أن يمسكوا بجميع الخيوط حتى وإن كانت متناقضة فحبل من المصريين ، وحبل من البابليين أعدائهم ، وحبل من الله عدو لجميع الكافرين ، وهم أعداء للجميع .

فعندما كانت العلاقات بين الكلدانيين والمصريين متوترة ، ومرشحة للاصطدام ، قدر اليهود أن النصر سيكون حليف المصريين ، لذلك سارعوا للتحالف معهم ، وخالفهم في ذلك النبي " أرميا الكاهن " فقد كان اعتقاده أن النصر سيكون من نصيب نبوختنصر البابلي وجيشه .

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ٣ " الآشــوريين " . مرجع سـابق .

و لما انتصر جيش نبوختنصر ، اقتحم نبوختنصر القدس وساق اليهود أسرى إلى بابل ، وقدَر للنبي " أرميا " موقفه فترك له الحرية في البقاء أو الهجرة . (١)

وكان نبوختنصر قد قاد حملتين ضد المملكة الجنوبية : الأولى في عام ٥٩٧ ق.م لإخماد التمرد فيها، ونفى ثمانية آلاف يهودي من الأرستقراطيين. وبعد بضع سنين، عندما أعاد العبرانيون الكرَّة بإيعاز من مصر، قاد نبوختنصر حملة أخرى عام ٥٨٦ ق.م. ورغم أن المصريين أرسلوا المساعدات للعبرانيين، فقد أسقط القدس ودمَّر الهيكل وأسر عدداً من اليهود ساقهم إلى بابل، وعيَّن جداليا حاكماً لفلسطين. " (٢) .

رابعا : أسباب السبي الروماني

والشيء نفسه حدث قبل الغزو الروماني فقد عاهد اليهود الرومان ثم عاهدوا أعداءهم من المصريين والفرس وكانت النتيجة أن دمر الرومان عليهم وهدموا لهم الهيكل " فقد أرسل يهودا المكابي مبعوثاً للدولة الرومانية ليعقد حلفاً مع القوة الجديدة. وقد قَبِل الرومان... وقد قوَّى اليهود علاقتهم مع حكام الفرس ، ومع البطالمة في مصر، حتى أصبحت يهودا قوة عسكرية لا بأس بها في القرن الأول قبل الميلاد. ولكن القوة الرومانية الصاعدة كانت آخذة في الاقتراب، كما أن الخلافات الداخلية كانت تعتمل داخل الدولة اليهودية. ولذا، فقد سقطت الدولة بسهولة في يد الرومان (٦٥ ق.م) وتحولت إلى الدولة الهيرودية .

وقد تعاظمت قوة الحزب الشعبي بين اليهود أثناء حكم الأسرة الهيرودية، وكان أعضاء هذا الحزب لا يعرفون موازين القوى العظمى. ولذا فقد تمردوا ضد الهيمنة الرومانية، فكانت النتيجة سلسلة الهزائم والانكسارات في ماسادا وغيرها، وهي الهزائم التي انتهت بهدم الهيكل ثم القدس نفسها وبتحريم اليهودية في فلسطين." (٣)

---

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " نقلا عن الشبكة الإسلامية .
(٢) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ١ " : نبوختنصر" مرجع سابق .
(٣) نفسه م٤ / ج١ " مصر والإمبراطورية الحيثية " .

ويكشف لنا التاريخ أن التجار اليهود وصرافي النقود لم يقتصروا في أعمالهم غير المشروعة علي تجارة العبيد، بل كانوا ينظمون ويحتكرون التجارات الفاسدة، من مخدرات ودعارة وتهريب المسكرات والعطور والجواهر والبضائع الثمينة الأخرى.. وتأمينا لمصالحهم وحماية لعملياتهم غير المشروعة، كانوا يلجئون إلي الرشوة وشراء ذمم المسئولين الكبار.. وهكذا استطاعوا بواسطة المخدرات والمسكرات والنساء تقويض أخلاق الشعب الروماني .. ويسجل التاريخ أن يوستنيانوس، وهو إمبراطور روما القوي، لم يكن بالقوة الكافية لوضع حد لتلك النشاطات .

وقد بحث المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون (١٧٣٧ – ١٧٩٤) في التأثيرات المفسدة للتجار والمرابين اليهود، ووصفهم بأنه كانت لهم يد طولي في " انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية ".. وكان هذا هو عنوان كتابه.. وتحدث جيبون بإسهاب عن الدور الذي لعبته بوبابا زوجة نيترون، في التمهيد لتلك الظروف التي جعلت الشعب الروماني ينظر كالمخمور بدون مبالاة إلي انهياره السريع وتحطمه.. وبسقوط الإمبراطورية الرومانية تأسست السيطرة اليهودية، ودخلت أوروبا في "العصور المظلمة " . (١)

وتقول الموسوعة البريطانية حول هذا الموضوع ما يلي : " كان لدي التجار والمرابين اليهود ميل شديد للتخصص بالتجارة، وكان مما ساعدهم علي الامتياز في ذلك الحقل، مهارتهم وانتشارهم في كل مكان.. وكان معظم تجارة أوروبا في العصور المظلمة في أيديهم، وخاصة تجارة الرقيق " .

وكانت هذه الجرائم اليهودية في حق الأوربيين سببا في اضطهاد الأوربيين لهم طوال العصور الوسطى حتى عصر النهضة .

خامسا : أسباب عداء سيدنا محمد ﷺ لليهود :

أما عن علاقتهم بخاتم الأنبياء وإمام المرسلين فكانت أنكى وأشد فعلى الرغم من المعاملة الراقية التي عاملهم الرسول بها إلا أنهم قابلوا وفاءه ﷺ لذمتهم بالغدر ،

---

(١) وليم جاي كار " أحجار على رقعة الشطرنج " الفصل الثالث " اليهود " .

كما قابلوا إحسانه ﷺ بالإساءة فقد أرادوا قتل النبي ﷺ بإلقاء حجر عليه و أنجاه الله تعالى من كيدهم ، وكرر اليهود محاولة قتل النبي ﷺ مرة ثانية لكن هذه المرة ليس بإلقاء حجر عليه إنما بالسم ونجا النبي من الموت بالسم وإن ترك السم أثرا في جسده الشريف إلى أن توفاه الله تعالى .

وقد نقض اليهود عهد رسول الله ، وعاهدوا الأحزاب – سرا – كعادتهم في معاهدة الأطراف المتصارع معا فلما كفى الله تعالى المسلمين شر الأحزاب عاقبهم النبي على خيانتهم فقتل المحاربين المعتدين وأجلى الباقين عن المدينة .

والدولة الصهيونية تعترف بحسن معاملة المسلمين لليهود إبان الفتح الإسلامي لفلسطين " جاء الفتح الإسلامي للبلاد بعد أربع سنوات من وفاة النبي محمد ﷺ ٦٣٢. واستمر الحكم العربي للبلاد أكثر من أربعة قرون، وتوالى على الحكم الخلفاء الراشدون ثم خلفاء بني أمية من دمشق وخلفاء الدولة العباسية من بغداد ثم من مصر.

وفي البداية، تجدد التوطن اليهودي في القدس، ومنحت الطائفة اليهودية المكانة التي حظي بها أهل الذمة تحت الحكم الإسلامي، وهي المكانة التي تضمن سلامتهم وأمنهم وممتلكاتهم وحرية العبادة مقابل دفع الجزية ومع ذلك فإن القيود التي فرضت بعد ذلك على غير المسلمين (٧١٧م) أثرت على إدارة اليهود لشؤونهم العامة كما أثرت على ممارستهم لشعائرهم الدينية وعلى مكانتهم الشرعية. (١).

وسوء حال اليهود الاقتصادية والدينية في العصر العباسي الذي تدعيه الدولة الصهيونية هو محض افتراء وحسبنا للرد عليه هو ذكر ما كتبه المؤرخون الأكاديميون اليهود عن حال اليهود في العصر العباسي : " لقد مكّنت وحدة الإمبراطورية العباسية تسهيل نقل الأشخاص والبضائع ورأس المال والأفكار من المركز اليهودي في بغداد إلى معظم العالم اليهودي، وبالفعل فإن حوالي ٩٠ % من يهود العالم آنذاك كانوا يعيشون في العالم الإسلامي .

وكان العالم اليهودي حرا في إدارة شئونه الداخلية بتدخل قليل من السلطات الإسلامية ما دام اليهود يدفعون ضرائبهم ويعترفون بسيادة الإسلام من خلال بعض

---

(١) نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت .

التصرفات. بعضها مذل شيئا ما. لا يهتم أسيادهم المسلمون كثيرا بما يقوم به اليهود ما داموا يحفظون السلام ويدفعون ضرائبهم (الحسبة أو الجرية) وما داموا ملتزمين بأماكنهم .

وصلت الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى فترتها الأكثر إنتاجا بين السنوات ٩٠٠ و ١٢٠٠، وتبعتها الحضارة اليهودية في العالم الإسلامي على المنوال نفسه .تطورت في أثناء هذه الفترة بعض أكبر أعمال الفلسفة اليهودية، والنحو، والقانون وفقه اللغة، وصناعة المعاجم مماثلا للتقدم الكبير لهذه الحقول في العالم الإسلامي. ووجد الشعر اليهودي بالعبرية نهضته أيضا في هذه الفترة وتشبه أوزانه وأسلوبه ومحتواه مثيلاتها في الشعر الإسلامي العربي وفي هذه الفترة أيضا بدأ العراق يفقد السيطرة السياسية للإمبراطورية . (١)

ومع كل ما تمتّع به اليهود في العصر العباسي من ازدهار اقتصادي واستقرار اجتماعي وتقدم في شتى المعارف : أدبية ، وعلمية ، وفلسفية لم يحمدوا للخلافة العباسية إحسانها إليهم فتحالفوا مع هولاكو وقدموا له المال والمشورة وتجسسوا له للقضاء على الخلافة العباسية والاستيلاء على أملاكها .

" وحين سطع نجم هولاكو في المشرق كاتبه يهود بغداد وحالفوه وقدموا له المال والمشورة، قبل أن يصل إلى بغداد، فلما دخلها وقتل الخليفة ومليونين من المسلمين سَلِمَ اليهود ، فلم يُقتَل منهم أحد ، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب " (٢)

سادسا : أسباب اضطهاد هتلر النازي لليهود

سُئل هتلر عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسية: "لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران. ونحن وحدنا شعب الإله المختار" .

وقبل عرض آراء هتلر في اليهود لابد أن نفرق بين يهود العالم الذين تعاونوا مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب ، واليهود الصهاينة الذين تحالفوا معه ضد الحلفاء بل

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥٣

(٢) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " .

وضد إخوانهم اليهود أيضا (١) وكل الاتهامات التي شنها هتلر على اليهود والتي ضمنها كتابه " كفاحي " موجهة لليهود الاندماجيين غير الراغبين في الهجرة .

صرح هتلر بأن اليد الخفية اليهودية وراء جميع الجرائم الأخلاقية التي تفسد المجتمع ، والأفكار المسمومة التي تضلله .

" قد أثبتت لي الأيام أن ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد . واستطعت أن ألمس مدى تأثير هذا " الشعب المختار " في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته " (٢)

فاليهود وراء كل فن إباحي ، ووراء الشيوعية الهدامة ، ووراء الصحف الموجهة ضد الشعب الألماني .

" فقد امتدت أصابع الإخطبوط اليهودي إلى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها . وأصبح هذا التغلغل كالطاعون الأسود بل أشد منه فتكا ، إذ تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو إلى الإباحية المطلقة وللماركسية هي من صنع اليهود أما الصحف الكبرى التي أعجبت بها وبرصانتها فكان معظم محرريها وموجهيها من أبناء هذا " الشعب المختار " وشعرت بعد معرفتي بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف " (٣)

كما يصرح هتلر أن اليهود بارعون في جمع المال بشتى الطرق وإن كانت غير مشروعة وهي غالبا كذلك مثل تجارة الرقيق الأبيض والدعارة .

" ومما زاد في نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية ، ولقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض " (٤)

---

(١) راجع تفاصيل هذا التحالف في كتاب " الدين والسياسة والنبوءة " للمؤلف في الفصل السادس " أسطورة عداء الصهيونية للنازية " .

(٢) أدولف هتلر " كفاحي " ص ١١ عن دار الكتب الشعبية بيروت لبنان ط الثانية ١٩٧٥

(٣) نفسه ص ١١ .

(٤) نفسه ص ١١

كما يؤكد هتلر أن اليهود هم وراء المذهب الشيوعي الذي يعمل على تدمير الحياة وخراب العالم وإشاعة الفوضى في كل مكان لصالح اليهود الذين يسعون لفرض سيطرتهم على العالم .

" درست العلاقة بين الماركسية واليهودية وتأكدت لي حقيقة اليهود ومراميها في إشاعة الفوضى والخراب في العالم ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى وبفرض مشيئته في كل مكان " (١)

ويرجع هتلر خراب الاقتصاد الألماني قبل الحرب العالمية الأولى إلى اتباع ساسة ألمانيا نصائح عملاء الماركسية من اليهود في هذا الشأن بهدف قيام دولة تعمل لصالح اليهود على أنقاض ألمانيا .

" ولقد تأكدت لي مع الأيام الأخطاء السياسية التي ارتكبها المسئولون الألمان منذ أواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كانت نتيجة الأخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الإخلاص لوطنهم فعندما أقامت ألمانيا اقتصادها على تلك الأسس الواهية كان اليهود أول المهللين لها ، يقينا منهم أن الاقتصاد الأعوج سيؤدي بألمانيا إلى الانهيار ، فتقوم على أنقاضها الدولة التي يحلمون بها دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في نفس الوقت لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود " (٢)

ويجعل هتلر اليهود هم التابور الخامس الذي تحالف مع أعداء ألمانيا في الحرب العالمية الأولى .

" لقد كان على السلطات أن تحزم أمرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن ورائهم اليهود كان على الحكومة أن تقضي على أعداء ألمانيا على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة بينما كانت النخبة في الأمام تجود بدمائها في ساحة القتال " (٣)

---

(١) نفسه ص ٢٢
(٢) نفسه ص ٢٢
(٣) نفسه ص ٢٦

قبل إعلان الصهاينة المفوضين عن اليهود تحالفهم مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب العالمية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ لم يكن هتلر راغبا في قتل اليهود إنما أراد التخلص منهم كما تخلصت بقية أوربا منهم عن طريق التهجير ، لكن بسبب تحالف اليهود مع الحفاء وتجسسهم ضد ألمانيا ، وفشل هتلر في تهجيرهم للأسباب الآتية :

١- لم يكن لدى هتلر مستعمرات في آسيا وأفريقيا ينقلهم إليها .

٢- رفض دول أوربا استقبالهم .

٣- إغلاق إنجلترا - صاحبة الانتداب على فلسطين حينئذ - باب الهجرة أمام هجرة اليهود إلي فلسطين بسبب ثورة العرب .

لهذه الأسباب لم يكن بوسع هتلر التخلص من اليهود إثناء الحرب إلا باحتجازهم في معسكرات الاعتقال - بوصفهم " رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا " - ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادئ الأمر ثم نحو الشرق في الأراضي المحتلة وخاصة في بولندا حيث هلك كثير من اليهود بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربي ، ثم بالأوبئة الفظيعة ، فعل هتلر ذلك باليهود بسبب ارتكابهم جريمة الخيانة العظمى بالتحالف مع أعدائه أثناء الحرب كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل ياباني عشية دخولهم الحرب مع اليابان .

أسباب اضطهاد اليهود في الكتب السماوية

ولا تكاد الكتب السماوية تختلف عن التاريخ الإنساني العام في ـد كل اضطهاد لبني إسرائيل والجماعات اليهودية إلى فسادهم وانحرافهم الديني والسلوكي والأخلاقي .

أولا : أسباب اضطهاد بني إسرائيل في التوراة

العجيب أن توراة اليهود أكثر الكتب السماوية تصريحا بأن كفر و فساد وانحراف بني إسرائيل هي السبب الحقيقي وراء اضطهاد الشعوب لهم ، ونكتفي في هذا المقام ببعض الإشارات على سبيل المثال لا الحصر .

" ارتكب بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا إلههم وعبدوا البَعْلِيم وعَشْتَارُوث فاحتدم غضب الرب عليهم ، فسلط عليهم كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين ، فاستعبد كوشان رشعتايم بني إسرائيل ثماني سنوات .

واستغاث بنو إسرائيل بالرب فأقام لهم مخلصا أنقذهم هو عُثْنِيئِيل بن قَناز أخو كالب الأصغر فحلّ عليه روح الرب وصار قاضيا لإسرائيل . وحين خَرَج لمحاربة كوشان رشعتايم ملك أرام تغلب عليه ، وأظفره الرب به .

وعم السلام البلاد حِقبة أربعين سنة ، إلى أن مات عُثْنِيئِيل بن قَناز . فعاد بنو إسرائيل يقترفون الشر في عيني الرب فسلط عليهم الرب عِجْلون ملك موآب عقابا لهم على شرهم فألّب عليهم بني عَمُّون وعماليق ، وهاجَمَهم واحتلّ أريحا مدينة النخل واستعبد عجلون ملك موآب بني إسرائيل ثماني عشرة سنة فاستغاث بنو إسرائيل بالرب فأرسل لهم منقذا إهود بن جيرا البنياميني .. وهاجموا الموآبين وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف من المحاربين الأشداء في ذلك اليوم خضع الموآبيون لبني إسرائيل وعمَّ السلام البلاد ثمانين سنة ..

وبعد موت إهود عاد بنو إسرائيل يرتكبون الشر في عيني الرب فأخضعهم الرب ليابين ملك كنعان .. " (القضاة : ٣،٤)

وتذكر توراة اليهود أن فساد اليهود كان السبب في عقاب الرب لهم بالسبي الآشوري .

" فاحتدم غضب الرب على إسرائيل ، وطردهم من حضرته ، ولم يبق سوى سبط يهوذا . ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طُرُق إسرائيل التي سلكتها . فنبذ الرب كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم وطرهم من حضرته .. فَسُبِيَ الإسرائيليون من أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم .. ونقل ملك أشور أقواما من بابل وكوث وعوًّا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل ، فستولوا على السامرة وأقاموا مدنها " (ملوك الثاني:١٧)

وبدلا من اتعاظ بقية مدن إسرائيل بما أحدثه ملك أشور بالسامرة وأهلها راحوا يتمادون في غيهم وفسادهم فأوحى الرب إلى نبيهم ميخا أن أنذر كل من مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل بخراب أورشليم بسبب فساد شعب إسرائيل .

" ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبياء : " لأن منسى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات ، وارتكب شرورا أشد من فظاعة شرور الأموريين الذين كانوا قبله ،

وأضل يهوذا فجعله يأثم بعبادة أصنامه ، لذلك يقول الرب إله إسرائيل : " ها أنا أجلب شراً على أورشليم ويهوذا فَتَطِنُّ أُذنا كل من يسمع به . وسأوقع على أورشليم العِقاب الذي أوقعته بالسامرة وبأخآب ونسله . وأمسح أورشليم من الوجود كما يمسح الطبق من بقايا الطعام ثم يقلب على وجهه ليجف . وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم فيصبحوا غنيمة وأسرى لهم ، لأنهم ارتكبوا الشر في عينيَّ وأثاروا غضبي منذ خروج آبائهم من مصر إلى هذا اليوم . وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين حتى ملأ أورشليم من قصاها إلى أقصاها " (ملوك الثاني : ٢١)

وتلخص توراة اليهود قصة شعب إسرائيل عبر تاريخه فتقول :

" أوحى إليَّ – إي حزقيال – بكلمته قائلا " يا ابن آدم ، عندما أقام شعب إسرائيل في أرضهم نجسوها بطرقهم الشريرة وتصرفاتهم .

كانت طريقهم أمامي نجسة كنجاسة الطامث فسكبت غضبي عليهم جرَّاء ما سفكوا من دم على الأرض التي نجسوها بأصنامهم ففرقتهم بين الأمم وشتتهم في البلدان ، ودنتهم بمقتضى طريقهم وتصرفاتهم .

وحين استقروا بين الأمم التي تفرقوا بينها دنَّسوا اسمي القدوس إذ قيل لهم : هؤلاء شعب الرب وقد طردوا من أرضه .

فغرت على اسمي الذي نجسه شعب إسرائيل بين الأمم التي تفرقوا بينها .

لذلك قل لشعب إسرائيل : ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل (عظائم) يا شعب إسرائيل ، بل غيرة على اسمي الذي دنستموه بين الأمم التي تفرقتم بينها فأقدس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجسا بين الأمم التي تفرقتم بينها فتدرك الأمم أني أنا الرب حين أتقدس فيكم أمام أعيينهم يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن أصنامكم ... ولهذا اعلموا أنه ليس من أجلكم أنا أفعل هذا ، يقول السيد الرب فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا شعب إسرائيل " (حزقيال : ٣٦)

ثانيا : رأي يسوع في اليهود .

ولقد تعقب اليهود يسوع وجادلوه طويلا و أنكروا عليه دعوته ولما يأس يسوع من هدايتهم ، وإصلاح انحرافهم صب عليهم جام غضبه واصفا إياهم بالرياء و

النفاق والعمى ، وبأنهم أحفاد قتلة الأنبياء وأبناء الحيات والأفاعي ، وحمّلهم مسئولية كل دم زكي سفح ظلما حتى وإن كان دم هابيل ابن آدم ...

" لكم الويل أيها الكتبة و الفريسيين (علماء اليهود) المراعون فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراعون فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتتذرعون بإطالة صلواتكم لذلك سينزل بكم دينونة أقسى الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراعون فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهودا واحدا فإذا تهود جعلتموه أهلا لجهنم ضعف ما أنتم عليه الويل لكم أيها القادة العميان تقولون من أقسم بالهيكل فقسمه غير ملزم أما من أقسم بذهب الهيكل فقسمه ملزم أيها الجهال العميان أي الاثنين أعظم الذهب أم الهيكل الذي يجعل الذهب مقدسا ...

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراعون فإنكم تؤدون حتى عشور النعنع والشبث والكمون وقد أهملتم أهم ما في الشريعة : العدل والرحمة والأمانة كان يجب أن تفعلوا هذه أولا ولا تفعلوا تلك أيها القادة العميان إنكم تصفون الماء من البعوضة ولكنكم تبلعون الجمل الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراعون فإنكم تنظفون الكأس والصفحة من الخارج ولكنها من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراعون فإنكم كالقبور المطلية بالكلس تَبْدو جميلة من الخارج ولكنها ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة كذلك أنتم تبدون للناس أبرارا ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراعون فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأبرار وتقولون لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء فأكملوا ما بدأه آباءكم ليطفح الكيل أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تفلتون من عقاب جهنم ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم تجلدون في مجامعكم وتطاردونه من مدينة على أخرى وبهذا يقع عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجبل ." (متى : ٢٣)

وبعد أن لعن يسوع اليهود وفضح جرائمهم تنبأ بخراب أورشليم مسكن اليهود الملاعين الذين سفكوا دماء الأنبياء وكذبوا المرسلين فيقول :

" يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا ! ها إن بيتكم يترك لكم خرابا فإني أقول لكم إنكم لن تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب " (متى : ٢٣)

ثالثا : اليهود في القرآن الكريم

لم يكتف بنو إسرائيل بعصيان أوامر الله فحسب بل كفروا بآيات الله وعبدوا العجل من دون الله تعالى ، بل وامتدت يدهم الآثمة إلى أنبياء الله فقتلوا فريقا منهم ، وكذبوا الآخرين ، لذا ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب منه تعالى :

{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْاْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } (البقر:٦١)

وسولت لهم أنفسهم الأمارة بالسوء أن يصفوا الله تعالى بصفات منكرة لا يرضاها من البشر أحد فما بالك بالخالق العظيم المتعال الغني المغني سبحانه وتعالى عما يصفون .

لذا فقد عاقبهم الله بان ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما جمعوا وأعدوا شتت الله جمعهم .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (المائدة : ٦٤)

والقرآن الكريم ينص على أن أكثر اليهود ناقضون لعهود الله وعهود البشر .

{ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (البقرة: ١٠٠)

ومن صور خيانتهم للعهود تحالفهم مع كل القوى المتصارعة مما جعلهم أعداء للجميع فهم يعاهدون البابليين مثلا ، وفي نفس الوقت يعاهدون المصريين أعداء البابليين ، وفي ذات الوقت يعاهدون الله ، فهم يريدون أن يمسكوا بجميع الخيوط حتى وإن كانت متناقضة فحبل من المصريين ، وحبل من البابليين أعدائهم ، وحبل من الله عدو لجميع الكافرين ، مما يجعلهم أعداء للجميع ، وهذه سمة الجبان الذليل ، كما أنها سمة خائن العهد ولقد وصفهم الله بهاتين الصفتين من بين صفاتهم الدنيئة الكثيرة { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } (آل عمران : ١١٢) .

عن ابن عباس وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ قال: بعهد من الله وعهد من الناس .

ومن معاني الحبل هو العهد والوصل والسبب .

فمعنى الحبل في هذه الآية السبب فاليهود ضربت عليهم الذلة أينما وجدوا إلا بسبب من الله وهو إتباعهم الوحي والهدي النبوي عندما اتبعوا سيدنا موسى عليه السلام فأعزهم الله بعدما كانوا أذلة، أو بسبب من الناس من خلال تملق الأقوياء والتحالف معهم وجعلهم أداة ووسيلة تحقيق أهدافهم .

وهذا ما يصدقه الواقع والتاريخ فاليهود قوم انتهازيون وصوليون ، يتملقون الأقوياء ويتحالفون معهم من أجل خدمة أهدافهم . (١)

وذكر الله تعالى في كتابه العزيز فساد بني إسرائيل وتسليط الله أعداءهم عليهم .
{ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً {٤} فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً {٥} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً {٦} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً {٧} عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً } (الإسراء : الآيات من ٤ : ٨)

---

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " .

ولقد صدقت النبوءة والوعد فسلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر مملكتهم تدميرا .

أهؤلاء هم الضحية التي يتحدثون عنها ؟

أ هؤلاء من يستحقون وعد الله لإبراهيم كما يزعمون ؟

إن شرارهم أنجس من خَلَقَ الله على وجه البسيطة ، و إن ما حدث لهم على مدى التاريخ كان جزاء وفاقا .

وبعد أن أثبتنا بالأدلة القاطعة : دينية ، وتاريخية أن اليهود لم يكونوا أبدا ضحية عبر التاريخ بل أن مفسديهم هم وراء كل ما حل بهم من اضطهاد ، وأن سماتهم الخسيسة هي التي جعلتهم شعبا منبوذا من كل شعوب الأرض ، وهي التي حولتهم إلى جزار يفتك بالضعفاء والأبرياء ، ولا يستثني في عدوانه نبيا ولا رسولا ، ولا طفلا ولا شيخا ، ولا امرأة ولا نبتا ، لقد ارتكب اليهود في تاريخهم من الجرائم في حق الأنبياء والمرسلين ما لم يرتكبه شعب آخر فقد كذب كثير منهم الأنبياء والمرسلين بل سعوا إلى قتلهم ، وتمكنوا بالفعل من قتل فريقا من الأنبياء وسنعرض في الكتاب الثاني من هذه السلسلة لقصتهم في الكتب السماوية : قصتهم في التوراة ، وقصتهم مع سيدنا عيسى كما جاءت في الأناجيل ، ومع سيدنا موسى كما جاءت في القرآن الكريم ، ومع سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وكلها تؤكد أن ما حاق بهم من اضطهاد كان جزاء وفاقا .

سمات الشخصية اليهودية

التاريخ أكبر شاهد على الحقيقة التي نزلت بها الكتب السماوية والتي تؤكد أن هناك مجموعة من السمات الخسيسة يتسم بها كثير من اليهود على اختلاف الزمان والمكان ، وعلى اختلاف جنسهم وجنسياتهم بل ومعتقداتهم .

فكأن هذه السمات هي العقيدة اليهودية الثابتة التي لم تتعرض للتحريف بعكس كتبهم المقدسة : التوراة ، و التلمود .

والذي ساعد على استمرار هذه السمات أمران :

١- كتب اليهود المقدسة (التوراة ، والتلمود) بما احتوت عليه من تعاليم عملت على ترسيخ هذه السمات ، وهذه التعاليم إما نصوصا سماوية صحيحة أساءوا

تأويلها وحرفوها عن مواضعها ، أو نصوصا بشرية كتبوها هم بأيدهم ما أنزل الله بها من سلطان .

مصداقا لقوله تعالى "{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ }(البقرة:٧٩)

{ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ } (النساء : ٤٦)

{ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }(البقرة:٧٥)

وكثيرة تلك النصوص التوراتية التي ترسخ وتعلم : العدوانية ،والنفعية ، و التآمر ، والانحلال ، والاستغلالية وهي صفات تسم كثيرا من اليهود وعرفوا بها في أي مكان حلوا به .

ألم يستعبد سام أخاه حام ظلما وعدوانا ؟! (العدوانية)

ألم يأمر الرب اليهود بقتل كل من لم يخضع لهم من الأمم فيقتلوا رجالهم ونساءهم بل وأطفالهم وحتى حيواناتهم ومواشيهم وأن يملئوا البيوت قتلي ويحرقوا بيوتهم ؟! " . فاذهب الآن وهاجم عماليق واقضِ على كل ماله . ولا تعف عن أحد منهم بل اقتلهم جميعا رجالا ونساء ، وأطفالا ورُضّعا ، بقرا وغنما ، جمالا وحميرا "

(صموئيل الأول : ١٥)

أ لم تتآمر رفقة مع يعقوب لسرقة النبوة من أخيه عيسو ؟! (التآمر)

ألم يتآمر داود التوراتي على أوريا الحثي فألقاه في المهالك لتزوج زوجته " كتب داود رسالة إلى يوآب ، بعث بها مع أوريا ، جاء فيها : اجعلوا أوريا في الخطوط الأولى حيث ينشب القتال الشرس ، ثم تراجعوا من ورائه ليلقى حتفه " ... وعندما علمت زوجة أوريا أن زوجها قد قتل ناحت عليه وحين انقضت فترة الحداد ، أرسل داود وأحضرها إلى القصر وتزوجها " (صموئيل الثاني : ١١)

ألم يتآمر أبشالوم ضد أبيه داود ونازعه الملك ؟!

أ لم يستغل يعقوب حاجة أخيه عيسو للطعام فساومه على بكوريته حتى أخذها منه؟ (الاستغلال)

ألم يطلب إبراهيم من زوجته ساراى أن تستغل جمالها وجهل المصريين بعلاقتها به فتدعي أنه أخوها ليحسنوا معاملة إبراهيم لأجلها " وما أن اقتربوا من تخوم مصر حتى قال لزوجته ساراي : " أنا أعرف أنك امرأة جميلة ، فما إن يراك المصريون حتى يقولوا هذه هي زوجته فيقتلونني ويستحيوك . لذلك قولي إنك أختي ؛ فيحسنوا معاملتي من أجلك وتنجو حياتي بفضلك " (التكوين : ١٢)

ألم يساوم يعقوب يهوه بأن يباركه حتى يطلق سراحه ؟ (النفعية الاستغلالية)

ألم ترتكب ابنتا لوط الفاحشة مع أبيهما وهو نائم ؟! (الانحلال)

الم يعرض لوط ابنتيه العذراوان على قومه ليفعلوا بهما ما يحلوا لهم من فجور مشهورون به ؟! " هوذا لي ابنتان عذراوان أخرجهما إليكم فافعلوا بهما ما يحلوا لكم " (التكوين : ١٩)

ألم يعاشر أبشالوم محظيات أبيه داود ؟!

" ونصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل لمضاجعة محظيات أبيه على مرأى جميع الإسرائيليين " (صموئيل الثاني : ١٦)

٢- عزلتهم إذ أنهم كانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم (الجيتو أو حارة اليهود) و لا يكادون يخالطون الناس إلا قليلا " الجيتو يشكل مسألة حيوية بالنسبة لليهودي لا يضمن بقاءه وحسب وإنما مكانته وهويته أيضاً. ومما دعم الحاجة إلى الجيتو مجموعة الشعائر اليهودية الخاصة، مثل: قوانين الطعام، وتحريم الزواج المختلط، وعدم شرب خمر صنعها واحد من الأغيار، والختان، والنصاب اللازم لصلاة الجماعة، وعادات الدفن والمدافن، وشعائر السبت " (١)

وبسبب هذين الأمرين – و لغيرهما – اتسم اليهود بسمات اجتماعية خاصة ميزتهم عن سائر المجتمعات مما جعل لهم طابعا قوميا أهم سمات الشخصية اليهودية فيه : النفعية ، المتآمرة ، العدوانية ، الاستغلالية ، والمنحلة ، وكل من

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ٣ / الباب الثاني " : الجيتو " مرجع سابق .

ينشأ في المجتمع اليهودي مهما كان أصله فإنه يحافظ على سماته الخاصة حتى يحوز القبول من المجتمع اليهودي .

ويؤكد ذلك علماء النفس حيث يقولون إن " الفرد يتعلم خلال عملية النمو أن يسلك ويتصرف وفقا لما يتوقعه منه المجتمع ويقبل الفرد قيم المجتمع و معاييره دون تفكير كثير ودون وعي بإن هذه المعايير تختلف عن مجتمع آخر فإذا كان المجتمع الذي نعيش فيه يقيم النظافة والسرعة والعمل الجاد فإننا نحاول أيضا أن نتحلى بهذه الخصال ويصبح الأفراد الذين يتحلون بها موضع تقديرنا وإعجابنا ... ولعل هذا يوحي بوجود طابع مميز للشخصية يميز شخصيات الأفراد في كل مجتمع من المجتمعات فنجد أن الطابع الغالب للشخصية في أحد المجتمعات هو العدوانية بينما نجد أن الطابع الغالب في مجتمع آخر برود الأعصاب وفي مجتمع ثالث السلبية ، ويتمشى ذلك مع الأفكار الشائعة عن الطابع القومي فيقال فمثلا أن الفرنسيين يختلفون عن الإنجليز وهؤلاء يختلفون عن الصينيين" (١)

صفات اليهود في القرآن الكريم

وذكر القرآن الكريم أهم سمات اليهود التي عرف أكثرهم بها ولازمتهم طوال التاريخ وحرصوا عليها أكثر من حرصهم على تعاليم التوارة نفسها :

١- الجرأة على الله تعالى :

فقد ووصفوه -سبحانه- بالفقر ، وادعوا أنهم أبناء الله وعياله ، وجعلوا رؤية الله تعالى شرطا لإيمانهم به .

{ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ } (آل عمران ١٨١)

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (المائدة ٦٤)

---

(١) د. محمد فرغلي فراج " مدخل إلى علم النفس " ص ٨٤ دار الثقافة للنشر والتوزيع .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } (المائدة : ١٨)

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ } (البقرة : ٥٥)

٢- الكبر والغرور والتعالي :

فهم يرون أنفسهم أفضل البشر ، وهم شعب الله المختار ، وهم أبناء الله وأحباؤه ، ولن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ } (المائدة : ١٨)

{ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ } (البقرة : ١١١)

٣- الاعتماد على الأماني والأوهام الكاذبة :

فهم معدومو الثقة في أوامر الله ومع ذلك فهم مفرطو الثقة في عفو الله ومغفرته !

{ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ}

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ } (آل عمران : ٢٤)

٤- نقضهم للعهود .

فاليهود ديدنهم نقد العهود فلا يكادون يوفون بعهد إلا قهرا وغلبة .

{ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }(البقرة : ١٠٠)

٥- معاداة للأنبياء وقتلهم .

واليهود برغم ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه إلا إنهم من دون سائر الأمم امتازوا بقتلهم لأنبيائهم ، فمعظم من قتل من أنبياء الله كان على يد اليهود ومن استحيوه منهم كذبوه !!

{ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ}

(البقرة : ٨٧)

٦- العدوانية وإثارة للفتن وإشعال الحروب والسعي في الأرض فسادا.

فنظرا لضعفهم وخسة صفاتهم فإنهم دائما يلجئون إلى الدس والوقيعة وإثارة الفتن والحروب ما داموا قلة فإذا اشتد لهم ساعد بطشوا وتجبروا .

{ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (المائدة : ٦٤)

٧- النفعية ، والحرص على الحياة الدنيا بأية صورة .

إن دين كثير من اليهود هو المصلحة الشخصية يولون وجههم شطرها مضحين بل ما هو مقدس أو نبيل إن تعارض معها .

{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ }
(البقرة : ٩٦)

٨- الذلة والمسكنة مع الأقوياء .

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } (آل عمران : ١١٢)

٩- البطش بالضعفاء :

أن من صفات اليهود الجبن والاستكانة مع الأقوياء ، لكن إن واتتهم الفرصة وظهروا على المسالمين فلا عهد ولا أمان بل تجبر وطغيان .(١)

{ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ {٨} اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {٩} لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ }
(التوبة : ٧- ١٠)

---

(١) وكثيرة تلك النصوص التي تؤكد ذلك في التوراة فعلى سبيل المثال فبعد أن أتمَّ سليمان بناء " كلِ ما رغِب فيه في أورشليم وفي لبنان وفي جميع أرجاء سلطنته . أما من تبقى من الأموريين والحثّيين والفرزّيين و الحوّيين واليبّوسيين الذين لا ينتمون إلى بيني إسرائيل ، من ذَراري الأمم التي عجز الإسرائيليون عن إفنائهم ، فقد فرض عليهم سليمان خدمة التسخير كالعبيد إلى هذا اليوم "(ملوك الأول: ٩)

١٠- الجبن والخوف في مواجهة الأعداء .

{ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ }

(آل عمران : ١١١)

{ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ {١٣} لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ } (الحشر : ١٣ ، ١٤)

١١- الحقد والحسد على من هم أفضل منهم في الدين أو الدنيا .

{ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (البقرة : ١٠٥) .

وبعد أن أثبتنا بالأدلة القاطعة : دينية ، وتاريخية أن اليهود لم يكونوا أبدا ضحية عبر التاريخ بل أن مفسديهم هم وراء كل ما حل بهم من اضطهاد ، وأن سماتهم الخسيسة هي التي جعلتهم شعبا من منبوذا من كل شعوب الأرض ، وهي التي حولتهم إلى جزار يفتك بالضعفاء والأبرياء ، ولا يستثني في عدوانه نبيا ولا رسولا ، ولا طفلا ولا شيخا ، ولا امرأة ولا نبتا ، لقد ارتكب اليهود في تاريخهم من الجرائم في حق الأنبياء والمرسلين ما لم يرتكبه شعب آخر فقد كذب كثير منهم الأنبياء والمرسلين بل سعوا إلى قتلهم ، وتمكنوا بالفعل من قتل فريقا من الأنبياء وسنعرض في الفصل التالي أشهر الجرائم التي ارتكبها اليهود الصهاينة في حق العرب منذ نشأ الصراع العربي الإسرائيلي .

***

الفصل الثامن

أشهر المذابح اليهودية

إن من صفات اليهود الجبن والاستكانة مع الأقوياء ، لكن إن واتتهم الفرصة وظهروا على الأبرياء فلا عهد ولا أمان بل تجبر وطغيان .

{ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ {٨} اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {٩} لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ }
(التوبة : ٧- ١٠)

والتاريخ يشهد بهذا بل توراة اليهود تعترف بهذا ألم يأمر الرب اليهود بقتل كل من لم يخضع لهم من الأمم الأخرى فيقتلون رجالهم ونساءهم بل وأطفالهم وحتى حيواناتهم ومواشيهم وأن يملئوا البيوت قتلى ويحرقوا بيوتهم ؟! " . فاذهب الآن وهاجم عماليق واقضِ على كل ماله . ولا تعفُ عن أحد منهم بل اقتُلهم جميعا رجالا ونساء وأطفالا ورُضَّعا ،بقرا وغنما ،جِمالا وحميرا " (صموئيل الأول:١٥)

الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين

لم يكن الاستيطان الصهيوني ليتم إلا بالإرهاب والعنف ، وطالما ردد بن جوريون " أن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات وأن إسرائيل لا يمكن أن تعيش إلا بالقوة والسلاح " .

وقد جاء في كتاب " التمرد أو الثورة " لفيلسوف العنف الإسرائيلي مناحم بيجين " من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال لم يعرفه العالم

لأكثر من ألف وثمانمائة سنة هو اليهودي المحارب " ويعلن بيجين في هذا الكتاب فلسفته ومنطقه فيقول " قال ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود ، وأقول أنا أقتل إذن أنا موجود "

وعن نتائج العنف يقول بيجين في كتابه " من مجموع ٨٠٠ ألف عربي كانوا يعيشون على بقعة إسرائيل الحالية عام ١٩٤٩ – حيث كتب كتابه بالعبرية – لم يبق غير ١٥٦ ألف عربي ، ولقد مهدت دير ياسين الطريق لانتصاراتنا الحاسمة في طبريا واحتلال يافا "

كما يقول " أوري أفنيري " في كتابه " إسرائيل بدون صهيونيين " ص ١٣٤ :

" نحن جيل من المستوطنين وبدون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة أو أن نبني بيتا "

ويقول " حاييم وايزمان " في مذكراته " التجربة والخطأ " :

" يستطيع الإنسان أن يلمس هنا وهناك تحللا للأخلاقية الصهيونية التقليدية ويلمس هنا وهناك مسحة من الروح العسكرية وارتماء في أحضانها بل وأكثر من ذلك اللجوء إلى العنف والإرهاب والاستعداد للتعاون مع الشر كقوة لها فوائدها في تحقيق الوطن القومي لليهود "

وقد سيطرة فكرة العنف على وجدان الرواد الصهاينة فالرائد لم يكن فلاحا وحسب بل كان أيضا " الشومير " أي الحارس الذي يدافع عن الأرض التي سرقها ، وحيث إن الإرهاب كان سلاحا أساسيا ومباشرا لإجلاء الأرض من السكان الأصليين كان من الضروري تأسيس منظمات لها طابع مزدوج زراعي / عسكري حتى تترجم الرواية الصهيونية نفسها إلى واقع (١)

ويكتب أحد اليهود في صحيفة " هاملتس " الألمانية معللا لجوء اليهود الصهاينة إلى العنف فيقول :

" ماذا يفعل إخواننا (الصهاينة) في فلسطين ، إنهم عبيد في الدياسبورا (المنفى) وفجأة وجدوا أنفسهم أحرارا بلا حدود ولا رادع ، إن هذا التحول قد خلق في

---

(١) حسين الطنطاوي " الصهيونية والعنف " مرجع سابق ص ٣٦.

نفوسهم حالة من الميل إلى الاستبداد كحالة العبد عندما يتحول إلى سيد فهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ثم يفاخرون بما يفعلون .. ورغم ذلك فليس هناك بيننا من هو قادر على الوقوف في وجه هذا الميل الخطير "

ومنذ بدء الانتداب البريطاني على فلسطين أخذ البناء التنظيمي للإرهاب الصهيوني في النمو والرسوخ في فلسطين مستفيداً من دعم الاستعمار البريطاني للحركة الصهيونية وتأمينه هجرة آلاف الصهاينة من الشباب الذين سرعان ما انخرطوا في تنظيمات الإرهاب. وقد استقر البناء التنظيمي للإرهاب الصهيوني منذ مطلع عشرينيات القرن العشرين حين تأسَّست الهاجاناه ممثلة الذراع العسكري والباطش للوكالة اليهودية عام ١٩٢٠.

ولقد اشتركت المؤسسات الصهيونية على اختلافها في الإعداد للعمل الإرهابي حيث كانت التدريبات تجرى أسبوعياً في المدارس العبرية والدينية والمصانع الصغيرة والحمامات ودور العبادة اليهودية. وهكذا لم يكن النشاط الإرهابي عملاً على هامش الحركة الصهيونية. بل كان عملاً يرتبط بالوجود الصهيوني وبطبيعة الاستيطان .

الإرهاب الصهيوني قبل قيام دولة إسرائيل

شهد عام ١٩٣٧ تطورا خطيرا في سياسة العنف الصهيوني إذ أطلق(اسحق ساديه) شعار " لا تنتظر المهاجم العربي ، لا تنتظر الدفاع عن الكيبوتز ، ألحق به وتحرك للهجوم " ومن ذلك التاريخ جرى تطوير الكيبوتز تحويلها إلى قلاع مسلحة وتزويدها بأحدث الأسلحة والاتصالات ، وبدأت سلسلة من عمليات إلقاء القنابل اليدوية على تجمعات المواطنين الفلسطينيين العزل في المقاهي ووسائل النقل والأسواق ، وكان من أشهرها إلقاء قنبلة على سوق الخضار المجاور لبوابة نابلس في القدس فسقط عشرات من العرب بين قتيل وجريح .

وفي ٦ مارس عام ١٩٣٧ لقي ١٨ عربياً مصرعهم وأصيب ٣٨ آخرون من جراء إلقاء قنبلة يدوية في سوق حيفا. كما تعرض نفس السوق في شهر يوليه من العام نفسه إلى تفجير سيارة ملغومة أودت بحياة ٣٥٠ عربياً فلسطينياً وجرحت ٧٠

اخرين . وفي اليوم التالي سقط ٢٧ عربياً فلسطينياً وأُصيب ٤٦ آخرون بجراح من جراء قنبلة يدوية ألقتها العصابات الصهيونية على السوق المزدحم. كما تعرَّض سوق القدس في ٢٦ أغسطس عام ١٩٣٨ إلى انفجار سيارة ملغومة أسفر عن مقتل ٣٤ عربياً وجرح ٣٥ آخرين وفق أقل التقديرات. وفُجِّرت قنبلة يدوية أمام أحد المساجد في مدينة القدس في ١٥ يوليـــه ١٩٣٨ أثنـــاء خروج المصـــلين فقتلت عشـــرة أشخاص وأصابت ثلاثين.

ومن بين العمليات الإرهابية الصهيونية خلال عام ١٩٣٩ شهد يوم ٢٧ فبراير وحده سقوط ٢٧ قتيلاً عربياً وجرح ٣٩ آخرين في حيفا إثر تفجير منظمة إتسل قنبلتين. كما سقط ثلاثة من العرب وجُرح رابع في تل أبيب. بينما قُتل ثلاثة آخرون وجُرح ستة في القدس. إلا أن من أبرز العمليات الإرهابية التي شهدها العام الهجوم الذي دبرته منظمة إتسل على سينما ركس في القدس حيث جرى تخطيط متعدد المراحل لتحقيق أكبر عدد ممكن من الخسائر البشرية بواسطة المتفجرات التي تم تسريبها إلى المبنى إضافة إلى إلقاء القنابل داخله ثم فتح نيران الرشاشات على رواد السينما الذين خرجوا في حالة من الذعر والهلع، وقد تم تنفيذ هذه العملية الإرهابية في ٢٩ مايو ١٩٣٩.

ولم تكن منظمة الهاجاناه بعيدة عن التنافس مع منظمة إتسل ، فقد هاجمت عناصرها قرية بلدة الشيخ بجوار حيفا في ١٢ يوليه ١٩٣٩ واختطفت خمسة من سكانها ثم قتلتهم. كما جرى في ٢٩ يوليه الهجوم على ست سيارات عربية فلسطينية في تل أبيب ورحبوت وبتاح تكفا كانت حصيلتها قتل ١١ عربياً. وأسفر إلقاء القنابل في مدينة يافا في ٢٦ أغسطس عن مصرع ٢٤ عربياً فلسطينياً وجرح ٣٥ آخرين.

وقد وجدت المنظمات الصهيونية سنوات الحرب العالمية فرصة لتطوير نفوذها وتقوية هياكلها وتسليحها تمهيداً للانطلاق عند انتهاء الحرب. فزادت عدداً وعدة ، كما كان لها فروع في معظم دول العالم التي تضم رعاياها يهودا ، وقد بلغ عدد إفرادها أثناء الحرب العالمية الثانية حوالي (٨٠) ألفا .

وأضفت المنظمات الصهيونية على وجودها قدراً من الشرعية بالتعاون مع بريطانيا والحلفاء. وهكذا أعدت المنظمات نفسها للانطلاق لاحقاً نحو هدفين :

الأول : إجبار الفلسطينيين أصحاب البلاد الأصليين على مغادرة أراضيهم بما فيها تلك التي يشكلون فيها أغلبية ساحقة وهي الأرض التي خصهم بها مشروع التقسيم لاحقاً.

والثاني : الضغط على البريطانيين لإلغاء القيود المفروضة وبخاصة على الهجرة والعمل من أجل إقامة دولة صهيونية بأسرع الوسائل.[1]

يقول مناحم بيجين " في كتابه (التمر أو الثورة) " لقد أخذ رجال الهاجاناه الذين انخرطوا في الجيش البريطاني على عاتقهم مهمة مزدوجة أن يحاربوا في صفوف الجيش البريطاني ، وأن يرسلوا إلينا في الوقت ذاته كل ما يستطيعون القيام به من أجل تسليح يهود فلسطين "

الإرهاب الصهيوني ضد حكومة الانتداب

حين أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في مايو عام ١٩٣٩ (٢) لتهدئة العرب وللظهور بمظهر من يتصف بالعدالة والإنصاف شرعت الحركة الصهيونية في الضغط على سلطات الانتداب البريطاني للتراجع عما جاء بالكتاب، ومن ثم بدأت في تنفيذ عمليات ضد أهداف بريطانية. ففي ٢١ أغسطس ١٩٣٩ قتلت إتسل ضابطين بريطانيين بلغم استهدف الضابط المسئول عن الدائرة اليهودية في أجهزة الأمن التابعة لسلطة الانتداب.

إلا أن طبيعة النشاط الإرهابي المحدود الذي وجهته المنظمات الصهيونية ضد البريطانيين كان مختلفاً تماماً عن الاعتداءات التي استهدفت الفلسطينيين لكونهم

([1]) انظر د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٧/ج٣/ب٢ " الإرهاب الصهيوني " / وكتاب " الصهيونية والعنف " حسين الطنطاوي / وكتاب " الحكم الذاتي لشعب فلسطين " عصام الدين حواس . وكتاب " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " د. رشاد الشامي " الفصل الخامس .

([2])الكتاب الأبيض الصادر في مايو ١٩٣٩ (كتاب ماكدونالد الأبيض):
وتضمن " أن الحكومة البريطانية قد تبنت سياسة جديدة غير سياسة التقسيم، أنها لا تتبنًى أية سياسة ترمي لجعل فلسطين دولة يهودية"، ذلك أن "هذا يُعدُّ منافياً لالتزاماتها تجاه العرب بمقتضى صك الانتداب" إذ أن هدف الحكومة البريطانية هو خلْق دولة مستقلة خلال عشر سنوات... يمكن فيها تأمين الحقوق الأساسية لكل من العرب واليهود، وستكون الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هي إلقاء مسئولية الإدارات الحكومية على عاتق كل من اليهود والعرب وفقا لنسبتهم العددية ".

مجرد فلسطينيين. فقد جرى انتقاء الضحايا البريطانيين في البداية بصورة محددة أما الأهداف العربية فقد تم انتقاؤها وتنفيذ عملياتها بشكل يهدف إلى قتل وإصابة أكبر عدد ممكن من الضحايا الذين لا يعلم عنهم الإرهابي الصهيوني المنفذ والمخطط شيئاً محدداً سوى أنهم فقط من الفلسطينيين والعرب. ويتضح ذلك في اختيار الأماكن المزدحمة بروادها العرب (مقاهي – أسواق – قافلات). كما افتخر منفذو هذه الجرائم باتباع أكثر الأساليب ضماناً لسقوط عدد أكبر من الضحايا ومن بينها استخدام غاز البروم مع المتفجرات.

فقد نال الفلسطينيون والعرب الحظ الأوفر من العمليات الإرهابية الصهيونية وبخاصة خلال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ الحاسمين، حيث كثَّف الإرهابيون الصهاينة جهودهم لاقتلاع الفلسطينيين، الأمر الذي أدَّى إلى تشريد حوالي ٩٠٠ ألف فلسطيني إلى خارج أراضيهم ووطنهم. ففي هذه السنوات غلب أسلوب مهاجمة القرى والمدن العربية وارتكاب المذابح الجماعية دون تمييز بين رجل وامرأة وطفل وكهل، أو بين أولئك العُزل وبين من يحملون السلاح دفاعاً عن حقوقهم.

وحين أكملت منظمة هاجاناه الإرهابية مهمتها وبلغت ذروة نشاطها في ١٣/٥/ ١٩٤٨ تحولت مع قيام الدول الإسرائيلية إلى جيش نظامي وفي ذلك يقول بن جوريون " مع إقامة دولة إسرائيل خرجت الهاجاناه من مخبئها وتحولت إلى جيش نظامي "

مذبحة دير ياسين (٩ / ٤ / ١٩٤٨)

مذبحة ارتكبها اليهود ، وراح ضحيتها نحو [٢٦٠] فلسطينياً من أهالي القرية العزل . واستولوا على القرية عن طريق تفجيرها بيتاً بيتاً. وبعد أن انتهت المتفجرات لديهم قاموا "بتنظيف" المكان من آخر عناصر المقاومة عن طريق القنابل والمدافع الرشاشة، حيث كانوا يطلقون النيران على كل ما يتحرك داخل المنزل من رجال، ونساء، وأطفال، وشيوخ" .

وأوقفوا العشرات من أهل القرية إلى الحوائط وأطلقوا النار عليهم. واستمرت أعمال القتل على مدى يومين. وقامت القوات الصهيونية بعمليات تشويه سادية (تعذيب ــ اعتداء ــ بتر أعضاء ــ ذبح الحوامل والمراهنة على نوع الأجنة) .

وأُلقي بـــ [٥٣] من الأطفال الأحياء وراء سور المدينة القديمة، واقتيد [٢٥] من الرجال الأحياء في حافلات ليطوفوا بهم داخل القدس طواف النصر على غرار الجيوش الرومانية القديمة، ثم تم إعدامهم رمياً بالرصاص. وألقيت الجثث في بئر القرية وأُغلق بابه بإحكام لإخفاء معالم الجريمة.و قام أفراد الهاجاناه الذين احتلوا القرية بجمع جثث أخرى في عناية وفجروها لتضليل مندوبي الهيئات الدولية وللإيحاء بأن الضحايا لقوا حتفهم خلال صدامات مسلحة .

وفي كتابه المعنون الثورة كتب بيجين يقول: "إن مذبحة دير ياسين أسهمت مع غيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد من [٦٥٠] ألف عربي". وأضاف قائلاً: "لولا دير ياسين لما قامت إسرائيل " .

مذبحة اللد (أوائل يوليو ١٩٤٨)

تمت المذبحة لإخماد ثورة عربية قامت في يوليه عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الإسرائيلي. فقد صدرت تعليمات بإطلاق الرصاص على أي شخص يُشاهَد في الشارع، وفتح اليهود نيران مدافعهم الثقيلة على جميع المشاة. ولقي [٢٥٠] عربياً مصرعهم نتيجة ذلك (وفقاً لتقرير قائد اللواء). ولقد تناثرت جثث العرب، رجالاً ونساء، بل جثث الأطفال في الشوارع في أعقاب هذا الهجوم.

الإرهاب الإسـرائيلي منذ عام ١٩٦٧حتى الثمانينيات

إن الأيام والأسابيع القليلة التي تلت دخول القوات الإسرائيلية إلى الضفة وغزة في ٥ يونيه ١٩٦٧ شهدت سلسلة من عمليات القتل الجماعي للمدنيين دون تمييز. كما لابد وأن يذكر مئات الأسرى والجرحى المصريين الذين تم قتلهم ودفنهم في مقابر جماعية. وسجل مراقبو الأمم المتحدة وهيئة غوث اللاجئين التابعة لها في تقارير عديدة جانباً من هذا السلوك الإرهابي الفج الذي لم يَسلَم منه حتى اللاجئون الفلسطينيون الذين أخذوا في الفرار عَبْر معبر اللنبي/الملك حسين على نهر الأردن. وفيما بعد جرى اكتشـــاف العــديد من القــبور الجماعية في قطاع غزة والضفة الغربية.

إن الفترة بين يونيه ١٩٦٧ ويونيه ١٩٨٠ شهدت قيام قوات الاحتلال بهدم [١٢٥٩] بيتاً فلسطينياً. ولقد خص مدينة القدس العربية اهتمام خاص في سياسة

هدم المنازل [٥٢٥] بيتاً فلسطينياً خلال الفترة المشار إليها، وهو الأمر الذي يمكن تفسيره بمركزية القدس في المشروع الاستيطاني الإحلالي الصهيوني.

وتاريخ الأراضي المحتلة عقب ١٩٦٧ هو سجل يومي لشتى ممارسات الإرهاب التي تعتبر ثمرة تراث سلطة احتلال استيطاني، بدءاً من إطلاق النار على المتظاهرين وسقوط القتلى والجرحى وضمنهم الأطفال والنساء، والاعتداء على السياسيين والمثقفين وترحيلهم خارج البلاد. وفرض أوامر الإقامة الجبرية والاعتقال والتعذيب بمختلف أنواعه.

مذبحة مصنع أبي زعبل (١٢ / ٢ / ١٩٧٠)

بينما كانت حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل محصورة في حدود المواقع العسكرية في جبهة القتال وحسب، أغارت الطائرات الإسرائيلية القاذفة على مصنع أبي زعبل، وهو مصنع تملكه الشركة الأهلية للصناعات المعدنية وذلك صبيحة يوم ١٢ من فبراير عام ١٩٧٠، حيث كان المصنع يعمل بطاقة ١٣٠٠ عامل صباحاً. وقد أسفرت هذه الغارة عن استشهاد [٧٠] سبعين عاملاً وإصابة [٦٩] آخرين، إضافة إلى حرق المصنع.

مذبحة بحر البقر (٨ أبريل ١٩٧٠)

وقعت هذه المذبحة أيضاً بتأثير وجع حرب الاستنزاف من قلب إسرائيل حدث قامت الطائرات الإسرائيلية القاذفة في الثامن من أبريل عام ١٩٧٠ بالهجوم على مدرسة صغيرة لأطفال الفلاحين في قرية بحر البقر، إحدى القرى التي تقع على أطراف محافظة الشرقية، ودكتها بالقذائف لمدة زادت عن عشر دقائق متواصلة وراح ضحيتها من الأطفال الأبرياء[١٩] تسعة عشر طفلاً وجُرح أكثر من [٦٠] ستين آخرين. وجدير بالذكر أن القرية كانت خاوية من أية أهداف عسكرية.

مذبحة صيدا (١٦ / ٦ / ١٩٨٢)

وقعت إبان العدوان الإسرائيلي على لبنان حين أجرت قوات الاحتلال الإسرائيلي في لبنان عملية قتل جماعي لما لا يقل عن [٨٠] مدنياً ممن كانوا مختبئين في بعض ملاجئ المدينة.

مذبحة صابرا وشاتيلا (١٦-١٨ سبتمبر ١٩٨٢)

وقعت هذه المذبحة بمخيم صابرا وشاتيلا الفلسطيني بعد دخول القوات الإسرائيلية الغازية إلى العاصمة اللبنانية بيروت وإحكام سيطرتها على القطاع الغربي منها وقامت المدفعية والطائرات الإسرائيلية بقصف صابرا وشاتيلا — رغم خلو المخيم من السلاح والمسلحين — ولقد راح ضحية مذبحة صابرا وشاتيلا [١٥٠٠] شهيداً من الفلسطينيين واللبنانيين العزل بينهم الأطفال والنساء.

كما تركت قوات الكتائب وراءها مئات من أشباه الأحياء. كما تعرَّضت بعض النساء للاغتصاب المتكرر .

وتمت المذبحة في غيبة السلاح والمقاتلين عن المخيم وفي ظل الالتزامات الأمريكية المشددة بحماية الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين من المدنيين العزل بعد خروج المقاومة من لبنان.

وكانت مذبحة صابرا وشاتيلا تهدف إلى تحقيق هدفين : الأول الإجهاز على معنويات الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين، والثاني المساهمة في تأجيج نيران العداوات الطائفية بين اللبنانيين أنفسهم . .

الإرهاب الإسرائيلي والانتفاضة

وتقدر حصيلة الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي أثناء الانتفاضة (من ١٩٨٧ — ١٩٩١) بحوالي ألف شهيد ونحو ٩٠ ألف جريح ومصاب و١٥ ألف معتقل فضلاً عن تدمير ونسف ١٢٢٨ منزلاً واقتلاع ١٤٠ ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية.

مذبحة الحرم الإبراهيمي (٢٥ / ٢ / ١٩٩٤)

في فجر يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الموافق ٢٥ فبراير عام ١٩٩٤ سمحت القوات الإسرائيلية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المستوطن اليهودي المعروف بتطرفه باروخ جولدشتاين إلى الحرم الشريف وهو يحمل بندقيته الآلية وعدداً من خزائن الذخيرة المجهزة.

وعلى الفور شرع جولدشتاين في حصد المصلين داخل المسجد. وأسفرت المذبحة عن استشهاد ٦٠ فلسطينياً فضلاً عن إصابة عشرات آخرين بجراح، وذلك قبل أن يتمكن من تبقّى على قيد الحياة من السيطرة عليه وقتله.

ومع ذلك فإن تعامل الجنود الإسرائيليين والمستوطنين المسلحين مع ردود الفعل التلقائية الفورية إزاء المذبحة التي تمثلت في المظاهرات الفلسطينية اتسمت باستخدام الرصاص الحي بشكل مكثف، وفي غضون أقل من ٢٤ ساعة على المذبحة سقط [٥٣] شهيداً فلسطينياً أيضاً في مناطق متفرقة ومنها الخليل نفسها.

مذبحة قانا الأولى (١٨/ ٤/ ١٩٩٦)

إن طائرات الجيش الإسرائيلي قامت بحوالي ١٥٠٠ طلعة جوية وتم إطلاق أكثر من ٣٢ ألف قذيفة، أي أن المعدل اليومي لاستخدام القوات الإسرائيلية كان ٨٩ طلعة جوية، و١٨٨٢ قذيفة مدفعية.

وقد تدفّق المهاجرون اللبنانيون على مقار قوات الأمم المتحدة المتواجدة بالجنوب في بلدة قانا. فقامت القوات الإسرائيلية بقذف الموقع الذي كان يضم ٨٠٠ لبنانياً . وأسفرت هذه العملية عن مقتل [٢٥٠] لبنانياً منهم ١١٠ لبنانيين في قانا وحدها، بالإضافة للعسكريين اللبنانيين والسوريين وعدد من شهداء حزب الله. كما بلغ عدد الجرحى الإجمالي [٣٦٨] جريحاً، بينهم [٣٥٩] مدنياً، وتيتّم في هذه المجزرة أكثر من [٦٠] طفلاً قاصراً . (١)

اغتيال الشيخ أحمد ياسين (٢٢/ ٣ / ٢٠٠٤)

دأبت قوات الاحتلال الإسرائيلية في الفترة الأخيرة على اغتيال رموز المقاومة الفلسطينية من أمثال : الشيخ " أحمد إسماعيل ياسين " [٦٦] عاماً، المؤسس والزعيم الروحي لحركة حماس و استشهد مع الشيخ ياسين [٨] مواطنين من بينهم " خميس مشتهى " صهر الشيخ ياسين كما أصيب [١٧] مواطناً بجراح مختلفة منهم "عبد الغني، و"عبد الحميد" نجلي الشهيد الشيخ "أحمد ياسين"، ومن بين الجرحى [٩]

---

(١) لمزيد من المعلومات حول المذابح الصهيونية انظر د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ٣ / البابان : الثاني والثالث مرجع سابق .

في حالة الخطر الشديد ، وكانت قوات الاحتلال الإسرائيلية الغاشمة قد أطلقت [٣] صورايخ من طائرات الأباتشي على الشيخ ياسين وهو على كرسيه المتحرك أثناء خروجه من مسجد " المجمع الإسلامي " بعد صلاة الفجر بمدينة غزة .

اغتيال عبد العزيز الرنتيسي (١٧/ ٤/ ٢٠٠٤)

اغتالت قوات الاحتلال الدكتور"عبد العزيز الرنتيسي" [٥٧] عاماً ، و" أكرم منسي نصار" ، وأخر مجهول الهوية، و إصابة [٤] مواطنين آخرين حالتهم خطرة ، من خلال قصف سيارتهم بصاروخ من طائرات الـ [أف١٦] في شارع خليل الوزير في غزة ، مما الحق أضرارًا جسيمة بمنازل وممتلكات المواطنين .

قانا الثانية (٣٠ / ٧ / ٢٠٠٦)

بعد فشل إسرائيل في تحقيق أي تقدم يذكر على الأرض في معركتها مع حزب الله ، قررت حكومة إسرائيل الجبانة التركيز على الضربات الجوية ومعاقبة المواطنين الذين يقفون خلف المقاومة .فارتكبت مجزرة رهيبة راح ضحيتها [٦٥] مدنيا بينهم [٣٧] طفلا في الغارة التي استهدفت قانا فجر الأحد ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ وخلفت الغارة دمارا هائلا في المباني ودفنت الكثير من القرويين تحت الأنقاض ، لقد شاهد الجميع مناظر أجساد الأطفال الممزقة تنتشل بالعشرات من تحت الركام .
إن ما فعلته إسرائيل في قانا الثانية هو الإجرام بأبشع أشكاله، الانتقام الأعمى بأعنف صوره الذي لم يجد إلا أجساد الأطفال الأبرياء والمعاقين والنساء والشيوخ ليمزقها انتقاما لفشله في القضاء على حزب الله .

قتل الإسرائيليين للأسرى المصريين

ومن جرائم الحرب التي ارتكبتها إسرائيل في حق العرب كان قتل الأسرى المصريين أثناء الحربين : ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ولقد أذاعت القناة الأولى الإسرائيلية فيلما وثائقيا بعنوان " روح شاكيد " و في هذا الفيلم اعترف ياريف جروشني(مقدم احتياط ، خدم في وحدة شاكيد من ١٩٦٥- ١٩٦٨) أنه قد حصل علي طائرتي هليوكوبتر وطائرتي بايبر وكانتا تقومان بالتحليق للبحث عن الكوماندوز المصري ثم قال حرفيا :

" أنه في نهاية حرب ٦٧ وجدت كوماندوز مصرية علي حدود غزة، وبعد يومين تم تحديد ٢٥٠ جنديا وكنا نعلم أنهم خائفون وبعضهم اختبأ في الرمال ولكننا وجدناهم . وقمت بمهاجمتهم وقتلهم وكنا نكتب علي السراويل عدد القتلي منهم " .

وقال المعلق علي الفيلم أنه بعد يومين من القتال أحصوا عدد القتلى وكان عددهم ٢٥٠ جنديا .

واستأنف جوشوني اعترافاته قائلا : " يجب أن نعطي ذلك أهمية ونقول إلي أي مدي كان ذلك أمرا مبالغا فيه. فقد كانت هناك قوات (عربية) لا تمثل خطرا علينا وقد هاجمناهم من أعلي " .

وقد استعرض الفيلم بعض صور الجنود يستسلمون وهم رافعو أيديهم وهي صور التقطها جنود إسرائيليون . وكان هؤلاء الجنود خائفين بصفة عامة وكان بعضهم يختبئ في حفرة في الرمال .

ويعلق بنيامين بن إليعازر (قائد وحدة شاكيد حينئذ ، ووزير البنى التحتية الآن) على هذه المذبحة قائلا : إن هذه الوحدة (المصرية التي أبادوا جنودها وهم عزل) كنا نعاني منها ولا يمكن القول (السماح) بأن تنسحب هذه الوحدة ومعها سلاح وأنه بالتالي يجب مطاردتها .

وختم جوشوني اعترافاته قائلا : " لقد كنا نعمل تحت ضغط أن هذه العملية غير رسمية وغير منتظمة ولا يستطيع أحد أن يشرحها . واستطيع القول حقيقة أن كل من شارك في العملية كان يعمل تحت وطأة اللحظة ولا ينتظر الأوامر " .

وجاءت لقطة للرئيس عبد الناصر يقول فيها : " أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير قوة " !!

هذا نص ما جاء في الشريط الذي سلمته السلطات الإسرائيلية لوزارة الخارجية المصرية بناء على طلب وجهه أحمد أبو الغيط وزير الخارجية المصري إلى نظيرته الإسرائيلية تسيبى ليفنى بتقديم ايضاحات حول الفيلم الذى أثار غضب وقلق الرأى العام والحكومة المصرية وذلك خلال لقائهما يوم ٦ / ٣ / ٢٠٠٧ فى بروكسل على هامش اجتماع مجلس المشاركة المصري الأوروبي الثالث .

وقد قامت وزارة الخارجية باطلاع كافة أجهزة الدولة المعنية على تفريغ الفيلم ومحتواه ووقائعه بعد إجراء الترجمة اللازمة إلى اللغة العربية ، وما ذكرناه هو نص ما يتعلق بالأسرى المصريين الذين اغتالتهم وحدة شاكيد .

سبق لوزير الخارجية السابق أحمد ماهر أن أكد عام ٢٠٠٤ أن بلاده أبلغت تل أبيب رسمياً أن ملف قتل الأسرى المصريين في حروب المواجهة عامي ١٩٥٦ و١٩٧٣ لم يغلق .

وقال إن الملف يحكمه إطار قانوني وفقاً لقواعد القانون الدولي استناداً إلى اتفاقية جنيف الصادرة عام ١٩٤٩ المتعلقة بتنظيم أمور حماية الأسرى، خاصة المادة ١٢٩ من الاتفاقية التي نصت على أن يلتزم كل طرف متعاقد بملاحقة المتهمين باقتراف المخالفات الجسيمة وتقديمهم للمحاكمة أيا كانت جنسياتهم .

وكان الدكتور عزمي بشارة رئيس الحزب الديمقراطي العربي قد أشار في بيان إلى إنه سبق وكشف عام ٢٠٠١ عن تورط بن أليعازر في مجزرة بحق الجنود المصريين عام ١٩٦٧ وذلك استنادا لكتاب صدر عام ١٩٩٤ بعنوان "كتاب شاكيد" للمؤرخ أوري ميليشتاين .

وأشار بشارة إلى أن المؤرخ جمع شهادات تشير لتورط الوحدة التي كان يقودها بن اليعازر في تصفية المئات من المصريين والفلسطينيين بعد انتهاء الحرب وبعد استسلامهم في كثبان الصحراء بالقرب من العريش .

ونقلت مجلة "الشرق الأوسط" عن باحث "إسرائيلي" قوله إن هناك مذابح بشعة جرت خلال حرب يونيو ١٩٦٧ وأوضح اريبه يتسحاقي الأستاذ في جامعة بار ايلان في تل أبيب أن القوات "الإسرائيلية" أجهزت على ما يقرب من ٩٠٠ جندي مصري بعد استسلامهم خلال هذه الحرب.

وأكد في حديث للإذاعة أن " أكبر مذبحة جرت في منطقة العريش بشبه جزيرة سيناء حيث أجهزت وحدة خاصة على حوالي ٣٠٠ جندي مصري أو فلسطيني من قوات جيش تحرير فلسطين". وكان يتسحاقي قد أدلى بهذه الأقوال بعد أيام من طلب

مصر من "إسرائيل" التحقق من تقارير ذكرت أن قواتها قتلت عشرات الأسرى في حرب عام ١٩٥٦.

وقال يتسحاقي لراديو "إسرائيل" "مثل هذه الأشياء تحدث في كل حرب". وقال يتسحاقي إنه أجرى بحثا بعد الحرب في موضوع قتل الأسرى لكن قادته الأعلى لم يعبروا نتائج البحث أي اهتمام فيما وصفه بأنه "مؤامرة صمت".

وقال إنه قرر الكشف عن هذه المعلومات لأن الاهتمام تركز على قتل ٤٩ أسيرا مصريا في حرب عام ١٩٥٦. وقال: " الأمر الذي يغضبني هو أن الجميع صنعوا قضية من هذه الحالة بينما هم يعلمون أن هناك حالات عديدة مماثلة لها ". يذكر أن "إسرائيل" لم توقع الاتفاقات الدولية ضد جرائم الحرب القابلة للتقادم .

وفي ٩٥/٩/٢٠ نقلت صحيفة "الأهرام" مشاهدات لبعثة استكشافية أرسلتها إلى صحراء سيناء أكدت العثور على مقبرتين جماعيتين يروي شهود عيان أنهما تضمان رفات أسرى حرب مصريين عزل قتلوا برصاص جنود "إسرائيليين" في حرب عام ١٩٦٧.

وجاء في تقرير البعثة أن أفرادها عثروا على بقايا عظام بشرية في مقبرتين حفرتا في قاعدة جوية وواد صحراوي قرب مدينة العريش الساحلية على مسافة نحو ٣٠٠ كيلومتر شمال شرق القاهرة. وأفاد عبد السلام موسى ؟ وهو رقيب أول سابق في احدي قواعد الدفاع الجوي على خمسة كيلومترات من العريش والذي قام بدور الدليل للبعثة ؟ انه كان بين مجموعة من الأسرى المصريين شاهدوا "الإسرائيليين" وهم يقتلون أسرى مصريين آخرين بالرصاص في ٧ يونيو ١٩٦٧.

وقال: "رأيت طابورا من الأسرى بينهم مدنيون وعسكريون. أطلقوا عليهم الرصاص دفعة واحدة. وبعد موتهم أمرونا بدفنهم". وفي وادي الميدان على ٢٧ كيلومترا من العريش كشف البدو للبعثة موقعا أكدوا أن "الإسرائيليين" قتلوا فيه ٣٠ أسير حرب مصريا أعزل .

وقال أحد البدو ويدعى الشيخ سليمان مغنم سلامة : "جاءت حافلات محملة بجنود وقفت أحداها ونزل منها نحو ٣٠ جنديا مصريا وفتح اليهود عليهم الرشاشات على أمتار من طريق الإسفلت في وادي الميدان " .

وأضاف أنه بعد رحيل "الإسرائيليين" تولى البدو دفن الأسرى المصريين". وأوضحت الصحيفة أن عمليات الحفر في الموقع أسفرت عن اكتشاف بقايا عظام بشرية وجماجم تحلل معظمها بفعل العوامل الطبيعية. وروى سكان محليون للبعثة واقعتين قتل فيهما جنود "إسرائيليون" جنودا مصريين بعد استسلامهم .

على نفس الصعيد أجرت صحيفة الجمهورية في ١٩٩٥/١٠/١٢ تحقيقا من سيناء حول جرائم قتل "إسرائيل" للأسرى المصريين سواء كانوا عسكريين أو مدنيين في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ تضمن شهادات شهود عيان وجاء في التحقيق : وقد تجاوزت هذه الجرائم وفقا لشهادة شهود العيان ما فعله النازيون مع اليهود ويتحدث الشهود الموجودون أي محاولات للإنكار من جانب "إسرائيل" إذ أن الوقائع نشرت بالأسماء والأماكن والتواريخ .

ونقلت عن الحاج حسن حسين المالح (٦٥ سنة).. بحكم مسكنه المجاور لمنطقة النخيل بالقرب من منصب الوادي حيث شاطئ البحر بمنطقة أبو صقل قوله إن الجنود "الإسرائيليين" كانوا يجمعون الأسرى المصريين بهذه المنطقة بعربات النقل ويوهمونهم بأنهم سينقلونهم في أتوبيسات للتوجه إلى منطقة القناة.. ويأمرونهم بالوقوف صفوفا ووجوههم متجهة إلى البحر ثم يطلقون عليهم الرصاص ويتركونهم قتلى ويغادرون المكان.. وتتوالى نفس العملية في عدة أفواج من الأسرى الذين بلغ عدده التقريبي ٣٠٠٠ أسير .

وأكد أن ذلك قد حدث في منتصف شهر أغسطس ١٩٦٧. وأضاف أن هذه الجثث ظلت على سطح الأرض أكثر من ١٠ أيام حتى تمكن بعدها أهالي المنطقة من دفنها في هذه المنطقة .

ويقول الحاج حسن المالح.. أثناء الاحتلال عمدت "إسرائيل" إلى إخفاء تلك الوقائع والجرائم وضللت الصحافة العالمية .

تهويد القدس

منذ احتلال القدس الشريف في ٦٧ وعملية تهويد القدس تسير على قدم وساق فلم تَسْلَم آثار المدينة من عملية التهويد التي سارت في مسارين متوازيين أولهما الاتجاه

لتصفية الآثار الإسلامية بسبب طابعها الواضح، وهو ما تم أغلبه عن طريق الهدم والجرف أو تحت مسمَّى الكشف عن الجدار الغربي للحرم القدس وكذلك الحائط الجنوبي، حيث أُزيلت بعض الآثار لهذا الغرض وتصدَّعت أخرى بسبب الجهود نفسها.

ولقد استخدمت إسرائيل أساليب مختلفة لتحقيق هذا الهدف، آخرها حفريات بطول ٤٠٠ متر، بزعم البحث عن قواعد الهيكل وإنشاء نفق طولي تحته يصل إلى بيت لحم بمحاذاة السور الجنوبي للمسجد الأقصى . وتستخدم إسرائيل آليات ضخمة وأجهزة تحدث موجات اهتزازية عنيفة (بدلاً من الحفر اليدوي) بهدف تقويض دعائم المسجد. وعلى مستوى مواز تحرص إسرائيل على تهويد الآثار غير الإسلامية ونسبتها إلى ما تسميه «التاريخ اليهودى».

ومن أهم الآثار التي تعرضت لعملية تدمير، وكانت مُستهدَفة من قبَل الجرافات الإسرائيلية، المسجد الأقصى، حيث يبقى وجوده تعبيراً عن هوية وتاريخ وعقيدة. وبصرف النظر عن محاولات التسلل للمسجد أو المطالبة بفتحه لليهود لأداء صلواتهم دون قيد، فإن هناك محاولات جادة لتخريبه ومن ثم هدمه. فمحاولات الاقتحام وفتح النيران العديدة في المسجد أصابته بالعديد من التشققات والتصدعات، وقد تم إحباط العديد من محاولات المتطرفين تفجير المسجد بسبب ارتفاع التكلفة السياسية والأمنية لمثل هذه التصرفات، وكان أخطرها ما تم إحباطه في ٢٧ يناير ١٩٨٤ حيث حاولت جماعة مسلحة يهودية تسلق جدار الحرم القدسي من الناحية الشرقية لكن الحراس تنبَّهوا للأمر، وهو ما أدَّى إلى هروب المقتحمين مخلفين وراءهم كمية كبيرة من القنابل والمتفجرات. كما أن محاولات حرق المسجد الأقصى معروفة، وكان أبرزها الحريق الذي تم في ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ والذي أدانه قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١. إلا أن أخطر خطط الهدم هي تلك الكشوف الأثرية المزعومة والتي لم تتوقف حتى مع صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٥/٣٦ الصادر في ٢٨ أكتوبر ١٩٨١ والذي يطالب إسرائيل بالكف عن هذا العبث. وتتطلع بعض العناصر الدينية الصهيونية إلى إعادة بناء الهيكل (ليحل محل المسجد الأقصى). [1]

([1]) لمزيد من المعلومات حول عملية تهويد القدس يرجع إلى " موسوعة اليهود واليهودية والـصهيونية " م٤ / ج١ / الباب السابع " تهويد القدس " مرجع سابق .

ممارسات يهودية مستفزة للشعور الديني : الإسلامي والمسيحي

ومن الممارسات التي آذت الشعور الديني للمسلمين قيام يهودية متطرفة بتوزيع أوراق تحمل صورة خنزير يقرأ القرآن وكتبت عليها محمد نبي المسلمين .

وقام بعض اليهود المتطرفين يوم ١٤ يناير ٢٠٠١ بمسيرة في أحد شوارع القدس الغربية وراء حمار ألبسوه كوفية فلسطينية ووضعوا على ظهره نسخة مترجمة عبرية لمعاني القرآن مع صور لرئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات .

وقام اليهود قبل ثلاثة أشهر من هذه الوقعة بتمزيق بعض المصاحف في الخليل بالضفة الغربية .

وفي يوم ٥/ ٧ / ٢٠٠٠ أقامت شركة " ويلا " لمستحضرات التجميل عرضاً للأزياء في فندق رجنسي الإسرائيلي في القدس المحتلة ، واستخدمت الشركة القرآن الكريم بدل الموسيقى أثناء تقديم عرض لملابس البحر، ما يشكل استهتارا ومساساً بمشاعر مئات الملايين من المسلمين وتدنيساً لكتاب سماوي .

وفي يوم ١٠/ ٨ /٢٠٠٠ فتحت سلطات الاحتلال الحرم الإبراهيمي الشريف كاملا أمام المستوطنين الذين ادخلوا المشروبات الروحية وأدوات خاصة بالشموع وآلات موسيقية وأجهزة تسجيل وكاميرات فيديو إلى المكان المقدس وأقاموا حفلا صاخبا داخل الحرم الإبراهيمي وشربوا الكحول حتى الثمالة وقدموا المشروبات للجنود الذين أصابهم الدوار .

وفي يوم ٢ / ٥ / ٢٠٠٢ قصفت قوات الاحتلال كنيسة المهد بالرشاشات والقنابل الصوتية ما أدى إلى اشتعال النار في الطابق العلوي .

وفي يوم ٢٠٠٤/٤/٢٤ اقتحمت قوات الاحتلال ساحة كنيسة المهد ومدينة بيت ساحور و مخيم العزة في بيت لحم ودمرت العديد من سيارات وممتلكات المواطنين

لذا نعد الممارسات اليهودية الصهيونية هي السبب المباشر في قيام بعض الشباب بتفجير أنفسهم لإحداث أكبر قدر ممكن من الإيذاء لليهود الصهاينة وإليكم جزءا من وصية أحد هؤلاء الشهداء التي تؤكد ذلك .

وصية الشهيد ماهر حبيشة .

" وددت لو أن لي أرواحا كثيرة لكي انتقم المرة تلو المرة وأرد على مجازر كثيرة وإهانات كثيرة للمسجد الأقصى وللحرم الإبراهيمي وللشعب الفلسطيني وأرد على الاغتيالات ولكني اخترت أن انتقم لله ولرسوله، انتقم لله بأن ألقي الرعب في

بني صهيون وانتقم للنبي ﷺ لأنهم أهانوه واعتدوا عليه بالكلام الفاحش ورسموه صورة خنزير وكتبوا عليها هذا محمد نبي المسلمين فكان أول واحد أهدي له انتقامي هذا .

وأني أقدم روحي رخيصة لله ولرسوله وللدين العظيم وللمسجد الأقصى "

دعوة مخلصة لحكام إسرائيل المتطرفين

إننا ندعو المتطرفين اليهود : حكاما وأفرادا بالكف عن هذه الممارسات المستفزة التي تثير عليهم المسلمين وغير المسلمين ليس حقنا لدماء المسلمين فحسب بل لحقن دماء اليهود أيضا فإن ردود الأفعال تجاه هذه الممارسات غير المسئولة وخيمة ، والعنف يولد العنف دائما فإذا أرادت إسرائيل إن تعيش في سلام وتنعم بالأمن الذي حرمت منه لسنوات طويلة فعليها بإعادة الحق المشروع للشعب الفلسطيني كاملا غير منقوص كما نصت على ذلك المعاهدات الدولية وقرارات مجلس الأمن .

فإن أبت الحكومات الإسرائيلية إلا السير في الطريق الغلط فليأذنوا بحرب من الله ومن عباده ولن يحصدوا إلا الندم فلن يحسوا للأمن طعما ، والله غالب علي أمره .
{ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ }(الحج : ٤٥)

وفي صحيح مسلم والترمذي من حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " .

ليتعظ المتطرفون من اليهود بما حدث لهم عبر التاريخ فقد ذاقوا القهر والتشريد بسبب ممارسات المتطرفين الظالمين منهم فلا يكررون أخطاء الماضي .

وعلى الشعوب العالم المتحضر وقفة صادقة ضد الممارسات الصهيونية لوجه الله ، والحق ، والسلام العادل .

وعلى كل اليهود المحبين للعدل والسلام والراغبين في العيش الهانئ المطمئن قفوا في وجه الممارسات الغاشمة للحكام والجماعات الصهيونية ، واضغطوا عليهم لكي يردوا الحق لأصحابه لأن الصهاينة لا يردون لكم الخير بل يريدونكم حطبا لحرب قذرة لا شرف فيها ولا كرامة بل هي ضد كل الأديان السماوية ، والأعراف الدولية ، والأخلاق الإنسانية .

***

الفصل التاسع

الرد على أسطورة الخلاص في آخر الزمان

يعتبر المؤرخون اليهود مملكة داوود التحقيق النهائي لعقيدة العهد بين الإله والشعب ، وهو العهد المعطى للآباء الإسرائيليين بالأرض أولا ، ثم بالخلاص ثانيا ، وفي عصر داود يكتمل الوعد بالأرض والخلاص ودولته نموذجا للملكة في التفكير الإسرائيلي فبعد سقوط هذه المملكة أصبحت فكرة دينية غيبية حشرية نظرا لعدم إمكانية تحقيقها تاريخيا ، وارتبطت بهذه المملكة الغيبية – مملكة الله – فكرة المسيح المخلص ، وهي أيضا عقيدة غيبية حشرية تقوم على أساس أن الخلاص الإسرائيلي سيتم على يد مسيح منتظر من نسل داود ، وارتباط المسيح المنتظر بشخص داود معناه تحقيق خلاصهم من العبودية ، وجمع شتاتهم ،وضعهم في مملكة الله وأن هذا المخلص له دور سياسي حيث يقوم بأعباء تحرير اليهود ، وإلى هذا الحد كانت الفكرة دينية بحتة إلى أن استغلها الصهاينة في العصر الحديث ، وحولوها إلى واقع سياسي ، وربطوها أيضا تاريخيا بداود ، ولا عجب إذن أن تكون نجمة داود رمزا لهذا الارتباط بالتاريخ القديم .(١)

وتعد النبوءة أحد أوراق اللعبة السياسية المهمة والفاصلة في التاريخ الإنساني كله، يوظفها السياسيون لمصلحتهم بل وربما اخترعوها إن لم تكن موجودة، وذلك من أجل تحقيق مصالح وأهداف سياسية لما لها من تأثير واسع يماثل العقيدة، خاصة وأنها تستمد قوة إضافية من كونها تلعب على غريزة البحث عن المجهول والولع بمعرفة الغيب لدى النفس الإنسانية .

كما يرتبط ذلك بما يطرحه الدكتور "عبد الوهاب المسيري" في قراءته المقارنة لمناهج التفسير في الأديان السماوية الثلاثة من أن الخطاب الحتمي للنبوءة إنما

---

(١) د. محمد خليفة حسن " دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة " ص ٦٢ ، ٦٣ .

يرتبط بالتفسير الحرفي للنص الديني، وأن صعود هذا الخطاب في اليهودية والمسيحية خاصة الإنجيلية منها هو صعود للتفسير الحرفي للنص، وعدم تجاوز الحرفية إلى تفسير يوضع في سياق أكبر وأوسع في إطار مقاصد العقيدة ؛ مما يحول هذه العقيدة من رؤية تسامح وعدل إلى فعل وحركة ظلم وعدوان باسم مساندة تحقق نبوءة ما " (١)

كيف ظهرت فكرة المسيح المخلص عند اليهود

لقد تطور مفهوم المشيحانية عبر العصور كما كان الأمر مع الأفكار اليهودية المعقدة ، إن اللفظة العبرية "الماشيح" (بالعربية: المسيح) تشير في الأصل إلى ملك أو كاهن أدخل إلى المركز رسميا عن طريق مسح رأسه بالزيت (كتاب صموئيل الأول ١ : ١) فلما أصبح داود ملك بني إسرائيل صار محبوبا كالملك الكبير وسمي بالذي " تمسَّح "، ولقد اعتقد أن حكم أسرته سيستمر إلى الأبد .

فلما انهارت إمبراطوريته الكبيرة نشأ اعتقاد أن بيت داود سيعاد يوما من قبل ملك قوي من أسرة داود ماشيح آخر مثل داود نفسه. ولقد استمرت هذه الفكرة في التطور بعد الفترة التوراتية. فاعتقد اليهود في الفترة الرومانية أن الله سيبعث ملكا كبيرا من بيت داود لكسر أغلال عبودية الإمبراطورية الكافرة وسيحكم على مملكة مجددة سيعود إليها اليهود الذين يعيشون في المنفى والشتات .

يجب التنبيه هنا أن كل الآراء اليهودية عن المسيح تفهم بأن المسيح ليس إلا أداة إلهية، وليس المنقذ والمخلص كما ورد في المسيحية. ففي الديانة اليهودية الله وحده هو المنقذ والمخلص. فليس المسيح إلا عبارة عن أداة إلهية. وهكذا فإن المفهوم اليهودي عن المسيح الذي سبق الفكرة المسيحية كمنقذ إلهي، هو مشابه تماما للمفهوم الإسلامي الذي أصبح مرتبطا بالمهدي المنتظر الذي سيعيد الدين والحكم العادل إلى العالم " (٢)

فكرة ظهور المسيح ظهرت إذن نتيجة إحساس اليهود بالهوان ، والعجز عن الدفاع عن أنفسهم ومقدساتهم لذا بدأت فكرة المسيح المخلص تراودهم ، وأحلام

---

(١) حسام تمام " نبوءة نهاية العالم " نقلا عن موقع إسلام أون لاين .

(٢) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٦٧

مملكة داود تساورهم ، لكن ليس هناك من دليل توراتي على ظهور مسيح جديد بعد قورش . لكن هذا ليس مهما فبعد تدمير الهيكل انتهت اليهودية التوراتية وبدأت اليهودية الربانية (الحاخامية) فحلَّ الحاخامات اليهود محل الأنبياء ، وحل التلمود محل التوراة ، وأصبح من حق الحاخامات أن يشرعوا من دون الله ، وأن يحرفوا كلام التوراة عن مواضعها ،وأطاع اليهود كلام الحاخامات وإن خالف التوراة .

{ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ }(التوبة : ٣١)

وفي المسند، والترمذي أن عَديّ بن حاتم قال: يا رسول الله، ما عبدوهم. قال: "بَلَى، إِنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ".(١)

لذا فإن أحبار اليهود عادوا إلى نفس نبوءات الأنبياء التي تحققت على يد قورش يتأولونها لتبشر بمسيح جديد يأتي ليخلصهم مما فعله بهم الرومان ، ويحقق لهم الوعود الإلهية ويأتي بيوم القيامة . وسيكون هذا دأبهم طوال التاريخ فعند كل كارثة أو اضطهاد تظهر فكرة المسيح المنتظر الذي يشترط فيه شرطان :

١- أن يكون من نسل داود .

٢- أن يحقق لهم الوعود الإلهية (العودة ، والاختيار ، والخلاص)

وبالقطع لن يأتي رسول من عند الله ليحقق لهم ما تهوى أنفسهم ؛ لذا كفروا بكل الأنبياء والمرسلين الذين أتوا بعد ذلك بل وقتلوا فريقا منهم .

{ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون }(البقرة:٧٠)

" لقد كان شعور توقع المسيح المخلص عاليا خلال الفترة الرومانية واعتقد عدد من اليهود أن بعض الشخصيات النادرة هي فعلا المسيح المنتظر. كان أشهر هذه الشخصيات عيسى (يسوع) وإن كان بعض اليهود آمنوا بمقامه كمسيح مخلص، فإن معظمهم لم يؤمنوا به .وشكل أولئك اليهود الذين آمنوا به مسيحا المسيحية التي قبلت وطالبت بالاعتقاد بمسيحية يسوع كحقيقة دينية. وبعد ذلك بوقت قصير تطلب

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٦٦ .

المسيحية الاعتقاد بأن يسوع لم يكن فقط المسيح المنتظر، بل إنه أيضا ابن الله بعينه.

رفض معظم اليهود الاعتراف بمسيحية يسوع لأن المسيح الحقيقي بالنسبة للديانة اليهودية، سيأتي بالخلاص المباشر ولا يحتاج إلى "قدوم ثان". ولقد انتقلت المسيحية إلى ما وراء الإيمان اليهودي المقبول عندما بدأ أتباع عيسى يطالبون أيضا بضرورة الاعتقاد بأن عيسى ابن الله. وتعتبر الديانة اليهودية أن فكرة الثالوث انتهاك لوحدانية الله . (١)

إذن عقيدة اليهود فيما يتعلق بالشتات والخلاص – وكما هو ظاهر من النصوص – تؤكد أن إله إسرائيل قد عاقب شعبه بالشتات بسبب فسادهم وتنجيسهم اسمه ولكنه في نهاية الزمان وحفاظا على اسمه فإنه سيجمعهم في أرض الميعاد (فلسطين) ويبيد أعداءهم وإلى أن يتم هذا فما على يهود الشتات إلا انتظار انتهاء فترة العقوبة في صبر ، وأن يتحملوا اضطهاد الأغيار لهم في جَلَد ، وألا يتعجلوا العودة إلى أرض الميعاد قبل مشيئة الرب ، هذا هو حكم إله إسرائيل في شعبة المختار .

الصهيونية وأسطورة الخلاص

ظل هذا المفهوم للخلاص هو عقيدة اليهود طيلة زمن الشتات الذي يناهز ألفين من السنين حتى ظهرت الصهيونية في القرن التاسع عشر والتي يمكن تلخيص أهم ما نادت به مُخالفةً فيه العقيدة اليهودية في الآتي :

١- مهاجمة فكرة انتظار المسيح الذي سيأتي بالخلاص، ونادوا بأن على اليهود الحصول على الخلاص بأنفسهم . إذ أصبحت العودة إلى فلسطين ممكنة دون انتظار مقدم المسيح .

٢- مهاجمة مفاهيم أخرى ، مثل العودة والشعب المقدّس، بحيث أسقطوا البعد الديني المجازي، وكان هذا تمهيداً لتحويلها إلى مفاهيم ذات طابع دنيوي وضعي حرفي فتحولّت صهيون إلى موقع للاستيطان وتحوّل الشعب المقدّس إلى شعب بالمعنى العرقي أو الإثني .

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٧١

٣- تطبيع اليهود أي أن تكون الشخصية اليهودية شخصية طبيعية، ويصبح اليهود أمة مثل كل الأمم، وتطوَّر هذا المفهوم ليصبح الدعوة إلى تأسيس الدولة الصهيونية حتى يكون للشعب اليهودي دولته المستقلة شأنه في هذا شأن كل الشعوب .

٤- بعث البطولات العبرية القديمة مثل : شمشون وشاؤول، وهي بطولات تجسِّد عناصر لا عقلانية خارقة وذلك لتنفض الشخصية اليهودية عن نفسها شيئا من خنوعها وتصبح شخصية تمتلئ بالحيوية .

٥- إزكاء نيران الحب لصهيون وفلسطين وتمجيد الأسلاف كانت بمثابة المدخل الحقيقي لانتشار المثل الأعلى القومي بين اليهود . [1]

٦- التعجيل بالنهاية ، ويقصد بهذا المصطلح الضغط على الإله لإجبار المسيح على المجيء ، فاليهودية الحاخامية، في أحد جوانبها، تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الإله وبالطريقة التي يقررها، وأن العودة ليست فعلاً يحدث بمشيئة البشر. وقد جاء في التلمود (سفر الكتبوت): "لا تعودوا ولا تحاولوا أن ترغموا الإله".

وقد اتهم الحاخاماتُ الصهيونيةَ بأنها تسعى إلى التعجيل بالنهاية وتَحدِّي مشيئة الإله. والصهيونية ذاتها واعية بأن موقفها من العودة مختلف عن الموقف الديني التقليدي الذي انتقده بن جوريون ووصفه بالسلبية والاتكالية. " [2]

وقد استطاعت الصهيونية أن تستميل كثيرا من اليهود إلى مشروعها الاستعماري ويمكن حصر أسباب انضمام اليهود للصهيونية العالمية في سببين رئيسيين وهما :

١- **الاندماج اليهودي** في المجتمعات الأوربية ، الذي يهدد الهُوية اليهودية .

٢- **الاضطهاد** من قِبَل المجتمعات الأوربية الذي يهدد الوجود اليهودي .

وبعد ظهور الصهيونية عمل كل من اليهود والمسيحيين الصهاينة على تحقيق الخلاص بأنفسهم دون انتظار المُخلِّص زاعمين أن ما يقومون به من إعادة اليهود إلى فلسطين (أرض الميعاد) يمهد لظهور المُخلِّص .

---

(١) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية " مرجع سابق ص ٧٢ .

(٢) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ١ الباب الخامس : التعجيل بالنهاية . مرجع سابق .

لذا عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمرا منذ سنة ١٨٩٧ حتى سنة ١٩٥١ وكان آخرها هو المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة في ١٤ أغسطس من هذه السنة ليبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها ، وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية دون انتظار لظهور الماشيخ .[1]

وقام الصهاينة بتنفيذ ما جاء فيها من نبوءات كان المفروض أن إلههم "يهوه" هو الذي يقوم بها لكن ليس هناك فرق بين "يهوه" وبين شعبه المختار ، " والموجود يسد " كما يقول المصريون وليقوموا هم نيابة عن " يهوه " بجعل غزة تتلوى ألما ، ويستأصلون كبرياء الفلسطينيين ، وليهلكوا كل الأمم الزاحفة على أورشليم ، وليكن الملك العادل هو ابن جريون ، وليتحول الأتان الذي تنبأت التوراة أن يأتي عليه إلى دبابة أو عربة مصفحة ، وليُوتِّر الرب موشى ديان بدلا من يهوذا ، ويجعل بيجين أو رابين أو شامير أو شارون كسهم بدلا من أفرايم ، ويثير الإسرائيليين على الفلسطينيين بدلا من أبناء اليونان .

وهكذا تُخضِع الصهيونية النصوص لتحقيق أهدافها مهما كان من بَوْن كبير بين ما نزل النص به وبين ما يريدون هم تحقيقه .

وكنتيجة لهذا، فإن جماعة من زعماء الدين قد عارضوا الصهاينة منذ البداية. ولهذا بقي الصهاينة على وجهة الحصر تقريبا علمانيين.

لكن مع الثلاثينات من القرن العشرين بدأ يظهر تفسير ديني جديد للصهيونية مع أفكار الحاخام أبراهام إسحاق كوك، أحد زعماء الطائفة اليهودية المؤثرين في فلسطين . فلقد اقترح أن الصهاينة العلمانيين لم يقوموا بعملية ليّ الذراع مع الله، لكنهم كانوا في الحقيقة، يقومون بتنفيذ المخطط الإلهي، وإن كان ذلك عن غير قصد، بتأسيسهم دولة يهودية ، وبذلك فإنهم بدئوا عملية الخلاص. ويرى كذلك أن إرادة الله، كانت وهي لا تزال لغزا، لكن العلامات توحي بأن الخلاص النهائي قريب المنال. وهكذا فإن على اليهود المتدينين مساعدة الصهيونيين، أو على الأقل، فإن عليهم أن لا يحكموا عليهم بالإدانة بسبب عملهم في بناء أرض إسرائيل. لقد تم

---

(١) محمد خليفة التونسي " الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون " دار التراث ص ٤٥ .

تفسير بشاعة الهولوكوست من قبل بعض مناهضي الصهيونية من اليهود الأرثوذكس كعقاب شديد على محاولة ليّ الذراع مع الله (استباق الأحداث). لكن بالنسبة لمعظم الآخرين، سواء من الأرثوذكس أو المحافظين ، أو الإصلاحيين أو العلمانيين فإن الهولوكوست أثبتت إيمانهم أن دولة يهودية فقط هي التي تستطيع أن تحمي يهود العالم من أي كارثة مستقبلية .

لقد فسر كثير من اليهود الأرثوذكس انتصارات إسرائيل في حرب الاستقلال سنة ١٩٤٨، وأكثر من ذلك حرب ١٩٦٧، على أنها علامات إلهية تبين أن الخلاص أصبح في متناول اليد أخيرا.

وكنتيجة لهذا أصبحت اليهودية الأرثوذكسية صهيونية أكثر فأكثر في خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بسبب وضع إسرائيل تماما داخل عملية وصول الخلاص النهائي قريب المنال. لكن الصهيونية نفسها قد أخضعت لعدة تغييرات وتطورات. ففي الوقت الذي يستمر بعض الصهاينة بالدعوة إلى السيطرة السياسية اليهودية على كل أرض التوراة الإسرائيلية، فإن الأغلبية الساحقة تتجه أكثر فأكثر نحو قبول دولة أقل حجما بكثير بحيث تحمي هويتها اليهودية والديمقراطية وتكون في علاقة تعاون وثيقة مع جيرانها العرب والمسلمين. (١)

نبوءة المسيحية الصهيونية بنهاية العالم...

ودونك النصوص التي اعتمدت عليها المسيحية الصهيونية لإثبات صحة نبوءتهم بنهاية العالم ، واعتذر مقدما عن طول الاستشهاد لكن من منهجنا عدم اجتزاء النصوص و إلا وقعنا فيما وقع المؤمنون بهذه النبوءات .

وهاكم النصوص .

" بينما كان جاسا على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد وقالوا له : أخبرنا متى يحدث هذا وما هي علامات رجوعك وانتهاء الزمان ؟

فأجاب يسوع : انتبهوا لا يضلكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إني أنا هو المسيح فيضللون كثيرين وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب فإياكم أن

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٧١- ٧٢

ترتعبوا فلابد أن يحدث هذا كله ولكن ليست النهاية بعد فسوف تنقلب أمة على أمة ومملكة على مملكة وتحدث مجاعات وزلازل في عدة أماكن لكن هذه كلها ليس إلا أول المخاض عندئذ يسلمكم الناس إلى العذاب ويقتلونكم وتكونون مبغوضين لـــدى جميع الأمم من أجل اسمي فيرتد كثيرون ويسلمون بعـــضهم بعـــضا ويبغـــضون بعضهم بعضا ويظهر كثيرون من الأنبياء الدجالين ويضللون كثيرين وإذ يعم الإثم تبرد المحبة لدى الكثيرين ولكن الذي يثبت حتى النهاية فهو يخلص فسوف ينـــادَى ببشارة الملكوت هذه في العالم كله شهادة لي لدى الأمم جميعا وبعد ذلك تأتي النهاية . فعندما ترون رجاسة الخراب التي قيل عنها بلسان دانيال النبي قائمة في المكـــان المُقدَّس ليفهم القارئ عندئذ ليهرب الذين في منطقة اليهودية إلى الجبال ... فسوف تحدث عندئذ ضائقة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن ولن يحـــدث .. فإن قال لكم أحد عندئذ أن المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا فسوف يبرز أكثر مـــن مسيح دجال ونبي دجال ويقدمون آيات عظيمة وأعاجيب ليضلوا حتى المختارين لو استطاعوا ..فكما أن البرق يومض من الشرق فيضيء في الغـــرب هكـــذا يكـــون رجوع ابن الإنسان فحيث توجد الجيفة تتجمع النسور . وحالا بعد الضيقة في تلـــك الأيام تظلم الشمس ويحجب القمر ضوءه تتهاوى النجوم من السماء وتتزعزع قوّات السموات وعندئذ تظهر آية ابن الإنسان في السماء فتنتحـــب قبائـــل الأرض كلهـــا ويرون ابن الإنسان آتيا على سحب السماء بقدرة ومجد عظيم ويرســـل ملائكتـــه بصوت بوق عظيم ليجمعوا مختاريه من الجهات الأربع من أقاصي السموات إلـــى أقاصيها.. فعلموا أنه قريب بل على الأبواب الحق أقول لكم : لا يزول هذا الجيـــل أبدا حتى تحدث هذه الأمور إن السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده وكمـــا كانت الحال في زمن نوح كذلك ستكون عند رجوع ابن الإنسان فقد كان الناس في الأيام السابقة للطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون حتى فاجأهم اليـــوم الذي دخل فيه نوح السفينة ونزل الطوفان وهم لاهون فأخذ الجميع . هكذا تكـــون الحال عند رجوع ابن الإنسان .. فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون في أي ساعة يرجع ربكم واعلموا أنه لو عرف رب البيت في أي ربع من الليل يدهمه اللـــص لظـــل ساهرا ولم يدع بيته ينقب لأن ابن الإنسان سيرجع في ساعة لا تتوقعونها . فمن هو إذن ذلك العبد الأمين والحكيم الذي أقامه سيده على أهل بيته ليقدم لهم الطعام فـــي أوانه طوبى لذلك العبد الذي يأتي سيده فيجده يقوم بعمله الحق أقول لكم إنه سيقيمه على ممتلكاته كلها ولكن إذا قال ذلك العبد الشرير في قلبه ســـيتأخر ســـيدي فـــي

رجوعه وبدأ يضرب زملائه العبيد ويأكل ويشرب مع السكّيرين فإن سيد ذلك العبد لابد أن يرجع في يوم لا يتوقعه وساعة لا يعرفها فيفصله ويجعل نصيبه مع المرائين هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ." (متى : ٢٤) وقريب من هذا المعنى عند (مرقس : ١٣)

ومن نصوص الأناجيل نستطيع أن نلخص أحداث نهاية العالم كما أخبر بها يسوع في الآتي :

١- كثرة المسيحيين الدجالين الذين يضلون كثيرا من الناس .

٢- سقوط أمم و صعود أمم أخرى .

٣- حدوث مجاعات كثيرة وزلازل في أماكن متعددة .

٤- عذاب المسيحيين المخلصين ومقاتلتهم .

٥- كره جميع الأمم للمسيحيين بسبب إيمانهم بالمسيح .

٦- ارتداد كثير من المسيحيين عن دينهم .

٧- كره المسيحيين بعضهم بعضا بل ويسلم بعضهم بعضا للأعداء .

٨- برود المحبة لدى الكثيرين .

٩- الذي يثبت من المسيحيين حتى النهاية فهذا وحده الذي يُخلَّص .

١٠- ينادى ببشارة الملكوت في العالم كله شهادة ليسوع لدى الأمم جميعا .

١١- خراب المكان المقدس (أورشليم) .

١٢- هروب الذين في قرية اليهودية إلى الجبال .

١٣- حدوث كارثة عظيمة لم يشهد لها العالم مثيلا من قبل ولا من بعد .

١٤- ظهور أكثر من مسيح دجال ونبي دجال ويقدمون آيات عظيمة وأعاجيب ؛ ليضلوا حتى المختارين لو استطاعوا .

١٥- رجوع يسوع سيكون واضحا جليا لكل العالم كالبرق .

١٦- قبل مجيء يسوع سوف تظلم الشمس ويحجب القمر ، وتتهاوى النجوم ، وتزعزع قوات السماء ويبكي العالم كله .

١٧- يرى العالم أجمع يسوع آتيا على سحب السماء بقدرة ومجد عظيم .

١٨- يرسل يسوع ملائكته بصوت بوق عظيم ليجمعوا الذين اختارهم من كل مكان في العالم .

١٩- لا أحد يعلم متى ذلك اليوم ولا تلك الساعة ، ولا حتى ملائكة السماء إلا الأب وحده .ا

٢٠- ستأتي النهاية فجأة ودون إنذار مسبق مثل طوفان نوح الذي جاء والناس كانوا عنه لاهين .

٢١- على كل مسيحي مخلص أن يستعد لهذا اليوم وينتظره في أي لحظة ويحظر من الغفلة .

المسيح يحاسب الناس على أعمالهم

عندما يعود يسوع يكون جالسا على عرشه وحوله ملائكته . ويورث يسوع المؤمنين به والذين باركهم أبوه الملكوت أولئك الذين أطعموا وسقوا وكسوا وآووا إخوة يسوع الصغار وهم الذين يعملون بإرادة الرب .(١)

أما من لم يؤمن بيسوع ابنا وحيدا للرب صلب ليزيل عن العالم خطاياه فهؤلاء يلعنهم ويقذف بهم في النار الأبدية .

وهاك نص حساب المسيح للعالم .

" وعندما يعود ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته، فإنه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الغنم عن الماعز، فيوقف الغنم عن يمينه، والماعز عن يساره؛ ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي أُعد لكم منذ إنشاء العالم لأني جُعْت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني كنت غريبا فآويتموني عريانا

(١) " وجاء إخوته وأمه فوقفوا خارج البيت وأرسلوا إليه يدعونه وكان قد جلس حوله عدد كبير فقالوا له : ها إن أمك وإخوتك في الخارج يطلبونك فأجابهم : من أمي وأخوتي ؟ ثم أدار نظره في الجالسين حوله وقال : هؤلاء هم أمي وإخوتي ، لأن من يعمل بإرادة الله هو أخي وأختي وأمي " (مرقس : ٣)

فكسوتموني مريضا فزرتموني سجينا فأتيتم إليّ فيرد الأبرار قائلين يـا رب متـى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك ومتى كنت غريبا فآويناك أو عريانـا فكسوناك ومتى رأيناك مريضا أو سجينا فزرناك فيجيبهم الملك : الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتم ذلك بأحد أخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتم ثم يقول للذين عن يساره: ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه! لأني جعـت فلـم تطعموني وعطشت فلم تسقوني كنت غريبا فلم تأووني عريانا فلم تكسوني مريضا وسجينا فلم تزوروني فيرد هؤلاء أيضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو سجينا ولم نخدمك فيجيبهم : الحق أقول لك بمـا أنكم لم تفعلوا ذلك بأحد أخوتي هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوا ! فيذهب هؤلاء إلـى العقاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية ! " (متى :٢٥)

أما أولئك الذين آمنوا به ابنا وحيدا متفردا للرب ، وآمنوا بعودتـه الثانيـة إلـى الأرض بعد أن يكون قد أعد لهم مكانا عليا بجواره في الجنة فهؤلاء لا يحزنـون ولا يفزعون فهم الوحيدون الناجون .

" لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي أيضاً. في بيت أبـي منـازل كثيرة، ولو لم يكن الأمر كذلك لقلت لكم! فإني ذاهب لأعد لكم مكاناً. وبعدما أذهب وأعد لكم المكان أعود إليكم وآخذكم إليَّ لتكونوا حيث أكون أنا " (يوحنا ١٤:١-٣)

وعند عودة المسيح الثانية تقوم القيامة وتزول السموات وتحترق الأرض بما فيها من منجزات حضارية تطورت عبر الأزمان ويعيش المؤمنون به في سموات جديدة وأرض جديدة .

إلا أن "يوم الرب" سيأتي كما يأتي اللص في الليل. في ذلك اليـوم، تـزول السماوات محدثة دوياً هائلاً وتنحل العناصر محترقة بنارٍ شديدةٍ، وتحترق الأرض وما فيها من منجزاتٍ. ومادامت هذه الأشياء جميعاً ستنحل، فكيف يجب أن تكونوا أنتم أصحاب سلوكٍ مقدسٍ يتصف بالتقوى، منتظرين "يوم الله"... إلا أننا، وفقاً لوعد الرب، ننتظر سماواتٍ جديدةً وأرضاً جديدةً، حيـث يسكـن البر. (بطرس الثانيـة ٣:١٠-١٣) تحدث يسوع مرات عديدة عن رجوعه إلى هذه الأرض. سوف يكون مجيئه الثاني مختلفاً تماماً عن مجيئه الأول. جاء يسوع في ضعف واتضاع. لكنـه

سيأتي في قوة وسلطان كالديان والمخلص. يتطلع المؤمنون إلى المجيء الثاني للمسيح فيرون فيه مثالاً أسمى لحياتهم على الأرض. " (١)

هذا عن اعتقاد الصليبيين الغربيين وأعمالهم .

المتأمل في حديث يسوع عن نهاية العالم لا يستطيع أن يطبقه على واقعنا الآن للأسباب الآتية :

١- لم يدَّع أحد أنه المسيح ومن علامات النهاية أن كثيرين سيضللون الناس ويدعون أنهم المسيح .

٢- كثرة الحروب ليست جديدة على البشرية فمنذ مقتل هابيل والحروب بين الناس لم تتوقف وإن كانت النهاية ستأتي بعد حروب شديدة فحروب اليوم أقل كثيرا مما جرى في الحربين العالميتين أو الحروب الصليبية في العصور الوسطى والتي دامت مائتي عام .

٣- بالنسبة لسقوط أمة وصعود أخرى فهذه حال الأمم منذ بدأت الخليقة والأمر أوضح من أن يضرب له أمثلة .

٤- بالنسبة لاضطهاد المسيحيين وتسليمهم للعذاب وقتلهم فالواقع يشهد أن الأمم المنتسبة للمسيحية كأمريكا وإنجلترا وغيرهما هم الذين يسومون الأبرياء العذاب ويقتلون أعداءهم من كل الملل والنحل وخاصة المسلمين ، وليس العكس أما مسيحيو الشرق فحالهم مثل حال المسلمين سواء بسواء يعانون من قسوة إخوتهم في الدين المسيحي مثل المسلمين .

٥- أما كره شعوب العالم للمسيحيين فأغلبية العالم مسيحيون ، وسبب كرهنا لأمريكا وأعوانها ليس لأنهم مسيحيون إنما لكونهم مستعمرين مغتصبين ويشاركنا في كرههم إخواننا مسيحي العرب .

٦- أما عن ارتداد كثير من المسيحيين عن مسيحيتهم بسبب كره شعوب العالم لهم فلم نسمع بهذا قط بل ربما العكس هو الصحيح فإن مسيحيي الغرب أو من

---

(١) عن موقع حياتك على الإنترنت www.hayatak.net

أطلقنا عليهم الصليبيين الجدد إنما كان محركهم لاستعمار البلاد – عند بعض المفكرين العرب والغرب – هو إيمانهم بالمسيحية (على المذهب البروتستانتي) وليس تخليهم عنها .

٧- لم يناد ببشارة الملكوت في العالم كله كعلامة من علامات نهاية العالم .

٨- أما خراب أورشليم أظن أنه لا توجد مدينة في العالم تعرضت للخراب على مدار التاريخ كله مثل أورشليم أو فلسطين فقد تعرضت للخراب على يد الآشوريين والبابليين والرومان والصليبيين الذين سفكوا فيها دماء سبعين ألف نفس طاهرة وخاض الناس في الدماء وتكومت الجثث كالجبال ولم يطق أحد العيش فيها لأيام طوال لنتن رائحة الموتى فيها ، وفي العصر الحديث تعرضت القدس للخراب كثيرا (١) .

٩- أما ظهور دجالين آخرين فلم يظهر الأولون حتى يظهر الآخرون الذين يضلون الصفوة لو استطاعوا والذين يدعون أن المسيح ظهر في البرية .

١٠- أما إظلام الشمس وحجب القمر وتهاوي النجوم وتزعزع السموات فليس هناك أي مؤشرات علمية تدل على أدنى توقع لشيء منها في المستقبل القريب .

١١- إن من يحدّث بقرب نهاية العالم كاذب بشهادة يسوع نفسه الذي أكد على أن نهاية العالم " لا يعرفها أحد أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده " (متى : ٢٤)

١٢- أما عن حساب المسيح للعالم هذا في علم الله وسيأتي تاليا لنهاية العالم التي أثبتنا أنه ليس هناك دليل من الأناجيل على حدوث علامة واحدة منها تدل على قرب حدوثها .

سفر الرؤيا ومعركة الهرمجدون

نأتي الآن إلى سفر الرؤيا الذي تحدث فيه يوحنا عن معركة هرمجدون والألفية لنرى هل سفر الرؤيا يخالف ما جاء في الأناجيل وما بيناه ؟

(١) راجع مذابح اليهود .

إن مشكلة المتحدثين عن حرب الهرمجدون وعن الألفية أنهم لا يقرءون النصوص كاملة إنما يجتزئون نصوصا ويفسرونها بعيدا عن سياق ورودها مما يترتب عليه حتما الخطأ في الاستدلال إن من يتحدثون عن الهرمجدون وعقيدة الألفية لم يكلفوا أنفسهم قراءة سفر الرؤيا إذ لو تكبدوا مشقة- وإن كان الأمر ليس فيه أدنى مشقة - قراءته جيدا لما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه من حتمية وقوع الهرمجدون في غضون بضع سنوات ويبدو أن نسخ الأناجيل قد اختفت من العالم فجأة فاضطر الكتّاب إلى أن ينقل بعضهم عن بعض .

ومع أن سفر الرؤيا حجة واضحة دامغة - لا تحتاج لبيان - على من يحتجون به على أن العالم مهيأ لوقوع الهرمجدون وأن ما يسبقها من أحداث قد تمت ولم يبق إلا أن الأرواح الشيطانية تجمع جيوش العالم كلها في هرمجدون !

لو غضضنا الطرف عن أن الأناجيل الأربعة لم تذكر شيئا عما يسمى الهرمجدون ، ولو سلمنا أن الرؤى المنامية لغير الأنبياء حجة شرعية ولو تجاهلنا أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين العلمي ولو ضربنا عرض الحائط بكلام الأصوليين الذين يشترطون التواتر لإثبات عقيدة لو سلمنا بكل هذا - جدلا - فهل ما أخبر به يوحنا من أحداث موطئة للهرمجدون قد وقعت بالفعل أو توشك أن تقع في المستقبل القريب - سبحان علام الغيوب - اللهم .. لا .. وهذه هي الأدلة من سفر الرؤيا نفسه

تحدث سفر الرؤيا عن وقائع وأحداث لا بد أن تقع في العالم أولا حتى تأتي معركة الهرمجدون وأهم هذه الأحداث :

الكوارث التي تقع بنفخ الملائكة السبعة في الأبواق السبعة وهي باختصار شديد كالآتي :

١- برد ونار يخالطهما الدم يسقطان على الأرض فاحترق ثلث الأرض وثلث الأشجار مع كل عشب أخضر .

٢- إلقاء ما يشبه جبلا عظيما مشتعلا فصار ثلث البحر دما فمات ثلث المخلوقات الحية التي فيه وتحطم ثلث السفن .

٣- سقوط نجم عظيم من السماء كأنه شعلة من النار يسقط على ثلث الأنهار وينابيع المياه فتصير ثلث المياه مرا كالعلقم ومات كثيرون من الناس بسبب مرارة المياه .

٣- حدوث ضربة لثلث الشمس وثلث القمر وثلث النجوم .

٤- سقوط نجم من السماء إلى الأرض فأظلمت الشمس والجو من هذا الدخان وطلع من الدخان جراد على الأرض لمدة خمسة أشهر

٥- إطلاق الملائكة الأربعة المقيدين عند نهر الفرات فأطلقوا ليقتلوا ثلث البشر وجيوشهم تبلغ مائتي مليون .

٦- صيرورة ملك العالم للرب ومسيحه ، وانفتاح هيكل الله في السماء وظهور تابوت العهد في داخله ، وحدوث بروق وأصوات ورعود وزلزلة وسقوط بَرَد كبير

٧- ظهور المرأة التي تلد ابنا ذكرا يحكم الأمم كلها بالحديد .

٨- خروج التنين الذي هو إبليس وهو في سورة الغضب ويطارد المرأة .

٩- ظهور الوحش الخارج من البحر له سبعة رءوس وعشرة قرون .

أظن أنه مضيعة للوقت أن أسرد عشرات الخوارق التي ستقع قبل الهرمجدون وعلى من يرغب في مزيد من التفاصيل فعليه بقراءة سفر الرؤيا ، وأنا أرجوكم أن تقرءوا هذا السفر ولا تكونوا كإخواننا الذين اكتفوا بنقل بعض النصوص المجتزأة دون أن يقرءوا السفر كاملا .

هذه حقيقة ما يعتقده البروتستانتيون الغربيون ، ورأينا كيف استغل الصليبيون الجدد هذه المعتقدات بل – أقول مطمئنا – روَّجوا لهذه المعتقدات لكسب الرأي العام الغربي المسيحي عامة و أمريكا خاصة لتحقيق أهدافهم الاستعمارية وليس كما يظن كثير من الكتاب المسلمين نزعة دينية قد اجتاحت العالم الغربي .

ينبغي علينا إن أردنا الخروج من المأزق الراهن أن نتعلم من عدونا العمل الجاد المخلص فقد دافعوا جاهدين عن مصالحهم الاستيطانية ، وعن معتقداتهم الدينية ، وكرسوا كل جهدهم لتحقيق هذه المصالح ، وتلك المعتقدات ، وبالفعل لقد قاموا بما عليهم كبشر ، ولم يبق إلا نزول المسيح المخلص ومعه جميع الملائكة فيجلس على

عرش مجده وتجتمع أمامه الشعوب كلها فيبارك المسيحيين ويورثهم الملكوت ويلعن غيرهم ممن كفروا به وبدينه ويرمي بهم في نار جهنم خالدين فيها أبدا .

"وعندما يعود ابن الإنسان في مجده ومعه جميع ملائكته، فإنه يجلس على عرش مجده، وتجتمع أمامه الشعوب كلها، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الغنم عن الماعز، فيوقف الغنم عن يمينه، والماعز عن يساره؛ ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي، رثوا الملكوت الذي أعد لكم منذ إنشاء العالم... ثم يقول للذين عن يساره: ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وأعوانه!... فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية!" (متى ٢٥:٣١-٣٤، ٤١، ٤٦)

الفرق بين نهاية التاريخ ويوم القيامة

هناك فرق جوهري بين نهاية التاريخ عند أهل الكتاب ، ويوم القيامة عند المسلمين ، فنهاية التاريخ عند أهل الكتاب تتحقق داخل الزمان الإنساني وعلى الأرض، حين يؤسّس الإنسان الفردوس (مملكة صهيون على يد الماشيخ الذي هو من نسل داود بالنسبة لليهود ، ومملكة المسيح على يد المسيح بن مريم بالنسبة للمسيحيين) داخل الزمان، فهو فردوس مادي أرضي. يتم على أرضنا هذه وليس في الدار الآخرة .

" لم يرد في التوراة ذكر الآخرة وأن الجنة للمتقين والعذاب للمذنبين. إن الجزاء والعقاب بحسب المصادر التوراتية مثل سفر (التثنية ١٣:) أو المصادر النبوية مثل سفر إرميا (٣: ١٠) يهتمان فقط في هذا العالم وليس في الآخرة. إذاً، بحسب التوراة ، فإن كل الموتى سواء أكانوا سعداء أم أشقياء يدخلون إلى عالم مظلم موجود في باطن الأرض يقال له شيؤول، الهاوية. حتى أن النبي الكبير والكاهن صموئيل دخل مجال هذه الهاوية (كتاب صموئيل الأول: ٢٨ :٨ وما بعدها).

وكما ذكر أعلاه، فإن التوراة ظلت صامتة تقريبا حول موضوع الآخرة. لم يكن حكماء التلمود على ذات الرأي فيما يتعلق بمصير الروح بعد الممات. وشعر بعضهم أن الروح تظل واعية تماما، ويرى آخرون أنها تكون ساكنة، وهناك عدد من المناقشات حول مواضيع مثل ماذا يعرف الموتى عن العالم الذي خرجوا منه، وهل يستطيع الموتى الاتصال بالأحياء وغير ذلك .

وبالرغم من اعتقاد الحاخامات في نوع الحياة الآخرة، إلا أنهم لم يهتموا كثيــرا بتفاصيل ما يمكن توقع حدوثه هناك. لم يروا أي مشكل في اعتبــار عــدد مــن التأملات معتمدين في النهاية على ما ورد في المزمور(٦٤: ٣:) " لا عين رأت يا رب إلا أنت " (١)

هذا اعتقاد اليهود في الآخرة أما المسيحيون فيعتقدون أن المسيح **سيرجع بعد ألف سنة ثم يحكم العالم ألف سنة**، وعلى هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم سنة ١٠٠٠ ميلادية ولكن المسيح لم يظهر فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام ، ولما شارف القرن العشرون على البزوغ أي قرب سنة ١٩٠٠ بدأت الدعوات تظهر من جديد واعتقدوا أن المسيح إن لم يظهر فــي أول القــرن العشرين فسيظهر في آخره أي عام ٢٠٠٠ ولم يظهر المسيح في أوله ولا في آخره إنما الذي ظهر في أوله واستمر إلى آخره هو المسيح الدجال المسمى الــصهيونية العالمية .

وهذا خلاف ما يؤمن به المسلمون من أن الدنيا دار ابتلاء وفناء ، والآخــرة دار خلود وجزاء فالإيمان باليوم الآخر من القواعد المكينة في الإسلام، وهــو حجــر الأساس في كل دين نزل من عند رب العالمين ، وشرط أساسي لرضا الله تعــالى ودخول الجنة .

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِــرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }(البقرة: ٦٢)

فالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح هذه القاعدة بأركانها الثلاثة هي عماد كل دين. وهذا الدين الذي بعث به محمد ﷺ يعتبر أن الحياة جسر إلى الآخرة، وأن الإنسان يمر بأطوار ومراحل، فمن رحم الأم إلى هذه الأرض إلى القبر، فالبعــث فالحشر فالميزان فالصراط، ثم إلى جحيم أو إلى نعيم مستقر في مقعد صدق عنــد مليك مقتدر.

والحق أن الإيمان بالآخرة هو صمام الأمان في هذه الأرض، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق، والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ الشريعة في هذه الــدنيا،

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ١٦٠،١٦١

فهو الذي يمنع لحظة العين أن تمتد إلى محرم، ويمنع النفس أن تهجس بهواجس الشر، ويردع الفم أن يهمس ولو بكلمة واحدة لا يرضاها ربه، لأنها كلها مسجلة معروضة محصية عليه أنفاسه وكلماته وحركاته. (١)

عقيدة المسلمين حول الخلاص في آخر الزمان

يعتقد المسلمون أن هناك ثلاثة شخصيات ستظهر آخر الزمان : كافر ، ومؤمنان ، الكافر هو المسيح الدجال ، والمؤمنان هما : المهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام .

وإليك خلاصة ما جاء بشأن : المسيح الدجال ، و المهدي المنتظر ، و عيسى عليه السلام .

المسيخ الدجال :

هو رجل يهودي أعور فتنته أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة .

" ما بعث نبي إلا قد أنذر أمته الدجال الأعور الكذاب ألا وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوبا كافر " (رواه أبو داود وغيره) .

وفتنته أعظم الفتن بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول ، وتحير الألباب. فقد ورد أن معه جنة ونارا ، وجنته نار ، وناره جنة ، وأن معه أنهار الماء وجبال الخبز ، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض ، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة ، كسرعة الغيث استدبرته الريح ...... إلى غير ذلك من الخوارق .

وهاك بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك .

"ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال " (رواه مسلم وأحمد)

" ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابهما إلا عليه الملائكة صافين تحرسهما، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج اللّه منها كل كافر ومنافق " (رَوَاهُ مسلم)

---

(١) د. عبد الله عزام " العقيدة وأثرها في بناء الجيل " ص ٣٠

" أنذركم الدجال أنذركم الدجال أنذركم الدجال فإنه لم يكن نبي إلا وقد أنذره أمته وإنه فيكم أيتها الأمة وإنه جعد ادم ممسوح العين اليسرى وإن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار وإن معه نهر ماء وجبل خبز وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها لا يسلط على غيرها وإنه يمطر السماء ولا تنبت الأرض وإنه يلبث في الأرض أربعين صباحا حتى يبلغ منها كل منهل وإنه لا يقرب أربعة مساجد مسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد المقدس والطور وما شبه عليكم من الأشياء فإن الله ليس بأعور مرتين " (حديث صحيح رواه أحمد) .

المهدي المنتظر :

هو محمد بن عبد الله من أهل بيت النبي ﷺ من ولد فاطمة .

" من أهل بيتي يواطئ (يوافق) اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي " .

(حديث حسن صحيح رواه أبو داود)

وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جورا .

" المهدي مني أجلى (حَسَن) الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين "(حديث حسن صحيح رواه أبو داود والحاكم)

وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يؤم هذه الأمة ، ويصلي عيسى خلفه.

" كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ " (متفق عليه)

يقول ابن حجر في شرح الحديث " تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه . " (١)

وتنعم الأمة في عهد المهدي فتخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطى المال بغير عد ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة .

" يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا . يعني حجة " . (أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح ووافقه الذهبي)

---

(١) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري " باب " نزول عيسى بن مريم عليه السلام " ج١٠ ص ٢٥١ .

ويخوض المهدي معارك آخر الزمان ، ويقاتل اليهود وأميرهم الدجال ويهزمهم .

نزول عيسى عليه السلام

ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو " عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول عيسى ابن مريم، أخو عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله، فيظهر دين الله وتوحيده، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم فهذا هو الذي ينتظره المسلمون، وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق، واضعا يديه على منكبي ملكين، يراه الناس عيانا بأبصارهم نازلا من السماء .فيحكم بكتب الله وسنة رسول الله ﷺ وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله ﷺ ويحي ما أماتوه ، وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء، وهي الإسلام الذي من يبتغي غيره دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " (١)

ومن الأحاديث الصحيحة التي ذكرت نزوله عليه السلام ما يلي :

" لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما، مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد " (متفق عليه)

ويلتف حول عيسى عليه السلام عباد الله المؤمنون، فيسير بهم قاصدا المسيح الدجال ، ويكون الدجال عند نزول عيسى متوجها إلى بيت المقدس ، فيلحق به عيسى عند باب (لُد) ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح ، فيتداركه عيسى فيقتله بحربته .

" فإذا جاءوا الشام خرج. فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة. فينزل عيسى ابن مريم ﷺ. فأمهم. فإذا رآه عدو الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك. ولكن يقتله الله بيده. فيريهم دمه في حربته " (رواه مسلم)

و ينهزم أتباع الدجال ، فيتبعهم المؤمنون، فيقتلونهم، حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله .

---

(١) ابن القيم " هداية الحيارى " دار الريان للتراث ص ١١٢

" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود " (رواه مسلم).

الحكمة من نزول عيسى بن مريم

أولا: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى بن مريم ، فيبين الله تعالى كذبهم ، وأن عيسى عليه السلام هو الذي يقتلهم ويقتل زعيمهم الدجال .

ثانيا : أنه ينزل مكذبا للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ، فإنه يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية .

هذه خلاصة ما جاء في المهدي وعيسى عليه السلام من أقوال أهل العلم .

الشيعة والمهدي المنتظر

ويشارك المسلمون الشيعة – الإمامية – أهل الكتاب في الاعتقاد في المُخلِّص الذي يحقق لهم الفردوس الأرضي بعد قرون طويلة من الاضطهاد والغبن .

وكانت الشيعة تؤمن – كأهل الكتاب – بانتظار الإمام الغائب وأن أي عمل سياسي أو ثوري يعطل مجيئه ، حتى جاء الإمام الخميني بفكرة الحكومة التمهيدية التي تشبه الصهيونية . فثمة تشابه كبير بين حكومة الخميني التمهيدية ، والصهيونية الغربية .

فالفكرة الشيعية عن " الإمام الغائب " أو المهدي المنتظر تستدعي في الفقه الشيعي إقامة الحكومة الإسلامية تمهيدا لقدوم الإمام " حيث يعتقد الخميني ، ويعتقد معه علماء الشيعة كافة بحتمية ظهور الحكومة العالمية للإسلام بزعامة إمام الزمان المهدي المنتظر ، وأن هذه الحكومة سوف ترسم مستقبلا مشرقاً لمحرومي العالم ، وأن إقامة إمام الزمان لهذه الحكومة وقيادته لها تأتي تتويجا لكل الجهود الشيعية في إقامة حكومة إسلامية تقوم على تنفيذ الأحكام الإلهية بل إن الخميني يتخذ من رجعة الإمام وتشكيله للحكومة الإسلامية الخاتمة دليلا على ضرورة تشكيل حكومة إسلامية تعمل خلال فترة الغيبة ، وما هذه الحكومة إلا استدراكا " خمينيا " لما فات الشيعة من ظاهرة " غياب الأحكام مع الإمام " ، وعليه فإن الخميني يطرح فكرة الحكومة " التمهيدية " من أجل الحكومة " النهائية " .

ومنذ أن بدأ الإمام آية الله الخميني في التحرك الثوري لإسقاط نظام الشاه وهو يصطدم بعدد من المراجع الدينية التقليدية التي كانت ترفض أي عمل سياسي أو ثوري بحجة أن هذا سيعطل مجيء الإمام الغائب ولكن الخميني لم يركن إلى هؤلاء وبدأ يجمع حوله العلماء الثوريين الذين اقتنعوا بمشروعه الثوري واجتهاداته الفقهية فقاموا بتشكيل ما يسمى جامعة "روحانيت مبارز" أي رابطة علماء الدين المجاهدين واستطاعت هذه الرابطة أن تقود الثورة الإسلامية مع الإمام الخميني وتدشن معه معالم النظام الإسلامي والثوري ثم الانتقال معه من صيغة الدعوة إلى صيغة الثورة ثم الانتقال معه أيضا من صيغة الثورة إلى صيغة الدولة .(١)

وأمر الثورة الإيرانية يختلف عن إقامة شرع الله على الأرض كما وصَّى الرسول الأمين فالأمر هنا هو " رفع وقف التنفيذ " الذي كان ساري المفعول حتى إقامة الحكومة الإسلامية في إيران . ومن هنا فهي تحاول تصدير الثورة ، لتصل الأحكَام التي كانت معطلة إلى كل مكان على الأرض ومن هنا ظهرت سياسة " خطف الرهائن " و " المساومات التحتية " والتعاون مع الاتحاد السوفيتي آنذاك إذ أن التحول من " مبدأ التقية " إلى سياسة إقامة " الحكومة الإسلامية " يستدعي تحولا في الطرائق والأساليب .

لقد ارتكبت الثورة أخطاءً قاتلة حينما لم تستطع أن تتجاوز النظرة السياسية التقليدية إلى روح الإسلام الرحبة المتسامحة ، وعندما لم يتخلص زعماؤها وآيات الله فيها من المفاهيم السارية على الساحة الدولية ، ومن أجل الوصول إلى مفاهيم إسلامية واضحة تميز خطهم السياسي عن غيرهم من البلدان .

فأسلوب التحرش والإثارة والتحريض والاعتداء ، الذي اتبعته الثورة الإيرانية كان يسيء إلى الإسلام أكثر مما كان يسيء إلى النظام الإيراني نفسه ، وكان يفتح الأبواب أمام أعداء الإسلام لنقد الدين الإسلامي ، والهجوم عليه ، وتصويره على أنه دين الفتن والمنازعات ، والإسلام بريئ من هذه الأوصاف ، ومن هذه السلوكيات .

---

(١) أحمد السيوفي " أوراق المحافظين والإصلاحيين " إسلام أون لاين.نت ٦-٣-٢٠٠٤

ونهاية التاريخ الإنساني هذه تسمى في الأدبيات الإسلامية " علامات الساعة الكبرى " أما يوم القيامة نفسه فيبدأ بعد هلاك البشر ، وفناء الكون ، يبدأ بالبعث والنشور والحساب وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

لماذا كثر الكلام عن علامات يوم القيامة في الآونة الأخيرة ؟

لقد كثر الكلام عن علامات يوم القيامة وعن الفتن والملاحم في السنوات الأخيرة لعدة أسباب أهمها :

١- كلام صهاينة الغرب عن أرض الميعاد ، والمسيح المخلص ، وتأليفهم الكتب ، وإلقائهم الخطب في ذلك .

٢- حرب الخليج وما ترتب عليها من هيمنة الصليبيين الجدد على المنطقة العربية .

٣- عجز كثير من المسلمين وضعفهم واستسلامهم لمستعمريهم .

٤- تأليف كثير من الكتاب المسلمين كتبا عن علامات الساعة ومنها ظهور المهدي ، ونزول المسيح ، وتطبيق بعض الكتّاب علامات يوم القيامة – الصحيح منها والضعيف بل والموضوع أيضا – على الأحداث الجارية ، والأشخاص المعاصرين ، بل شطح بعضهم فحدد ميعاد ظهور المهدي ، و رتب الحوادث السابقة على يوم القيامة وما إلى ذلك من أمور غيبية لا يعلمها إلا الله ، و إنزالها إلي واقع معين . كل هذا يعد ضربا من ضروب المجازفة غير المحسوبة ، ولقد كذب الواقع خطأ الكثير من هذه التنبؤات .

و الأدهى والأمر أن بعض كتّاب مثل هذه الكتب يدعون الناس لعزلة المجتمع حتى ينجوا من هذه الفتن ، وأحدهم حذر الأمريكيين من البقاء في بلادهم التي سيعمها الخراب ويبدو أن الأمريكان استجابوا لتحذيره فتركوا أمريكا وغزو العراق!!

كل هذه الأسباب أدت على انتشار الحديث عن القيامة وعلاماتها .

والسؤال هنا ماذا فعل المسلمون بعد انتشار الحديث عن المسيح الدجال ، والمهدي المنتظر ، وعيسى عليه السلام ، وفتن و ملاحم آخر الزمان ؟

هل خططوا لطرد اليهود من فلسطين كما خطط اليهود للاستيلاء عليه ؟!

هل توحدوا حول عقيدتهم الصحيحة كما توحد اليهود والصهاينة حول عقيدتهم الباطلة ؟!

هل طبقوا تعاليم دينهم الصحيح كما طبق اليهود والصهاينة أساطيرهم المزيفة ؟!

إن المهدي عندما يجيء سيقاتل على سنة رسول الله ، والمسيح عندما ينزل سيطبق شرع الله .

فهل طبقنا شرع الله في أعمالنا حتى نكون من جنوده تعالى ؟

وهل ألزمنا أنفسنا بتطبيق سنة رسول الله حتى نستحق أن نكون من أمته ؟

لقد كان النبي ﷺ قرآنا يمشي على الأرض .

فأين نحن من القرآن الكريم ، ومن سنة النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ؟!

لقد آمن كثير من المسلمين بعقيدة المهدي والمسيح والملاحم فأين العمل الصالح ؟

إن القرآن الكريم يقرن الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من ستين آية ، فأين العمل الصالح يا أمة الإسلام ؟

بل أين أركان الإسلام ؟

كم من المسلمين يقيم الصلاة ؟!

وكم من المصلين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ؟!

كم من المسلمين لا يؤدي زكاة أمواله ؟!

بل قل كم من المسلمين يؤدي زكاة ماله ؟!

كم من المسلمين يتحرى الصدق في قوله وعمله ؟!

كم من المسلمين يأخذ على يد الظالم ؟!

بل كم من المسلمين من يعين الظالم على ظلمه ؟!

لقد أصبح الكذب والإهمال ، والجهل – مع الأسف – من سمات كثير من المسلمين ، وقس على هذا في بقية أوامر الدين ونواهيه [(١)].

تأمل معي هذه الأحاديث التي يصف النبي ﷺ فيها حالنا ، وما صارت الأمور إليه في زماننا .

" كيف بكم وبزمان أو يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقالوا وكيف بنا يا رسول الله قال تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم " (حديث صحيح رواه أبو داود)

" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت " (حديث صحيح رواه أبو داود والبيهقي)

" يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها علي غير موضعها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } قال عن خالد وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال عمرو عن هشيم وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب قال أبو داود ورواه كما قال خالد أبو أسامة وجماعة وقال شعبة فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله " (حديث صحيح رواه أبو داود)

إذن ما نحن فيه من البلاء بسبب معاصينا وآثامنا وضعف إيماننا .

هل هذه دعوة لليأس ؟

---

(١) لمزيد من التفصيل يرجى مراجعة فصل " معاصي القلوب ومعاصي الجوارح " في كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللا أصولية " للمؤلف مكتبة مدبولي .

على العكس هذه دعوة للعمل الصالح وترك التواكل ، دعوة للجهاد بكل صـــوره وترك الأنانية وعدم المبالاة ، دعوة للإقتداء بالنبي ﷺ وصحبه الكرام الذين حاربوا شهواتهم فانتصروا على عدوهم ، الذين تمسكوا بدينهم فدانت لهم الدنيا .

نعم هناك كثيرون من المسلمين صالحون لكن غالبية المسلمين غير ذلك – ندعو الله لنا ولهم بالهداية – فلو نصرنا الله بتطبيق شرعه لنصرنا على عدوه وعدونا .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }(محمد : ٧)

ولو أننا أعددنا ما استطعنا من قوة وجاهدنا أعداءنا لعذبهم الله بأيـــدنا وأخـــزاهم ونصرنا .

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (التوبة : ١٤ – ١٦)

وعلى العموم، فإن المهدي سيخرج ، ولكن لا علم لأحد إلا الله بوقت خروجه، ولا يعلم الغيب أحد إلا الله، ونحن مطلوب منا أن نعمل ونخدم الدين، فإن جاء المهدي فنحن –إن شاء الله– من جنوده، وإن لم يأت فإننا ماضون على الطريـــق ونلفـــت النظر إلى أن الصحابة نزل عليهم قوله تعالى :

{ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ }(القمر:٤٥)

وهم في مكة، ولكن ذلك لم يكن مدعاة لهم للقعود عن العمل ولا الـــسؤال عـــن زمن ذلك ، حتى تحقق ذلك في السنة الثانية من الهجرة في غزوة بدر .

***

الفصل الثامن

نوستراداموس وتنبؤاته

عندما تظلم الرؤية تكثر التنبؤات والتكهنات والتنجيم ، وعندما يظلم العقل ويضعف الإيمان ينتشر الدجل والمشعوذون ، وعندما تنزل الكوارث الكبرى ويخاف الإنسان من المستقبل يُصَدق كل شيء ، ومع انتهاء ألفية وبداية ألفية جديدة يتوقع الناس حدثا جللا يرفع أقواما ويخسف أقواما .

وهذا ما حدث مع اقتراب الألفية الثالثة فقد كثرت التنبؤات وارتفعت معدلات بيع كتب المنجمين وأشهر هؤلاء كان المنجم نوستراداموس الذي كان له نصيب الأسد في الإيمان بنبوءاته والاعتقاد فيها خاصة من اليهود والمسيحيين البروتستانت ؛ لأن هناك نبوءات أخرى عندهم تدعم نبوءات نوستراداموس وهي نبوءة الألفية الثالثة ، والهرمجدون ، والمسيخ الدجال ، ونزول المسيح المخلص .

وقد سبق الحديث عن هذه النبوءات وحان الوقت للحديث عن المتنبئ نوستراداموس

فمن هو (نوستراداموس) ؟ وما أشهر تنبؤاته ؟

إن أشهر من شرح نبوءات نوستراداموس هو الطبيب الفرنسي د. (دو فونبرون) وإليك ما كتبه أسامة الحاج مترجم كتاب (نبوءات نوستراداموس) للطبيب الفرنسي د. (دو فونبرون) وعن نوستراداموس يقول : (١)

---

(١) من كتاب (نبوءات نوستراداموس) للطبيب الفرنسي د. (دو فونبرون) ، ترجمة أسامة الحاج ، دار مكتبة التربية ، بيروت ، طبعة ١٩٩٦م .

" هو مسيحي كاثوليكي فرنسي ، ذو أصل يهودي ، عاش في الفترة (١٥٠٣ – ١٥٦٦م) ، ألف أحد أشهر كتب النبوءات التوراتية والإنجيلية . يقول هذا المتنبئ في مقدمة كتابه ، أن مصدر نبوءاته ، هو مجموعة من الكتب والمجلدات القديمة ، التي كان قد ورثها عن أجداده اليهود ، كانت مخبأة منذ قرون عديدة ، وعلى ما يبدو أنه استطاع من خلالها ، الكشف عن الرموز التوراتية اللفظية والعددية ، التي استخدمها مؤلفو التوراة من الكهنة والأحبار ، ومن ثم قام بقراءة الأحداث الواردة في النبوءات . ووضعها في كتاب ، على شكل رسائل نثرية ، وأبيات شعرية سمّاها الرباعيات ، استخدم فيها الكثير من الاستعارات والرموز ، الواضحة الدلالة أحيانا ، والمضلّلة والمُحيّرة أغلب الأحيان .

وقد اجتهد كثير من الباحثين الغربيين ، وخاصة في العصر الحديث ، وأجهدوا أنفسهم ، بمحاولات مضنية لحل رموزه وطلاسمه ، محاولات مضنية لمطابقتها ، لما جرى ويجري وسيجري على أرض الواقع .. خاصة فيما يتعلق بأحداث النهاية ، وخاصة الحرب العالمية الثالثة ، ونهاية الحضارة الغربية ، المرتبطة بعودة الخلافة الإسلامية .

ومن أشهر الكتب في تفسير نبوءاته ، وفك رموزه وطلاسمه ، هو كتاب (نبوءات نوستراداموس) ، الذي ألّفه الطبيب الفرنسي (دو فونبرون) ، المتوفى عام ١٩٥٩م ، وقد طُبع هذا الكتاب عدة مرات ، أعوام ٣٨ و٣٩ و١٩٤٠م ، ومن ثم أُعيد طبعه بعد عدة سنوات من خلال ابن المؤلف ، ومما أضافه الابن إلى الطبعة الجديدة من الكتاب ، نص مخطوط بقلم أبيه الطبيب ، كتبه قبل وفاته بأربعة أشهر ، بعنوان : (بحث في الأحداث القادمة) " .

ويزعم المصدقون بتنبؤاته أنه تنبأ (بنابليون) " سوف يولد إمبراطور قرب إيطاليا... سيباع غاليا جدا للإمبراطورية ... ولديّ معرفة مع من سيتحالف ... سنعرف إنه جزار أكثر مما هو أمير .. " .

و(هتلر) " .. البهائم التي يدفعها الجوع ستعبر الأنهار .الجزء الأعظم من ساحة المعركة سيكون ضد هستر سيجر القائد في قفص حديدي عندما لا يراعي ابن ألمانيا أي قانون " .

وفي إحدى الرباعيات يأتي اسم (صبام)، ويتحدث عن المهدي المنتظر فيقول : " سيخرج الرجل الشرقي من حاصرته وسيعبر جبال الأبينينين ليرى فرنسا سيعبر من خلال السماء و البحار والثلوج ... وسيضرب بعصاه كل الناس " .

والحروب العالمية : الأولى والثانية والثالثة – التي ستحدث – وبانهيار برجي التجارة في نيويورك ...

وكثير من الغربيين صدقوا هذه النبوءات وأيقنوا بصحتها ، والعجيب أن كثيرا من المسلمين الشيعة – أو ذوي الميول الشيعية – صدقوا بهذه النبوءات خاصة أنه يمكن تأول جزء منها لينطبق على المهدي المنتظر !

حقيقة تنبؤات داموس

وعندما بحثت أمر هذه النبوءات و قصة صاحبها لاحظت الآتي :

١- إن ما أتى به داموس ليس جديدا إنما هو تفسيرات لنبوءات الكتاب المقدس وما اشتملت عليه من علامات يوم القيامة ، وظهور المسيح الدجال ، و معركة الهرمجدون ، و نهاية العالم ، و نزول المسيح المخلص ، وهو يصرح بهذا في مقدمة كتابه .

٢- أن لغة النبوءات مبهمة غامضة رمزية – مثل رموز سفر الرؤيا – كما أنها مكتوبة بلغة مجازية شعرية ؛ مما جعلها قابلة للتطبيق على ما لا يحصى من المواقف والأحداث مثل : الاختبارات الإسقاطية للشخصية .

٣- أنه كتبها بمزيج من الفرنسية القديمة واللاتينية والإغريقية ، وكلها من اللغات الميتة التي لا يتحدث بها أحد الآن .

٤- إن معظم نبوءاته لم يتحقق رغم فوات أوانها .

٥- أن تحديد الزمان والمكان والأشخاص فيها من الأمور الافتراضية وليس فيها شيء مجزوم به .

٦- اختلاف شراح النبوءات اختلافا بيّنا فلا يكاد يتفق فيها شارحان على إنزال نبوءة واحدة إلى الواقع قبل وقوعها .

٧- أن جميع النبوءات التي يستشهد بها المؤمنون بنوستراداموس تـم الإعـلان عنها بعد وقوعها لا قبل وقوعها .

٨- أن كثيرا من هذه النبوءات تم انتحالها و تلفيقها وليست موجودة في الـنص الأصلي .

والحقيقة إن كثيرا مما جاء به داموس ليس جديدا ، ولا من عندياتـه ، ولا مـن بنات أفكاره ، ولقد اعترف هو بذلك ولم ينكره فقد اعترف أنه أخذ هذه النبـوءات من مخطوطات يهودية قديمة فهو يهودي الأصل كما أضاف إليها نبوءات الكتـاب المقدس فما تنبؤاته إلا تفسير للنبوءات الدينية التوراتية والإنجيلية التي تـزعم أن " إن المسيح الدجال سيظهر في الشرق الأوسط في نهاية الأيام وهو العـدو اللـدود للمسيح وسيسبق ظهوره عدد من الدجالين، وأنه سيدَّعي أنـه المـسيح ويـصدقه الكثيرون، وخصوصاً أنه قادر على الإتيان ببعض المعجزات (ولذا، فهـو يـسمَّى «قرد الإله» أي الذي سيقلد الإله كما تقلد القردة البشر) وسيطيعه الرعد وتحـرس الشياطين له بعض كنوز الأرض (التي سيستخدمها في غواية البشر).

وسيقوم الدجال ببناء الهيكل وسيهدم روما (مقر البابا) وسيُحيي الموتى وسـيحكم الأرض مع الشيطان لمدة يُقال إنها ستصل إلى خمسين عامـاً، وإن كـان الـرأي الأغلب أن فترة حكمه لا تتجاوز ثلاثة أعوام ونصفاً وسيساعده اليهود فـي كـل أفعاله. وعندما يصل البؤس إلى منتهاه، سيتدخل الإله فتنفخ الملائكة فـي البـوق معلنة حلول يوم القيامة وسينزل المسيح (عودة المسيح الثانية) لينقذ البقية الباقيـة الصالحة. وستدور معركة كونية هي معركة هرمجدون ويَلقَى ثُلثا اليهـود حـتفهم أثناءها. وسيعود إلياهو وإنوخ وسيأمر الدجال بقتلهم، ولكنهم قبل أن يلاقوا حـتفهم سينصرون اليهود الذين سيقبلون المسيح باعتبارهم أفراداً (لا شعباً). وسيخرج من فم المسيح سيفٌ ذو حدين سيصرع به المسيح الدجال ويحكم العالم بالعدل لمدة ألف عام (أو إلى ما لا نهـاية) حيث ينتـشر السـلام والإنجـيل في العالم.

وكثيراً ما كان الدجال يُقرَن بالماشيَّح الذي ينتظره اليهود. ويذهب الحرفيون إلى أن إنشاء دولة إسرائيل علامة على أن موعد عودة المسيح قد دنت ومن ثم لحظـة

هداية اليهود، كما يَقرن الوجدان البروتستانتي الدجال ببابا روما وبأيـة شخـصية تصبح تجسيداً للآخر (دعاة الاستنارة ــ قيصر ألمانيا ــ لينين ــ هتلر ــ جمـال عبد الناصر). " (١)

لقد كتب نوستراداموس نبوءاته بلغات قديمة ميتة ، فإذا عرفنا أن ترجمة أي نص من لغة حية إلى لغة أخرى خيانة للنص الأصلي – كما يقول المترجمون – فمـا بالك إذا كانت اللغة ميتة ، وقد تم ترجمة الترجمة ، وإذا عرفنا أن النص الأصـلي مكتوب بلغة ملغزة ومبهمة ومجازية ، و إذا عرفنا أن مترجمـي هـذه النبـوءات يجتزئون ويتأولون ما يعبر عن شخصياتهم وأهوائهم كما أنهم يجتزئون ويتأولون بعض الوقائع المنصرمة ما عساه يتفق مع ما اجتزءوه وتأولوه من نبوءات داموس ، إذا عرفنا كل هذا تيقنا أن كثيرا مما تنبأ به نوستراداموس .

أولا : ليس من عندياته .

ثانيا : أنه لا علاقة له من قريب أو بعيد بما طبقه عليه شراح نبوءاته من أحداث أو أشخاص وإن كان هناك تشابها ما بين كلمة ما وواقعة تاريخية إنما يكون محض صدفة أو شذرات من بقايا وحي صحيح في الكتاب المقدس " فقد وُلد نوستراداموس مسيحياً ونشأ نشأة كاثوليكية وإن تلقّى قسطاً من تعليمه على يد جديـه (اليهـوديين سابقاً) (٢)

والأمر في معظمه لا يعدو كون هذه النبوءات الغامضة المكتوبة بثلاث لغات ميتة بلغة شعرية مجازية إلا اختبارات إسقاطية كالتي يستخدمها علماء النفس للتعـرف على شخصية الحالات التي تعاني من أمراض نفسية .

" وتتميز الاختبارات الإسقاطية بأنها تقدم للمفحـوص منبهـا إجماليـا يتـصف بالغموض في أغلب الأحيان وهذا يعطي الفرصة لكي يسقط المفحوص مـشاعره ومخاوفه على هذا المنبه الغامض فدور المنبه هنا يشبه شاشة السينما التي يـسقط

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٦ / ج ٢ / البـاب الثالـث " مدخل : المسيح الدجال " مرجع سابق .
(٢) نفسه .

عليها المفحوص خصائص شخصيته فالشخص ينظر إلى المنبه وينسج بخياله مـا يملأ الثغرات لكي يزيح الغموض عن الموقف وهذا الخيـال انعكـاس لشخـصيته وهناك أشكال من المقاييس الإسقاطية أكثرها شهرة :

١- اختبار رورشاخ لبقع الحبر وهو عبارة عن ١٠ بطاقات مرسوم على كـل بطاقة بقعة حبر متماثلة وبعضها أسود ورمادي وبعضها ملـون وتعـرض هـذه البطاقات على المفحوص ويقال له ما الذي تراه في البطاقة .

٢- اختبار تفهم الموضوع : يتكون هذا الاختبار من عدد من البطاقات على كل بطاقة منها صورة تتصف بالغموض ويطلب من المفحوص أن يقول قصة تـدور حول الصورة والمفروض أن إدراك الشخص لعناصر الصورة وخياله الذي يـدور حولها يعكس حاجاته النفسية أو مخاوفه ومشكلاته . " (١)

ويمكن أن نضيف نبوءات نوستراداموس لهذه الاختبارات الإسقاطية وصدقوني سوف تأتي بنتائج مبهرة تكشف عن شخصية مرضى هذا العصر مـن الحـائرين المتخبطين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأولئك الذين أضلهم الله على علم .

{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ }(الجاثية ٢٣)

السر وراء اشتهار كتب التنبؤات

١- نزول الكوارث يجعل الإنسان - غير المؤمن - خائفا قلقا من المستقبل فيلجأ إلى العرافين والمنجمين والمشعوذين يلتمس لديهم الطمأنينة والراحة .

وهناك حظوظ متفاوتة للمنجمين - رغم أنهم كلهم كاذبون - فمنهم مـن يـذيع صيته وتطبق شهرته الآفاق ويجني من وراء ذلك الملايين ، ومنهم من يقبض عليه ويودع في السجون بتهمـة النـصب والـدجل والـشعوذة ، ومـن النـوع الأول نوستراداموس الذي يقال أنه تنبأ بموت ملك فرنسا (هنري الثـاني) ولمـا كـان نوستراداموس محبا للشهرة ومغرما بالغريب فقد زعم أنه وجـد وصـفة سـحرية

(١) د. محمد فرغلي فراج " مدخل إلى علم النفس " ص (١٠٠ ، ١٠١)

للطاعون – الذي كان منتشرا أيامه – وسارع الناس للالتماس هذه الوصفة السحرية ولكن سرعان ما اكتشفوا دجله ونصبه فلم تفلح هذه الوصفة في علاج الناس ولقد عاقبه الله تعالى بأن أمات زوجته وابنتيه بنفس المرض الذي كان يزعم أنه وجد له وصفة سحرية فلما كشف أمره بدأ حياة الترحال في أوروبا. وخلال سفره اشتهر كمنجم وفلكي أكثر منه كطبيب ومترجم. وفي عام ١٥٥٤ استقر في سايلون الفرنسية وبدأ في تأليف كتاب "القرون" أشهر كتاب في النبوءات والتنجيم. وكتب في عشرين جزءاً أهم الأحداث التي ستقع في العشرة قرون القادمة. وسرعان ما حقق الكتاب شهرة واسعة حين مات الملك هنري الثاني بطريقة تنبأ بها الكتاب وبعد وفاة نوستراداموس تحول كتاب القرون إلى أسطورة وأصبح مرجعاً للنبوءات في أوروبا

ومن يومها وأوربا كلما نزلت بها ضائقة أو حلت بها كارثة لجأت إلى نبوءات نوستراداموس تبحث عن أي شيء يشبه هذه الكارثة من قريب أو بعيد مما جعل الكثير يبحثون في هذه التنبؤات فكل واحد منهم يكتب حسب فهمه هو لكلام العرّاف مما يجعل تفسير كل واحد منهم يختلف عن الآخرين اختلافا بينا مما نتج عنه صعوبة في فهم تنبؤات داموس .

لقد وجدت أوربا في نبوءات نوستراداموس تعويضا عن مركب النقص إذ لم يُبْعَثْ في الغرب أنبياء إنما كل الأنبياء جاءوا من الشرق ولم يبعث نبي واحد منهم مما جعل الكثير منهم يعتبر أن نوستراداموس نبيا ينافسون به أنبياء الشرق ويؤكدون نبوته بصدق نبوءاته ، وشتان ما بين النبي ، والمتنبئ ؛ فالنبي مرسل من الله لهداية البشر مؤيد من الله بمعجزات ولا يدعي الغيب .

{ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ } .

والمتنبئ مرسل من عند الشيطان لإضلال الناس ويدعي علم الغيب .

ولو تأمل الغرب مليا لوجد أن الكتاب المقدس هو أصل هذه النبوءات لكنهم للأسف لا يقرءون الكتاب المقدس قراءة واعية ويكتفوا بما يعظ به القساوسة

والرهبان ، وهكذا حل التفسير محل الكتاب المقدس عند كثير من اليهود و مسيحيي الغرب .

" التفسير القبَّالية إلى أن التوراة عبارة عن مجرد مادة خام (هيولي) يشكلها المفسر القبَّالي بالطريقة التي يراها حسب هواه. وقد ذكر إسحق لوريا أن للتوراة ستمائة ألف معنى أو وجه، وهذا العدد هو نفسه عدد أعضاء جماعة يسرائيل الافتراضي في سيناء حين أوحى الإله إلى موسى بالتوراة. ومعنى هذا أن لكل يهودي تفسيره الخاص، أو كما يقول لوريا: كل يهودي يقرأ التوراة بطريقته، حسب «جذره». وقد اتبع القبَّاليون منهج الجماتريا في التفسير وهو حساب القيمة الرقمية للأعداد وتحوير معاني المفردات، بحيث يستنطقها المفسر بما يريد من مدلولات، الأمر الذي يعني أن النص المقدَّس ينطق بما يراه المفسر." (١)

٢- السبب الثاني في ذيوع نبوءات داموس هو المصالح التجارية والسياسية ففي الحرب العالمية الثانية مثلا أصدرت كل من المخابرات البريطانية والألمانية طبعتها الخاصة وحشرت فيها ما يؤيد سياستها. وفي أواخر الثمانينات أنتجت هوليود فيلماً ناجحاً ظهر فيه نوستراداموس وهو يتنبأ بالثورة الفرنسية وظهور هتلر وصدام حسين.. أما الحوادث الأخيرة فقفزت بكتاب القرون إلى المركز الأول في قائمة أفضل الكتب مبيعاً (حسب قائمة النيويورك تايمز وموقع أمازون). كما استفاد من رواجه عدد لا يُحصى من المفسرين ودور النشر ومواقع الإنترنت وو ... " (٢)

ويعلق كاتب شيعي على فليم نبوءات داموس قائلا : " ويبدو أن اليهود كانوا وراء صناعة هذا الفيلم ، وهدفهم منه تعبئة الشعب الأمريكي والشعوب الأوربية ضد المسلمين ، باعتبارهم الخطر الذي يهدد الغرب وحضارته ، خاصة إذا لاحظنا الإضافة التي زادوها على نبوءة نوستر آداموس، وهي أن أمريكا بعد هزيمة أوربا على يد الإمام المهدي عليه السلام وتدمير صواريخه الضخمة لواشنطن وغيرها من مدنها ، تتوصل إلى اتفاق مع روسيا لمواجهته ، وتتمكنان بالنتيجة من تحقيق الإنتصار عليه ! " (٣)

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٥ / ج ٢ / الباب الربع " مدخل : تفسير العهد القديم

(٢) عن موقع www.geocities.com

(٣) " عصر ظهور المهدي "

٣- ولع الغرب المفرغون روحيا بالمستقبل وخوفهم على عمرهم ، ورزقهـم ، وأولادهم ، وصحتهم ، و مصيرهم بعكس المؤمن الذي يعلم أن كل ذلك مكتـوب عليه قبل أن يخلق فيطمئن على عمره فهو بيد الخالق عز وجل ، ويطمـئن علـى رزقه فهو بيد الرزاق تبارك وتعالى ، وهو مطمئن على صحته فهي بيـد الـشافي المعافي ، ومطمئن على أولاده ومن يحبهم فهم فـي رعايـة الـرحمن الـرحيم ، ومطمئن على نتيجة سعيه ومصيره فهو بيد العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة .

"إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ الله إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ " (متفق عليه)

لذا فالمؤمن لا يخاف على شيء من أمور الدنيا مهما عظمت فلن يصيبه إلا مـا كتبه الله تعالى عليه .

{ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }
(التوبة ٥١)

لذا فالمؤمن يعيش في خير دائم وفي طمأنينة لا يشوبها قلق وليس هذا لأحـد إلا المؤمن .

" عجبت لأمر المؤمن أن أمر المؤمن كله له خير ليس ذلك لأحد إلا للمـؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرا وإن أصابته ضراء صبر وكان خيرا " (رواه مسلم)

٤- الخوف من المراحل الانتقالية في التاريخ " فـدائمًا مـا تـرتبط النبـوءات وخاصة التي تتعلق بنهاية العالم بالفواصل الزمنية أو المراحل الانتقالية في التاريخ (نهاية قرن أو ألفية من التاريخ) سواء في موعد تحققها أو حتى ترويجها والحديث الواسع عنها، والبعض يفسر ذلك بتأثير الفكر المسيحي واليهودي الغربي والـذي يخلق من هذه الفواصل- وخاصة رقم الألف- قيمة ويعطيه أهمية قصوى، رغم أنه لا قيمة له في ذاته؛ إذ إن تقسيم الزمن اختراع وفعل إنساني بحت.

وقد ظهرت نبوءات نهاية العالم مقترنة بنهاية الألفية أولاً في الفكـر المـسيحي، وكان أولها وأكثرها شهرة نبوءة القديس "أوغسطين" الذي تنبأ بعودة المسيح ومـن

ثم نهاية العالم على رأس الألفية الأولى، وتدريجيًا ارتبطت نبوءات نهاية العالم بنهاية الألفية الميلادية الأولى ثم الثانية والأغلب أنها (فكرة ارتباط نهاية العالم بنهاية الألفية) انتقلت منها إلى الحضارات الأخرى ومنها الحضارة الإسلامية؛ فتحدثنا كتب التاريخ أن هذه الفكرة راجت في كثير من أنحاء العالم الإسلامي مع اقتراب الألفية الهجرية الأولى من نهايتها؛ مما دفع الإمام "السيوطي" وقتها إلى وضع مؤلف لدحضها وتفنيدها كان عنوانه: "الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف".(١)

٥- الرغبة في الاتزان النفسي؛ فنبوءات نهاية العالم مثل أي رؤية كونية أخرى تبحث عن الاتزان الذي يسعى إليه الإنسان، والفواصل الزمنية التي تمثلها الأرقام الصفرية (صفر ومائة وألف..) رغم أنها لا دلالة لها في نفسها فإنها أرقام اتزانية تحمل معها هي الأخرى الإحساس بالاتزان." (٢)

٦- التوظيف السياسي للتفسير الحرفي للنبوءة فقيام أمريكا وحلفائها بضربات وقائية للعرب حتى لا يظهر من يخافون منه (المهدي) وسواء أكانوا مقتنعين بهذا أم غير مقتنعين فإن المصلحة تقتضيه وليروجوا لمثل هذه النبوءات كما روجوا للهرمجدون والألفية الثالثة

" تعد النبوءة أحد أوراق اللعبة السياسية المهمة والفاصلة في التاريخ الإنساني كله، يوظفها السياسيون لمصلحتهم بل وربما اخترعوها إن لم تكن موجودة، وذلك من أجل تحقيق مصالح وأهداف سياسية لما لها من تأثير واسع يماثل العقيدة، خاصة وأنها تستمد قوة إضافية من كونها تلعب على غريزة البحث عن المجهول والولع بمعرفة الغيب لدى النفس الإنسانية.

كما يرتبط ذلك بما يطرحه الدكتور "عبد الوهاب المسيري" في قراءته المقارنة لمناهج التفسير في الأديان السماوية الثلاثة من أن الخطاب الحتمي للنبوءة إنما يرتبط بالتفسير الحرفي للنص الديني، وأن صعود هذا الخطاب في اليهودية

---

(١) " نبوءات نهاية العالم " حسام تمام موقع إسلام أون لاين على النت .
(٢) نفسه .

والمسيحية خاصة الإنجيلية منها هو صعود للتفسير الحرفي للنص، وعدم تجاوز الحرفية إلى تفسير يوضع في سياق أكبر وأوسع في إطار مقاصد العقيدة؛ مما يحول هذه العقيدة- أحيانا لدى توظيفها- من رؤية تسامح وعدل إلى فعل وحركة ظلم وعدوان باسم مساندة تحقق نبوءة ما " (١)

٧- "التعجيل بالنهاية» : ويقصد بهذا المصطلح أن بعض الجماعات اليهودية تحاول «الضغط على الإله لإجبار الماشيَّح على المجيء»، فاليهودية الحاخامية، في أحد جوانبها، تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد ستتم في الوقت الذي يحدده الإله وبالطريقة التي يقررها، وأن العودة ليست فعلاً يحدث بمشيئة البشر. وقد جاء التلمود (سفر الكتبوت): "لا تعودوا ولا تحاولوا أن تُرغموا الإله".

وقد اتهم الحاخامات الصهيونية بأنها تسعى إلى التعجيل بالنهاية وتَحدِّي مشيئة الإله. والصهيونية ذاتها واعية بأن موقفها من العودة مختلف عن الموقف الديني التقليدي الذي انتقده بن جوريون ووصفه بالسلبية والاتكالية. " (٢)

٨- قيام بعض الأفراد و الجماعات الإرهابية المتطرفة وربما الدول أيضا بتنفيذ ما جاء في كتب : النبوءات ، و التنبؤات لأسباب دينية : إسلامية ، أو مسيحية ، أو يهودية .

إسلامية مثل : الثورة المهدية في السودان التي قام بها محمد أحمد المهدي ، تلك الثورة التي حطمت وحدة وادي النيل السياسية ومحمد أحمد المهدي " أعلن دعوته ١٨٨١ م وصرح بأنه المهدي المنتظر ، وأطلق على أتباعه الدراويش اسم الأنصار ، وثار على الحكومة المصرية ، وهزم الحملات التي جردتها لتأديبه ، استولى أتباعه على السودان ودخلوا الخرطوم ، ثم أخمدت الثورة في ١٨٩٩ م " (٣)

والجماعة الإرهابية بقيادة محمد عبد الله العتيبي التي احتلت الحرم المكي الشريف لعدة أيام في مطلع عام (١٤٠٠ هـ) ، وأذاع معاون المهدي المزعوم (جهيمان)

---

(١) نفسه .

(٢) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ١ / الباب الخامس مدخل : التعجيل بالنهاية " مرجع سابق .

(٣) " الموسوعة الثقافية " ص ٩٥٤ دار الشعب .

من داخل الحرم بياناً دعا فيه المسلمين إلى بيعة صاحبه محمد عبد الله العتيبي بصفته المهدي المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله ! ولم تستطع الحكومة السعودية أن تتغلب عليهم إلا بعد أن استدعت فرقاً خاصة أجنبية .(١)

ومثل : الجماعات الدينية المسيحية أو اليهودية المتطرفة التي عملت على تنفيذ ما جاء في نبوءات نوستراداموس مثل النبوءة المزعومة المنتحلة "أنه في العام الأول من القرن الجديد، وفي الشهر التاسع من ذلك العام ستتعرض المدينة الجديدة التي اسمها "يورك" لهجوم يأتي من السماء، فيتحطم الأخوان التّوأمان، ويتناثران إلى أشلاء صغيرة، كما ستتعرض القلعة للدمار؛ عندئذ ستقوم الحرب العالمية الثالثة لتحطم الشر، وعندها سيقوم المسيح، ويقود الهجوم، وينشر السلام... إلخ. والجدير بالذكر أن هذه النبوءة مفبركة، وبها تحريف وإضافات من آخرين، سواء قبل الحادثة أم بعدها بغرض إلصاق التهمة بالمسلمين واستعداء الغرب عليهم وقد كان .

وبالرغم من أن النبوءة مرفوضة تمامًا من أي عاقل؛ فنحن لا نعقل أن يستطيع أحد معرفة المستقبل إلا أنها قادرة على إحداث ضرر جسيم على عقول بعض الناس والجماعات؛ وهو ما يؤدي إلى نتائج وخيمة، وهو ما حدث بالفعل.فقد " قامت جماعة مسيحية أو يهودية متطرفة بتنفيذ الجريمة باعتبارها شيئًا مقدسًا، وقدمت الأدلة العديدة لإلصاق التهمة بالمسلمين؛ ففي ذلك اليوم قامت بخطف عـ..د

---

(١) ليس ادّعاء المهدية بالأمر الجديد فقد طفح التاريخ بمثل هذه الادعاءات للخروج على الحكام والاستيلاء على الحكم " وقد ينتسب بعضهم إلى الفاطمي المنتظر إما بأنه هو أو بأنه داع له وليس مع ذلك على علم من أمر الفاطمي ولا ما هو وأكثر المنتحلين لمثل هذا تجدهم موسوسين أو مجانين أو ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رئاسة امتلأت بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل إليها بشيء من أسبابها العادية فيحسبون أن هذا من الأسباب البالغة بهم إلى ما يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع إليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد كان لأول هذه المائة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التويذري عمد إلى مسجد ماسة بساحل البحر هناك وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبيسا على العامة هنالك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك وأن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهافتت عليه طوائف من عامة البربر تهافت الفراش ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدس إليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسيوي من قتله في فراشه وكذلك خرج في غماره أيضا لأول هذه المائة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيقه الأرذلون من سفهاء تلك القبائل وأغمارهم وزحف إلى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لأربعين يوما من ظهور دعوته ومضى في الهالكين الأولين وأمثال ذلك كثير " مقدمة ابن خلدون ١/ ١٦١ دار القلم بيروت

من الأشخاص العرب -ومن بينهم طيارون أو دارسو طيران-، ثم قتلتهم، وأخفت جثثهم، وقامت بعد ذلك بحجز أماكن على الطائرات بالأسماء العربية لضحايا، ثم صعد المجرمون إلى الطائرات، وقاموا بفعلتهم النكراء، وهكذا تمت الجريمة وتحققت أهدافهم، كما تولت باقي الجماعة مهمة إشعال نيران الغضب والإثارة والتهييج ضد العرب والمسلمين بمختلف الوسائل، ومن بينها إرسال آلاف التهديدات الكاذبة، كما قامت أجهزة الإعلام بدور خطير لاستفزاز المشاعر، وشحنها ضد المسلمين في كل مكان." (١)

أما محاولات الجماعات اليهودية المتطرفة هدم المسجد الأقصى تمهيدا لبناء الهيكل مكانه فهي كثيرة ومتكررة وصلت لأكثر من خمسين اعتداء منذ عام ٦٧ وحتى الآن ، ومازالت الجماعات الدينية المتطرفة تواصل الحفر تحت المسجد بين الفينة والفينة للوصول إلى بقايا هيكل سليمان القديم لأنهم يعتقدون أن المسجد الأقصى قد بني على أنقاض هيكل سليمان لذا يجب هدم المسجد الأقصى وإعادة بناء الهيكل ، وبرغم كثرة الحفريات التي قاموا بها فإنهم لم عثروا على دليل واحد على ما يزعمون .

٩- جنون العظمة والرغبة في الشهرة وذيوع الصيت . إن بعض الناس المهووسين بالشهرة والمرضى بجنون العظمة عندما يسمع بنبوءة معينة يسعى لتحقيقها وإن لم تكن منطبقة عليه و صدام حسين أفضل نموذج على هذا النوع فهو محب للشهرة و مريض بجنون العظمة فقد أراد صدام أن يظهر بصورة المهدي المنتظر الذي سيقهر كل القوى ويتربع على عرش الكون فراح يدعي أنه من آل البيت – لأن المهدي من آل البيت – وآل البيت رضي الله عنهم منه ومن أفعاله براء ثم بدأ يظهر راكبا حصانا أبيض يختال به ليظهر بصورة الفارس القادم على صهوة حصان أبيض قبل نهاية الألفية الثانية ومعها انتهاء العالم ، كما تنبأ نوستراداموس وهو إذ يفعل هذا يريد أن يكسب تعاطف الجماهير العربية المقهورة في كل ميدان والتي تحلم بالفارس الذي سيحطم عرش أمريكا ويدمر كل الطغاة ويحرر القدس . وليبدأ صدام بقتال الفرس – إيران – حيث بدأ المسلمون الأوائل من قبل !!

---

(١) أ . د . أحمد حسن مأمون " دليل براءة المسلمين ".إسلام أون لاين .

وتهلل الجماهير لهذا البطل المغوار الذي سيعيد أمجاد العرب مع أنه ليس هنـــاك فرس يعبدون النار - كما كان على عهد الصحابة - إنما هناك دولة إسلامية تعبـــد الواحد القهار ، لكن ليس هذا مهما فليأخذ عكرمة بن أبي جهل الذي أسلم يوم الفتح واستشهد في معركة أجنادين بذنب أبيه الذي آذى النبي وصـــحبة !! والعجيـــب أن حكام العرب قد ساعدوا صدام في حربه لإيران ليس إعجابا به مثل الجماهير إنمـــا استجابة لأمرا أمريكا ، وبعدما انتهى صدام من هزيمة الفرس -إيران - فليتوجـــه إذن لقتال الروم وتحرير بيت المقدس وبالفعل جهّز العدة وهجم ليس على الـــروم كما هو متوقع إنما هجم على الكويت البلد العربي المسلم المسالم !! والعجيب أن الجماهير خرجت بالملايين تؤيد صدام في حربه على الكويت جاعلة الكويت محطة لابد من المرور بها للتزود بالمال وبالوقود - البترول - قبل الانطـــلاق لتحريـــر القدس ! لكن في هذه المرة الروم - أمريكا وحلفاؤها الغربيون - بمساعدة العرب قرروا القضاء على هذا المسيخ الدجال أو السفياني - كما يحلو لإخواننا المتنبئـــين المسلمين أن يسموه - ومع هذا ما زال هناك من يعتقد أن صدام هو المهدي الـــذي جاء ليدمر قوى الشر لكن الخيانة - قاتلها الله - هي التي أوقعت به !!

إذا كان للغرب بعض العذر في انتشار مثل هذه الخرافات فـــي بلادهـــم لأنهـــم مفرغون روحيا و ويؤمنون بالتنجيم والكهانة فما عذر المسلمين الـــذين يتركـــون كتاب الله المبين ويصدقون نبوءات نوستراداموس الغامضة ، يتركون سنة محمـــد النبي الصادق الأمين ويتمسكون بنبوءات المتنبئ الكاذب الخؤون ، وصدق رسول الله ﷺ " ليأتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق، ويصدق فيه الكاذب، ويخـــوّن فيه الأمين، ويؤتمن الخؤون، ويشهد المرء ولم يستشهد، ويحلف وإن لم يـــستحلف، ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع لا يؤمن بالله ورسوله " .(الطبرانـــي فـــي الكبير و السيوطي في الجامع الصغير وقال حديث حسن) .

المصدقون بتنبؤات داموس من المسلمين والرد عليهم

والمصدقون من المسلمين بهذه التنبؤات فرقتان مـــن المـــسلمين مختلفتـــان فـــي المشارب ، ومتباينتان في الدوافع وهما :

١- بعض العرب والمسلمين بسبب بعدهم عن الدين الصحيح وتحت وطأة العجز الصريح استسلموا لمثل هذه الأوهام خاصة أنها تذكر أن فتى يأتي مـــن المـــشرق

سوف يدمر قوى البغي بهذا سيتخلصون من أمريكا الشيطان الرجيم فليحلموا إذن بنكبتها ليوهموا أنفسهم بانهيارها على يد المهدي الفتى العربي المسلم

٢ – بعض الشيعة و من يردد مقولاتهم يجدون في بعض تنبؤات داموس كخلاص العالم وتدمير أمريكا سيكون على يد فتى مشرقي – يفسرونه بالمهدي المنتظر – فرصة ذهبية لتأكيد قرب ظهور المهدي وهذه النبوءة تأتيهم من الغرب الكاره لهم كما تقول الحكمة (الحق ما شهد به الأعداء) .

ويحاولون أن يجدوا ما يؤيد كلام نوستراداموس من سنة خير الأنام ﷺ فيدعون أن نوستراداموس قد اعترف بأن جده سرق مخطوطات من القدس ، وأن أبناه هرب بمجموعة مخطوطات من بغداد ومصر وبلاد عربية أخرى وان داموس قد اطلع على هذه المخطوطات واعتمد عليها في تنبؤاته ولم يسند صاحب هذا الرأي هذا الكلام لأي مرجع من المراجع التي تحدثت عن نوستراداموس وترجمت له وعنه ! كان ذلك في طبعة كتابه الأولى ٩٧ ويبدو أن بعض الناس انتقدوه في هذا واتهموه بأنه يرمي بالكلام على عواهنه ، لذا يغير صيغة الكلام في طبعة ٢٠٠٣ ويزعم أن جد داموس كان طبيبا لملك أورشليم " رينيه " ومن المعلوم لدى المؤرخين أن مدينة القدس قد تم تحريرها على يد بطل الإسلام صلاح الدين سنة ١١٨٧م وأن الحروب الصليبية انتهت في القرن الرابع عشر فمتى حكم الملك " رينيه " أورشليم ؟ !! ويقتبس المؤلف مشهد فليم نوستراداموس وهو حمل جد نوستراداموس كتبا ومخطوطات قديمة على عربة تجرها الدواب ويزعم أن هذه الكتب من التراث المحمدي عليه الصلاة والسلام دون بينة .

ولم يذكر لنا الكاتب اسم محقق واحد ذكر أن مخطوطات " داموس " كانت من التراث المحمدي ، فإن افترضنا جدلا أن جد نوستراداموس كان طبيبا لملك رينيه ملك القدس – وهذا مستحيل تاريخيا كما بينا– وافترضنا جدلا أن جده هذا حمل – أو سرق كما جاء في طبعة الكتاب الأولى – مخطوطات من بيت المقدس وبغداد ، وإذا فرضنا أن هذه المخطوطات كان فيها بعض أحاديث الرسول الكريم ، وافترضنا المستحيل أن هذا التراث هو ما تنبأ به داموس في نبوءاته !! فأين كان هذا التراث قبل أن يسرقه جد داموس ؟! والإجابة لا تخرج عن احتمالات ثلاثة :

١ – إما أنه كان معروفا لعلماء الأمة وهو من جملة ما أخبر به النبي من الغيوب المستقبلية التي ذكروها في كتبهم كما جاء في البداية والنهاية لابن كثير من مئات لهذه الأخبار .

٢– إما أنها كانت مجهولة ولم يعلم بأمرها أحد حتى جاء جد داموس فكشف عنها وعرف قيمتها وسرقها .

٣– إما أنها كانت من ميراث آل البيت مما أختص النبي به عليا دون سائر الأمة وورّثه علي لآل بيته كما يزعم بعض الشيعة وأن جد داموس قد تمكن من سرقة ميراث آل البيت !!

وللرد على الاحتمال الأول القائل أن هذه المخطوطات كانت معلومة لدى علماء الأمة ومدونة في كتبهم نقول : هذا غير صحيح فما أنبأ النبي به من حوادث المستقبل لم يذكر فيه شيئا عن نابليون أو هتلر أو صدام أو غيرها من تنبوءات داموس .

أما الاحتمال الثاني : هو أنها كانت مخطوطات للتراث المحمدي ظلت مجهولة قرابة الألف عام حتى اكتشفها هذا الطبيب اليهودي جد داموس فهذا غير صحيح بل مستحيل لأن علماء الأمة ما فرطوا أبدا في سنة الرسول الكريم بل شملوها بكل عناية وحفظ وبكل دقة وإتقان ولم يفتهم من تراث النبي شيئا إلا وذكروه ولم يكتفوا بجمع الأحاديث الصحيحة فحسب بل جمعوا الأحاديث الضعيفة أيضا بل – وهذا شيء عجيب – صنفوا كتبا في الأحاديث الموضوعة المنسوبة زورا وبهتانا للنبي فهل يعقل أن يكون قد فات هؤلاء العلماء– وهم جمهرة لا يحصيها عد على مدى مئات السنين – شيئا من تراث النبوة الصحيح و لم يدونوه ، أو كان مدونا وأهملوه أو أخفوه حتى جاء جد داموس فاكتشف هذا التراث النبوي الثمين ونسبه لنفسه !!

والاحتمال الأخير : أن هذه المخطوطات من ميراث آل البيت الذي اختصهم النبي به ولم يختص أحدا سواهم به !!

والسؤال هل هناك علوم ومعارف اختص النبي بها أهل بيته وكتمها عن سائر المسلمين ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول : أن هذا زعم باطل وليس له أصل من الشرع وإليك الدليل على بطلانه :

لقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يبلغ ما أمره الله تعالى بتبليغه للناس و لا يكتم منه شيئا .

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (المائدة : ٦٧).

وجاء في تفسير ابن كثير " يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة، وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله اللّه به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام؛ قال البخاري عند تفسير هذه الآية عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل اللّه عليه فقد كذب، وهو يقول: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} الآية، وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت: لو كان محمداً ﷺ كاتماً شيئاً من قرآن لكتم هذه الآية:{وتخفي في نفسك ما اللّه مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} وقال ابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناساً يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول اللّه ﷺ للناس، فقال ابن عباس: ألم تعلم أن اللّه تعالى قال: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك}، والله ما ورّثنا رسول اللّه ﷺ سوداء في بيضاء. وهذا إسناد جيد. وفي صحيح البخاري عن وهب بن عبد اللّه السوائي قال: قلت لعلي بن ابي طالب رضي اللّه عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال : لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه اللّه رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر " وجاء في صحيح مسلم قول السيدة عائشة " ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية . والله يقول: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} [المائدة :ة ٦٧] قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} (النمل: ٦٥)

وقال البخاري، قال الزهري: من اللّه الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، وأستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد اللّه أن رسول اللّه ﷺ قال في خطبته يومئذٍ "أيها الناس إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم، ويقول: "اللهم هل بلغت" ؟ " (١)

٢- نفي الله تعالى في كتابه العزيز عن نبيه المصطفي ﷺ ضنه بالغيب وتأكيده سبحانه وتعالى على أن ما أنزله على نبيه من الذكر كان لجميع الناس ولم يستأثر به أحدا دونهم فيقول تعالي { وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ }(التكوير:الآيات من٢٨:٢٤)

٣- تصريح عليّ رضي الله عنه في مواضع كثيرة بعدم اختصاص النبي ﷺ له بعلم دون سواه ولم يورث عليّ أبناءه شيئا من تراث النبوة غير ما علم الناس وإليكم وصية عليّ بعدما طعنه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله كما ذكرها ابن كثير في " البداية والنهاية " :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: (إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام) انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوا ليهوّن الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام فلا

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص ١٥١

تعفو أفواهم ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار.

والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم.

والله الله في أصحاب نبيكم فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: (أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم).

الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله.

ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الآثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب.

حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ عليكم نبيكم، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله. " (١)

٤- أن سيدنا علي رضي الله عنه أخبر بأنه سيأتي من بعده من يزعمون حبه ولا يعملون بعمله وهو الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام يقول علي رضي الله عنه :

" ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم، واهتدوا بهديي فإنه هدى نبيكم،

---

(١) ابن كثير " البداية والنهاية " ج ٧ / ص ٣٦٣ ، ٣٦٤

واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً " (١)

وصدق سيدنا علي حين قال : " يهلك في رجلان : محب غال يقرظني بما ليس فيّ ، ومبغض قالٍ يرميني بما نزهني الله منه " (حسنه الألباني)

أما ما جاء من أحاديث تدل على استئثار النبي ﷺ عليا رضي الله عنه بعلم أورثه علي لأبنائه من دون الناس وأن هذا العلم يشمل كل علوم الأولين و علوم الآخرين وأنه شمل العلم بما كان وما سيكون فهذا مناف لكتاب الله تعالى .

{ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }(الأنعام : ٥٩) .

{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } (النمل : ٦٥)

{ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا }(الجن : ٢٧)

والرسول ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أوحى الله تعالى إليه به .

{ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ }(هود : ٤٩)

فعلم الغيب مما استأثر الله به ، والنبي نفسه ﷺ ينفي علمه بالغيب .

{ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ }(هود : ٣١)

{ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (الأعراف : ١٨٨)

---

(١) ابن كثير " البداية والنهاية " ج٧ / ص ٢٦٣

أما ما جاء من أحاديث تؤكد أن عليا رضي الله عنه علمه الرسول ﷺ كل أبواب العلم من أمثال هذا الحديث " علمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب " قال ابن عدي: هذا حديث منكر، ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة فإنه شديد الإفراط في التشيع، وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف .

ولا أدري لماذا يحاول بعض الناس أن يتمسكوا بالأباطيل ويفرضوا المستحيل !

هل ليثبتوا إن الإسلام دين صحيح ؟!

وهل الإسلام في حاجة إلى مثل هذه الحجج المتهافتة بل الباطلة المضللة لإثبات صحته ، وهو الذي يملك من البراهين الناصعة والحجج الدامغة لإثبات أنه دين الله الحق ؟!

هل ليثبتوا أن اليهود فهموا من ديننا ما لم نفهمه نحن المسلمين من أحاديث خير المرسلين ؟!!!

هل لنثبت أن المسلمين فرطوا في دينهم ولم يحافظوا على تراث النبوة حتى جاء اليهود بعد ألف عام ليكشفوا لنا عن هذا التراث الثمين وينتحلوه لأنفسهم ؟

هل لنثبت أن عليا رضي الله عنه تنبأ بهتلر ونابليون وصدام وسقوط برجي التجارة العالميين وأنه يعلم بكل صغيرة وكبيرة من الغيب إلى يوم القيامة ؟!!

{ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }(هود : ٣١)

لقد نهى الله تعالى عن الغلو في الدين وتجاوز الحد فيه فقال الله تعالى :

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ }(المائدة : ٧٧)

وفي صحيح البخاري عنه عليه السلام :

" لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله ورسوله " .

ولقد غالى بعض الشيعة في سيدنا عليّ فالسبئية (١) ألهوه ومن توسط فيه منهم رفعوه فوق الأنبياء فادعوا عليه أنه يعلم الغيب !!

ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي: أن رسول الله ﷺ آخى بينه- أي علي رضي الله عنه - وبين نفسه، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها، وركة بعض متونها فإن في بعضها: (أنت أخي، ووارثي، وخليفتي، وخير من أمر بعدي).

وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين وغيرهما والله أعلم." (٢)

الأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوح بذكر الصديق، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جداً إليه .

وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء ، من أنه أوصى إلى عليّ بالخلافة ، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمد.

وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعلي في الآداب والأخلاق في المأكل والمشرب والملبس، مثل ما يقولون: يا علي لا تعتم وأنت قاعد ، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم ، يا علي لا تمسك عضادتي الباب ، ولا تجلس على أسكفة الباب ، ولا تخيط ثوبك وهو عليك ، ونحو

---

(١) نسبة لعبد الله بن سبأ المشهور بابن السوداء ، وهو يهودي ابن زنجية مولود في بلاد اليمن ومذهبه الذي اشتهر به هو مذهب الرجعية الذي يجمع فيه بين قول اليهود بظهور المنقذ من أبناء داود ، وقول النصارى بظهور المسيح ، وقول أهل فارس بتقديس الأوصياء من أقرباء الملوك والأمراء " انظر كتاب " عبقرية الإمام " للعقاد ص ١٢١ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) ابن كثير " البداية والنهاية " ج ٧ / ص ٢٥١

ذلك، كل ذلك من الهذيانات فلا أصل لشيء منه، بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة، ولا يعول على ذلك ويغتر به إلا غبي عيي " (١)

سر احتفاء الشيعة بتنبؤات داموس

لم يكن غريبا أن تكثر كتابات الشيعة عن المهدي المنتظر (٢) وأن يفردوا له الكتب الطوال فالمهدي عقيدة شيعية متأصلة لديهم يستدعونها كلما اشتدت بهم الكرب ونزلت بهم الكوارث .

لكن الغريب والعجيب هو اهتمامهم الشديد بالعرّاف نوستراداموس .

لكن عندما تدبرت الأمر مليا وضح لي الأمر جليا وهو أن ما قيل – كذبا – عن داموس ونبوءاته التي تحققت كما تنبأ بها وأن ما لم يتحقق منها سيتحقق حتما حتى يوم القيامة ، يتشابه تماما مع ما يدعيه غلاة الشيعة – كذبا – من أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه قد أُعطِي علم الغيب وأنه أخبر بكل ما سيكون حتى يوم القيامة .

" أن شيعة عليّ رضي الله عنه رووا له من المعجزات والعلم بالغيبيات الشيء الكثير وقالوا إنه كان يعلم كل شيء سيكون ووضعوا على لسانه ما جاء في نهج البلاغة " سلوني قبل أن تفقدوني فو الذي نفسي بيده لا تسألونني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهْدِي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها ، وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحطّ رحالها ومن يقتل من أهلها قتلا ، ومن منهم يموت موتا " ورووا له أنه أخبر بقتل الحسين ، وأخبر بكربلاء وأخبر بالحجاج ، وأخبر بالخوارج ومصيرهم ، وبني أمية وملكهم ، وأخبر ببني بويه وأيام دولتهم ، وأخبر عبد الله بن عباس بانتقال الأمر إلى أولاده ..

هذه الأخبار وغيرها انتشرت بين الشيعة حتى ليكادون يذكرون أنه أخبر بما كان وما سيكون إلى يوم الدين كل هذا إذا أنت ضممته إلى أن أكثر شيعة علي كانوا في

---

(١) " البداية والنهاية " لبن كثير ج٨/ ٢٥٦

(٢) سبق الحديث عن المهدي المنتظر والأحاديث الواردة فيه وحقيقته بعيدا عن مزايدات غلاة الشيعة .

العراق وكانوا من عناصر متنوعة ، والعراق من قديم منبع الديانات المختلفة والمذاهب الغريبة وقد سادت فيهم من قبل تعاليم ماني ومزدك وابن ديصان ومنهم نصارى ويهود سمعوا المذاهب المختلفة في حلول الله في بعض الناس كل هذه الأمور جعلت منهم من يؤله عليا فأما العرب فكانوا أبعد الناس عن المقالات والمذاهب الدينية حياتهم البسيطة وعقليتهم على الفطرة تأبى عليهم أن يلصقوا بمحمد ﷺ ألوهية وهو يكرر دائما ما جاء في القرآن { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد } " (١)

كما أن من عادة غلاة الشيعة القديمة والمتجددة نسبة كل علم إلى علي رضي الله عنه فنسبوا إليه علم النحو وعلم التفسير وعلم الفقه كما نسبوا إليه علم الفلك والنجوم ...

" إسناد كل فضل وكل علم إلى علي بن أبي طالب إما مباشرة وإما بواسطة ذريته .. فأبو حنيفة أخذ العلم عن جعفر الصادق .. وينسب فقه الشافعي إلى الإمام علي ، وكذلك مالك ، بل فقه عمر بن الخطاب يرجع إلى عليّ لأنه يرجع إليه في كل مسألة من المسائل ، وتفسير القرآن أخذ أكثره عن ابن عباس وهو أخذه عن عليّ .. وأبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو أخذه عن عليّ بن أبي طالب .. وعلى الجملة فليس هناك علم إلا وأصله عليّ بن أبي طالب كأن العقول كلها قد أجدبت وأصيبت بالعقم إلا عليّ وذريته وعلى رضي الله عنه من ذلك براء" (٢)

ويقول الأستاذ العقاد عن انتحال غلاة الشيعة كل العلوم لعليّ رضي الله عنه .

" فقلَّ أن سمعنا بعلم من العلوم الإسلامية أو العلوم القديمة لم ينسب إليه – أي لعليّ رضي الله عنه – ، وقلَّ أن تحدَّث الناس بفضل لم ينحلوه إياه ، وقلَّ أن توجه الثناء بالعلم إلى أحد من الأوائل إلا كانت له مساهمة فيه ..

نحلوه ديوانا من الشعر فيه عشرات من القصائد ، وليس بينها إلا عشرات من الأبيات تصح نسبتها إليه ..

---

(١) أحمد أمين " فجر الإسلام " ص٤٢٦ : ٤٢٨ بتصرف الهيئة العامة للكتاب .
(٢) نفسه ص٤٣٧

ونحلوه علما سموه " الجفر " وزعموا أنه علم النجوم و الأزياج (١) الذي يكشف عن حوادث الغيب إلى آخر الزمان .. " (٢)

وينفي الأستاذ العقاد نفيا قاطعا اشتغال عليّ رضي الله عنه بعلم النجوم واستطلاع الغيب بأمثال هذه العلوم :

" فمثل عليّ في تقواه وفضله لا يشتغل بعلم مزعوم هو السحر القديم بعينه ، وليس هو مما يليق بورعه ولا ذكائه . وقد نهى وشدد في النهي عن تعلم النجوم واستطلاع الغيب بأمثال هذه العلوم ، ومن المحقق الذي لا خلجة فيه من الشك عندنا أن النبوءات التي جاءت بنهج البلاغة عن الحجاج بن يوسف وفتنة الزنج وغارات التتار وإليها ، هي من مدخول الكلام عليه ، ومما أضافه النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل " (٣)

وعليّ رضي الله عنه يكفّر من يشتغل بالتنجيم واستطلاع الغيب عن طريق النجوم ، فقد حذر بعض من كانوا ينظرون في النجوم على طريقة الفرس والروم عليا رضي الله عنه " أن يسير إلى حرب الخوارج في طالع كوكب من الكواكب المنحوسة ، فقال له عليّ : " أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي مَن سار فيها صُرِفَ عنه السوء ؟ .. فمن صدق بهذا فقد كذّب القرآن ، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه " .

ثم أقبل على الناس بالنصح والموعظة ، قائلا : " إياكم وتعلم النجوم ، إلا ما يهتدي به في بر أو بحر فإنها تدعوا إلى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار " (٤)

ومع ذلك يحاول بعض الكتاب المعاصرين نسبة ما جاء في نبوءات داموس على ما فيها من دجل وكهانة ، واستطلاع الغيب عن طريق التنجيم إلى الميراث المحمدي الذي وَرِثَه عليّ عن النبي ، وورَّثه علي أولاده وشيعته !

---

(١) الزيج : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يُعرَف منها سير النجوم ، ويُستخرَج بواسطتها التقويم سنة سنة " المعجم الوسيط .

(٢) " عبقرية الإمام " عباس محمود العقاد ص ١١٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٣) نفسه ص ١١٧.

(٤) نفسه ص ١٢٢ .

ولا يسوق الكاتب على هذا الكلام الشاذ أي دليل منقول عن عليّ رضي الله عنه ، ولا عن داموس أو من ترجم له أو من درس نبوءاته ولا يسوق حتى دليلا معقولا ، ولا أدري ما الذي دعاه إلى تأكيد مقولة غلاة الشيعة وهي أن عليًا أصل كل علم ولا نستبعد أن ينسوا إلى عليّ رضي الله عنه مخترعات أحمد زويل ويدعوا أن زويل وجد مخطوطات في إحدى المقابر القديمة في محافظته دمنهور ، أو سرق مخطوطات كانت محفوظة في إحدى مكتبات انجلترا وفر بها إلى أمريكا واستطاع أن يفك ما فيها من طلسم !!!

كما نسي غلاة الشيعة أمرا مهما لو تذكره ما سكتوا عن بيانه أن هناك تشابها بيّنا بين تنبؤات داموس وكتابات غلاة الشيعة ألا وهو اللجوء إلى التلغيز والترميز والغموض .

" الشيعة هم أقدر الفرق الإسلامية على العمل في الخفاء وكتمان عملهم حتى يتمكنوا من عدوهم وهذه السرية استلزمت الخداع والالتجاء إلى الرموز والتأويل ونحو ذلك " (١)

لكن إن فاتهم هذا الأمر لم يفتهم وضع الأحاديث وتلفيق الروايات لكن ليس على النبي وآله في هذه المرة إنما على داموس فالقارئ لكتبهم أو المطلع على مواقعهم على الإنترنت يجد تأكيدا شديدا من غلاة الشيعة على نسبة ما جاء في كتاب داموس لعليّ رضي الله عنه .

" وضع الشيعة أحاديث كثيرة في فضائل عليّ وفي المهدي المنتظر وعلى الجملة فيما يؤيد مذهبهم وربما فاقوا في ذلك الأمويين فاشتغل بعض علمائهم بعلم الحديث وسمعوا الثقات وحفظوا الأسانيد الصحيحة ثم وضعوا بهذه الأسانيد أحاديث تتفق ومذهبهم وأضلوا بهذه الأحاديث كثيرا من العلماء لانخداعهم بالإسناد بل كان منهم من يسمى بالسدى ومنهم من سمي بابن قتيبة فكانوا يروون عن السدى وابن قتيبة فيظن أهل السنة أنهما المحدثان الشهيران مع أن كلا من السدى وابن قتيبة الذي

---

(١) أحمد أمين" فجر الإسلام " ص ٤٣٥ مرجع سابق .

ينقل عنه الشيعة إنما هو رافضي غال وقد ميزوا بينهما بالسدى الكبير والسدى الصغير والأول ثقة والثاني شيعي وضّاع وكذلك ابن قتيبة الشيعي غير عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

بل ووضعوا كتبا وحشوها بتعاليمهم ونسبوها لأئمة أهل السنة ككتاب " سر العارفين " الذي نسبوه للغزالي ومن هذا ما نراه مبثوثا في الكتب " (١)

والسؤال لما يفعل غلاة الشيعة هذا ؟

لماذا كل هذا الغلو في الدين وقد نهانا الله تعالى رسوله ﷺ عنه ؟

ويجيبنا العلامة الإسلامي الكبير أحمد أمين قائلا :

" والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهود ونصرانية وزردشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواءهم " (٢)

ويكفي أن غلاتهم ألهو عليا ونسبوا إليه صفات اختص الله تعالى بها نفسه " ولم يكتف غلاة الشيعة .. ولم يقنعوا بأنه – أي عليّ رضي الله عنه – أفضل الخلق بعد النبي ، وأنه معصوم بل ألّهوه فمنهم من قال " حلّ في عليّ جزء إلهي واتحد بجسده فيه وبه كان يعلم الغيب إذ أخبر عن ملاحم وصح الخبر ..قالوا يظهر لي في بعض الأزمان .. والرعد صوته والبرق تبسمه ... وقد ذكروا أن أول من دعا إلى تأليه عليّ عبد الله ابن سبأ وكان ذلك في حياة علي والذي يأخذ من تاريخه أنه وضع تعاليم لهدم الإسلام .. والنظر إلى هذا يعجب أشد العجب للسبب الذي دعا إلى

---

(١) نفسه ص ٤٣٧

(٢) نفسه ص ٤٣٧

الاعتقاد بألوهية علي معَ أن أحدا لم يقل بألوهية محمد ﷺ وعليّ نفسه يصرح بالإسلام وتبعيته لمحمد ﷺ " (١)

حكم الإسلام في الكهانة والتنجيم

لقد نهى الإسلام عن الذهاب للكاهن والمنجم ، ، وحرَّم على الكهان والمنجمين ما يعطون من الأجر على أعمالهم ، ولقد صرح النبي بكفر من صدق بقول الكاهن أو المنجم .

يقول النبي ﷺ : "من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ " (رواه البزار بسند صحيح)

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال : " قلت يا رسول اللّه إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء اللّه بالإسلام فإن منا رجالاً يأتون الكهان قال: فلا تأتهم قال: ومنا رجال يطيرون قال: ذلك بشيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنكم "

(رواه مسلم وأحمد و أبو داود)

قال الإمام النووي رحمه الله : " قال العلماء: إنما نهى عن إتيان الكهان لأنهم يتكلمون في مغيبات.قد يصادف بعضها الإصابة فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك لأنهم يلبسون على الناس كثيراً من أمر الشرائع .

وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم فيما يقولون، وتحريم ما يعطون من الحلوان وهو حرام بإجماع المسلمين.

وقد نقل الإجماع في تحريمه جماعة منهم أبو محمد البغوي رحمهم الله تعالى. قال البغوي: اتفق أهل العلم على تحريم حلوان الكاهن وهو ما أخذه المتكهن على كهانته، لأن فعل الكهانة باطل لا يجوز أخذ الأجرة عليه. وقال الماوردي رحمه الله

---

(١) نفسه ص ٤٢٧

تعالى في الأحكام السلطانية: ويمنع المحتسب الناس من التكسب بالكهانة واللهو، ويؤدب عليه الآخذ والمعطي. وقال الخطابي رحمه الله تعالى: حلوان الكاهن ما يأخذه المتكهن على كهانته وهو محرم وفعله باطل. قال: وحلوان العراف حرام أيضاً. قال: والفرق بين العراف والكاهن أن الكاهن إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل ويدعي معرفة الأسرار، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

وقال الخطابي أيضاً في حديث من أتى كاهناً فصدقه بما يقول: فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ قال: كان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيراً من الأمور فمنهم من يزعم أن له رؤيا من الجن يلقي إليه الأخبار. ومنهم من يدعي استدراك ذلك بفهم أعطيه.ومنهم من يسمي عرافاً وهو الذي يزعم معرفة الأمور بمقدمات أسباب استدل بها كمعرفة من سرق الشيء الفلاني، ومعرفة من يتهم به المرأة ونحو ذلك. ومنهم من يسمي المنجم كاهناً قال: والحديث يشتمل على النهي عن إتيان هؤلاء كلهم والرجوع إلى قولهم وتصديقهم فيما يدعونه، هذا كلام الخطابي وهو نفيس. قوله: "ومنا رجال يتطيرون قال ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم" وفي رواية: فلا يصدنكم. قال العلماء: معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة ولا عتب عليكم في ذلك فإنه غير مكتسب لكم فلا تكليف به، ولكن لا تمتنعوا بسببه من التصرف في أموركم، فهذا هو الذي تقدرون عليه وهو مكتسب لكم فيقع به التكليف فنهاهم ﷺ عن العمل بالطيرة والامتناع من تصرفاتهم بسببها، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة في النهي عن التطير. والطيرة هي محمولة على العمل بها لا على ما يوجد في النفس من غير عمل على مقتضاء عندهم،" (١)

" لقد جاء النبي ﷺ فوجد في المجتمع طائفة من الدجالين تعرف باسم (الكهان) أو (العرافين) الذين يدعون معرفة الغيوب الماضية أو المستقبلية، عن طريق اتصالهم

---

(١) الإمام النووي " صحيح مسلم بشرح النووي " ج٢ ص ٢٩٨ .

بالجن أو غير ذلك، فأعلن الرسول ﷺ الحرب على هذا الدجال الذي لا يقوم على علم ولا هدى ولا كتاب منير.

وتلا عليهم ما أوحى الله به: {قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله} (النمل:٦٥) فلا الملائكة ولا الجن، ولا البشر يعلمون الغيب .

وأعلن عليه السلام بأمر ربه : { ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون } (سورة الأعراف:١٨٨)

وأخبر تعالى عن جن سليمان: { أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين } (سورة سبأ:١٤)

فمن ادعى معرفة الغيب الحقيقي، فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس. وقد جاء بعض الوفود إلى النبي ﷺ فظنوا أنه ممن يزعمون الاطلاع على الغيب، فخبؤوا له شيئا في أيديهم، وقالوا له: أخبرنا ما هو؟ فقال لهم في صراحة: "إني لست بكاهن، وإن الكاهن والكهانة والكهان في النار".

ولم تقتصر حملة الإسلام على الكهان والدجالين وحدهم، بل أشرك معهم في الإثم من يجيئونهم ويسألونهم ويصدقونهم في أوهامهم وتضليلهم. قال عليه الصلاة والسلام: "من أتى عرافا فسأله عن شيء، فصدقه بما قال، لم تقبل له صلاة أربعين يوما ".

وقال : " من أتى كاهنا فصدقه بما قال، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ". ذلك أن ما أنزل على محمد ﷺ أن الغيب لله وحده، وأن محمدا لا يعلم الغيب، ولا غيره من باب أولى: { قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب، ولا أقول لكم إني ملك، إن اتبع إلا ما يوحى إلي } (سورة الأنعام:٥٠)

فإذا عرف المسلم هذا من قرآنه صريحا واضحا، ثم صدق أن بعض الخلق يكشفون أستار القدر، ويعلمون ما يكنه صدر الغيب من أسرار، فقد كفر بما أنزل الله على رسوله ﷺ " (١)

---

(١) د. يوسف القرضاوي " الحلال والحرام في الإسلام " مكتبة وهبة الفصل الأول "حرب على الأوهام والخرافات ".

حكم العرافة في الكتاب المقدس

" ومتى دخلتم إلى الأرض التي يرثكم إياها الرب إلهكم ، فلا تتعلمــوا ممارســة رجاسات تلك الأمم المقيمة هناك ولا يكن بينكم من يجيز ابنه ولا ابنته في النار ولا يتعاطى العرافة ولا العيافة ولا ممارسة الفأل والسحر ولا من يرقي رقية أو يشاور جانًا أو وسيطا أو يستحضر أرواح الموتى ليسألهم لأن كل من يتعاطى ذلك مكروه لدى الرب فبسبب هذه الأرجاس عزم الرب إلهكم على طرد هذه الأمم من أمامكم " (التثنية : ١٨)

من هم ورثة النبي : الشيعة أم علماء السنة ؟

إن علماء السنة هم ورثة النبي حقا فهم الذين حافظوا على السنة المطهرة التــي صحت عن النبي : قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة خَلْقِية أو أخلاقية ، فقد نفوا عنها الدخيل عليها ، واجتهدوا في فهمها وبيانها ، كما اجتهدوا في العمل بها وتعليمها .

ولقد صرح النبي بورثة الأنبياء الحقيقيين فقال ﷺ :

" إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثــوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ)

وخلاصة الأمر أن بعض الشيعة قد غلوا في دينهم وتقولوا على عليّ رضــي الله عنه ، وعلى بنيه الأقاويل وهم منها براء كما بينا والعجيب إن إثارة بعض الشيعة موضوع المهدي الآن وقولهم أنه قد حان زمانه وأنه ســيهزم أمريكــا وحلفاءهــا واليهود ومن والأهم قد جعل أمريكا تسعى لتدمير إيران – معقل الــشيعة – عــن طريق صدام أولا (في حربه ضد إيران)، وثانيا عن طريق نفس الــسلاح الــذي اصطادت به صدام وهو امتلاك إيران لأسلحة دمار شامل . إما تصديقا بالنبوءة أو رغبة في المصلحة والهيمنة .

والسؤال هنا إذا كان اليهود هم قتلة المسيح الرب– كما يعتقد المسيحيون– وإذا كان اليهود هم من يتسمون بإثارة الفتن وإشعال الحروب كما بينا ، وإذا كان كثير

من اليهود يؤمن بظهور الماشيح المخلص من نسل داود ليقيم مملكة صهيون ويقضي على كل الشعوب – بما في ذلك المسيحيين – كنت أقول إذا كان حكام الغرب المسيحي يعرفون كل هذا فلماذا يساعدون اليهود على إقامة دولة لهم في فلسطين ؟ !!

بل ويمدونهم بكل السبل لكي يبقوا دائما أقوياء ؟!

لماذا حكام الغرب اليوم يدافعون عن طغيان اليهود بل ويمدوهم في طغيانهم ؟

لماذا الإدارة الأمريكية بكل جبروتها يخضع لأوامر اليهود ولا ترفض لهم طلبا ؟

أسئلة كثيرة تدور في أذهان العرب والمسلمين ، وتختلف الإجابة عليها وتتضارب وجهات النظر حولها .

وسوف نحاول في الفصل التالي أن نجيب عن هذه التساؤلات ونبين علاقة الغرب المسيحي باليهود ، والرباط المقدس الذي يربط أمريكا باليهود .

الفصل السابع

علاقة الغرب باليهود

الأدلة العربية على خضوع السياسة الأمريكية لرغبات اليهود

من المسلمات التي لا تقبل الجدل لدى العقل العربي هي أن اليهود هم المسيطرون على العالم الغربي كله يديرونه من الباطن لتحقيق مصالحهم وما الساسة الغرب وخاصة الأمريكيين إلا عرائس "ماريونت" تحركها أيدي خفيه يهودية كيفما تشاء .

ويسوق أصحاب هذا الرأي – وهم جُل الشعوب العربية – الكثير من الأدلة التي تؤكد ذلك ومن هذه الأدلة التي تتردد كثيرا في الكتابات العربية وعلى ألسنة العامة.

- أن اليهود هم المتحكمون في الإعلام الغربي والأمريكي على وجه الخصوص.
- هيمنة اليهود على الاقتصاد مما يجعلهم يوجهون السياسة الغربية تبعا لمصالحهم .
- شغل كثير من اليهود مناصب مهمة في الحكومات الأمريكية المختلفة .
- اللوبي اليهودي الذي بإمكانه إنجاح أي مرشح لرياسة أمريكا لذا فإن كل رئيس لابد أن يخطب ودهم ويتعهد لهم بالاستمرار في الدعم الأمريكي لإسرائيل .
- أن السياسة الغربية تسير دوما في اتجاه تحقيق وحماية الأهداف اليهودية .
- العمل على منع قيام تحالفات بين أمريكا والدول العربية تضر بمصلحة إسرائيل في المنطقة .

- انتشار المدارس الدينية التي تعلم اللغة العبرية ، و تدرس الأفكار اليهودية الصهيونية في أمريكا .

- إنتاج الكثير من الأفلام السينمائية للدعوة للأفكار اليهودية الصهيونية بمبالغ ضخمة جدا .

- تمويل رحلات الباحثين والسياسيين الأمريكيين إلى إسرائيل .

- تعقب اليهود لكل من يقف في وجه مخططاتهم إما بالتصفية الجسدية ، أو بالاتهام بمعاداة السامية ، أو بالتشهير به ، أو إغرائه بالمال أو المناصب أو أية إغراءات أخرى حتى يتنازل عن القضية العادلة التي يدعو إليها .

- اعتراف اليهود أنفسهم بكل ذلك في بروتوكولاتهم .

كل هذا قد يبدو صحيحا ومقنعا أيضا فهو مشاهد بالعين ملموس في وقائع كثيرة .

لكن السؤال هنا .

أ ليس في مقدور إمبراطورية عظمى كأمريكا أن تتخلص من سيطرة اليهود – كما يزعم الخطاب العربي–على سياستها ولاسيما أن اليهود لا يمثلون إلا أقلية عددها ٢,٤ % من عدد سكانها ؟!

أ ليس في مقدور القطب الأوحد في العالم التخلص من إحراج إسرائيل لها أمام الرأي العام العالمي لدرجة أنها في كثير من الأحيان تضطر إلى الدفاع عن باطلهم وعن أخطائهم في حق العرب مثل : مذابحهم الكثيرة ، وعدم امتثالهم لقرارات مجلس الأمن أو محكمة العدل الدولية أو منظمة حقوق الإنسان وغير ذلك من المنظمات الدولية .

هل أمريكا أو الغرب المسيحي المؤمن بأن اليهود هم قتلة المسيح الرب – في اعتقادهم – هم أنفسهم الذين يساعدون اليهود ويمكنون لهم في الأرض ؟

هل أمريكا من الغباء بأن تخضع لإسرائيل مضحية بمصالحها الاستراتيجية في الوطن العربي الذي يُعَد " مصدرا هائلا للمواد الخام (الرخيصة) ومجالا خصبا

للاستثمارات الهائلة (التي تعود عليه وحده بالربح) وسوقا عظيمة لسلعه (التـي ينتجها ويصرفها فيزداد هو ثراء) ، أو قاعدة إستراتجية شديدة الخطورة و الأهمية (بالنسبة لأمنه هو) إن لم يتحكم فيها قامت قوى معادية (مثل الاتحاد الـسوفيتي في الماضي) باستخدامها ضده " [1]

إن الأمر يبدو محيرا جدا كل هذه الأسباب لا تكفي لجعل الغرب المسيحي يتنازل طواعية عن بيت المقدس لليهود وهم الذين خاضوا من أجله حروبا ضروسا ضـد المسلمين دامت نحو مائتي عام .

هل بسهولة يتنازل الغرب المسيحي لليهود قتلة المسيح قديما ومنكـروه عنـدما ينزل مرة ثانية عن هذه الأرض المقدسة بل يساعدونهم بكل ما يملكون من سـلاح وتكنولوجيا ومال ؟!

لابد أن الأمر فيه شيء خفي .

حقيقة العلاقة بين الغرب المسيحي واليهود

نعم في الأمر شيء خفي فالغرب المسيحي وعلى رأسه أمريكا ليس من الضعف ولا الغباء ولا الهرطقة لهذه الدرجة بل على العكس الغرب المسيحي وأمريكا بصفة خاصة من القوة والذكاء ما يجعلهم يوظفون اليهود لمصحتهم ليس الدنيوية فحسب لكن والدينية أيضا .

" إن المصير اليهودي ، إن كان ثمة مصير مستقل، هو نفسه المصير الأمريكي. فالمصير اليهودي خاضع تماماً للإرادة الأمريكية. وهو على كلٍّ، أمر متوقَّع بعد أن قامت المنظمة الصهيونية العالمية بتوقيع عقد صامت مع الحضارة الغربية يتحـول بمقتضاه أعضاء الجماعات اليهودية إلى جماعة وظيفية استيطانية في فلـسطين، ، تدافع عن المصالح الغربية نظير أن تضمن هذه الحـضارة أمـن وبقـاء الدولـة الصهيونية ، فالدولة الصهيونية، في واقع الأمر، إن هي إلا أداة في يد الاسـتعمار الأمريكي على وجه الخصوص، والغربي على وجه العموم، وهـذا هـو العـدو الحقيقي الذي يحاول أن يفرض منظومته على العالم فيُحوِّله إلى سـوق ومـصنع،

---

[1] عبد الوهاب المسيري " اليد الخفية " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٥٥

والدولة الصهيونية هي الوسيلة والجزء وليست الغاية والكل ... ولعل موقف بلفور (وكل الصهاينة من غير اليهود) هو خير تعبير عن هذا الموقف الذي ينم بلا شك عن تسامح مع اليهود حيث وقف إلى جوارهم حتى أعلن الوعد المعروف باسمه عام ١٩١٧. ولكن من الواضح أن تسامحه هذا نابع من رغبته في وضع اليهود في خدمة المصالح الإمبريالية البريطانية بحيث يحولهم إلى أداة لقمع العرب واغتصاب أرضهم. ومن ثم، نجد أن بلفور المتسامح هو نفسه الذي حاول أن يوقف هجرة يهود اليديشية إلى إنجلترا، واستصدر من القوانين ما يكفل ذلك حينما كان رئيساً للوزراء. فكأن تسامحه مع المشروع الاستيطاني الصهيوني تعبير عن رغبته الصادقة في التخلص منهم وتوظيفهم. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن نابليون بونابرت وغيره من الزعماء الغربيين ممن أبدوا تسامحاً كبيراً تجاه اليهود." (١)

إذن اليهود ليسوا هم الأقوى والأذكى كما يظن البعض بل هم يمثلون دور الخادم المخلص لأسيادهم من الصليبيين الجدد أو لنكن صرحاء فإن قادة المنظمات اليهودية ، وكبار ساسة إسرائيل استطاعوا أن يمارسوا اللعبة السياسية بمهارة مع ساسة الغرب في حين فشل حكام العرب الأشاوس في مجاراتهم في هذه اللعبة فراحوا يقذفون أبطال اللعبة بالطوب والنتيجة معروفة .

هذا عن دور اليهود في تحقيق المصلحة الغربية الدنيوية ، فماذا عن المصلحة الغربية الدينية ؟

إن كثيرا من الكتاب العرب والمسلمين وبعض الكتاب الغربيين يؤكدون أن العلاقة بين الغرب المسيحي واليهود قائمة على معتقدات دينية في المقام الأول وأرجعوا ذلك لعدة أسباب منها :

١- أن النصارى يؤمنون بالتوراة و بالإنجيل و يجمعون الاثنين تحت عنوان (الكتاب المقدس) وهذا الربط أدى في كثير من محافل الكنائس الأمريكية إلى القول : إن اليهود هم أصل المسيحيين روحاً وديناً فيجب الدفاع عن هذا الرباط المقدس .

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٣ مرجع سابق .

٢- أصبحت الكنيسة نفسها تُسمَّى بعد إيمانها بالتوراة «إسرائيل الحقيقية» وأصبحت العودة إلى صهيون والقدس (بالمعنى الروحي) إحدى الركائز الأساسية للتفكير الأخروي المسيحي. وهناك بعض المفاهيم المشتركة بين اليهودية والمسيحية مثل : " ابن الإله " و " الاختيار" وأن أصول المسيحية يهودية، فالسيدة مريم العذراء عاشت وماتت يهودية، والسيد المسيح نفسه والحواريون كانوا في بداية الأمر يهوداً يدورون في إطار الثقافة الآرامية السائدة . وقد بدأت المسيحية باعتبارها دعوة موجهة إلى اليهود أساساً، ثم إلى كل الناس بعد ذلك، والمسيحية لم تَجُبَّ اليهودية وإنما أكملتها (على حد قول السيد المسيح) (١)

٣- أن رؤساء أمريكا في إجمالهم يؤمنون بالوعود الإلهية لبني إسرائيل (٢)

٤- أن المذهب الديني لمعظم الأمريكان والإنجليز هو المسيحية البروتستانتية

اختلاف المذاهب المسيحية حول اليهود

وهنا يجدر بنا أن نفرق بين مذهبين مسيحيين مشهورين في الغرب هما الكاثوليك ، والبروتستانت وهما مختلفان كل الاختلاف فيما يتعلق بموقفهما من اليهود .

أولا : موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود

كان الموقِف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية، خِلال قريبٍ مِن ألفي عام، تِجاه اليهود، يقوم على ثلاثِ نظرياتٍ، حتى مجمع الفاتيكان الثاني، وقوانين: ١٩٦٤ وهذِهِ النظرياتُ هِي :

١ــ إن اليهود بِقَتْلِهِم يَسُوع، قد قتلوا الرب، فهم الشعب " قاتل الإله ".

٢ــ والشعب المختار مِن الرب هو منذئذٍ الكنيسة .

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٥ / ج ٣ / الباب الثالث " مدخل : تنصير اليهودية " مرجع سابق .

(٢) (قال الرئيس كاتر : لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين ، وجسدوا هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة ؛ لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه . لقد شكل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة) د . يوسف الحسن " البعد الديني في السياسة الأمريكية "

٣ــ والعهد القديم تجسيد رمزي مسبق للعهد الجديد .

لقد أدَّى التفسير التقليدي ــ إذن ــ إلى تصور أن اليهود حين رفضوا الاعتراف بيسوع رسولا للرب ، فلم يهتدوا، قد قطعوا أنفسهم من الأمة الإبراهيمية، وصاروا بصرف النظر عن كونهم الشعب المختار، محكوما عليهم باللعنة، جرَّاء آثامهم، لقد عاقبهم الله من قبل بأن طردهم من فلسطين، ودفعهم سبايا إلى بابل، ومع ذلك فقد تمَّ الوعد الذي أعطاه الرب لإبراهيم، رغم خطاياهم، فبعد أن عُوقبوا بالسبي في القرن السابع قبل الميلاد أعادهم "قورش" إلى فلسطين، وعندما عَصَوا مرة أخرى وكان عصيانهم كبيرًا برفضهم الاعتراف بيسوع، مسيحًا مكملاً للوعد ــ عاقبهم الرب بصورة أقسى، أيضًا، فقد قَطَّعَهُم في الأرض أُممًا، وفَرّقَهُم في كل أنحاء الدنيا، فلم يَعُد يجد السلام من بينهم ــ منذئذ ــ إلا بعض أفراد، يتحوَّلون إلى المسيحية.

وما لبثت أهمية أورشليم ذاتها أن تناقصت في نظر الكنيسة، ولا سيما بعد عام: ٥٩٠ م، ففي عهد البابا جريجوار الأكبر، والذي كان جالسا على كرسي البابوية، مركز السلطة المسيحية ــ منح الأولوية نهائيًا لروما، وبذلك لم يَعُد لأورشليم دَوْر في القيادة الروحية، لم تَعُد سوي مكانٍ للحج، ولم تَسْتَعِدْ قيمتها، باعتبارها مركزًا للاهتمام إلا عندما إستولى عليها الأتراك السلاجقة، وحينئذ وُلدتْ فكرة الحروب الصليبية.

تلكمُ هي النظرية الرسمية للكنيسة الكاثوليكية، خلال ألفي عام، وكان لها نتيجتان عامتان:

١- أنها أدَّت إلى تولد مبدأ معاداة السامية ، وهو مبدأ مسيحي من الناحية النوعية، فقد اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية، حتى منتصف القرن العشرين، أن "اليهود" كانوا هم "الشعب القاتل"، قاتل الرب في يسوع المسيح، وهي فكرة بشعة، تجعل شعبا بأكمله، ولعدة قرون، مسئول عن جريمةٍ ارتكبتها منذ ألفي عام هيئته الكهنوتية.

٢- ومن الناحية العقدية والتفسيرية ــ كانت النظرية الرسمية ــ ولا سيما منذ "مدينة الرب " للقديس أوغسطين أن تكون قراءة العهد القديم بطريقةٍ رمزية تُرى

فِي المشاهد التِي قدمها باعتبارها أحداثا تاريخية، كما تُرى فِي نبواته ــ تَصَوُّرًا رمزيًّا مُسَبَّقًا لِلمسيحيةِ .

أما فِيما يتعلق بِالحالةِ الخاصة للكنيسة المسيحية وعِلاقتها بالتاريخ اليهودي السابِق عليها فإنها قد فسرت "عودة صهيون" بِأنها مِن الناحية الرمزية تشبه عودة المسيحِي إِلى نقاء إيمانه.

وهكذا مطَّطوا فِي الحركة، التِي كانت فِي الأناجيل، ولا سيما إنجيل متَّى ــ تهدف إلى تِبْيَان أن فِي حياة المسيح إنجازًا لتنبؤات العهد القديم.

يقول المؤرخون الأكاديميون اليهود: " تعتبر الديانة المسيحية نفسها الوريث الطبيعي للديانة اليهودية، ويولع المسيحيون باعتبار أنفسهم "إسرائيل الحقيقية مفترضين بذلك أن اليهود ليسوا أهلا للاسم. وبسبب اعتبار المسيحية نفسها ناسخة لليهودية فإن النظرة المسيحية الذاتية نفسها تتطلب أن يهان اليهود والديانة اليهودية ويصغروا علانية. وأصبح إذاً في غاية الأهمية لليهود الذين يعيشون بين المسيحيين أن يعيشوا في وضع منحط ومهين . (١)

تاريخ معاداة الغرب المسيحي لليهود

لقد ظهرت نزعة معاداة السامية، المسيحية أصلا ــ مصحوبة بِانفجار شرسٍ جدا، أثناء الحروب الصليبية، وكانت أول المذابح الكبرى التِي أقيمت لليهود على يدِ المحاربين المسيحيين، وهم فِي طرِيقهم إِلى فلسطين، بل إِن جودفروي دوبريون، بِمجرد استيلائه على بيت المقدس لم يقنع هو وجيشه بإبادة المسلِمين أو طردهم، فقد حبسوا الأمة اليهودية فِي المعابد، ثم أهلكوها إِحْرَاقًا.

وفِي أوربا كان الملوك الصليبيون هم الذين طردوا اليهود: إدوارد الأول فِي إنجلترا، وقد طردهم عام: ١٢٩٠م، وفيليب دي بل، ملك فرنسا، طردهم عام: ١٣٠٦م، وقد مضى ملوك إسبانيا إِلى هذينِ الحدَّينِ من التطرف فِي أوربا "المسيحية"، فقد طرد اليهود أو ذبحوا بيد الملوك "الكويوليك جدًّا"، وذلِك إِبَّان نجاحهم فِي هدم آخر الممالِك الإِسلامية عام: ١٤٩٢م، مملكة غرناطة.

---

(١) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥٥ .

أما روسيا المقدسة فقد كانت مسرحًا لمذابح كبرى لليهود . (١)

موقف المسيحيين البروتستانت من اليهود

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، قلب المسيحية رأساً على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التي جاء بها والتي روجت لفكرة أن اليهود أمة مُفَضَّلَة وأكدت على ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد .

وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه التغيرات اللاهوتية، هو ما دعا إليه لوثر من عدم الاعتراف بأن فهم الكتاب المقدس وقفا على رجال الكنيسة وحدهم . وهذا الوضع أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل، مما أدى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من ٢٠٠ فرقة في مذهب لم يتعد وجوده أكثر من أربعة قرون !

كما أنه في ظل هذا المذهب أزداد الاهتمام بالعهد القديم (التوراة) تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر العقيدة النقية، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر والتي تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية .

وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءاً مهماً من مصادر العقيدة البروتستانتية، فأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات التاريخية أيضاً واحتلت فكرة عودة المسيح إلى الأرض، مكاناً رئيسياً في الفكر المسيحي البروتستانتي .

وتقوم هذه الفكرة على أساس الاعتقاد بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض ثانية (قبل بداية الألفية الثالثة للميلاد) ليقيم مملكة الله على الأرض والتي ستدوم ألف عام (العصر الألفي السعيد) حيث سيحكم العالم من مقره في مدينة القدس .

---

(١) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .مرجع سابق .

ويعتقد المسيحيون البروتستانت أنه لابد من حدوث بعض الأمور كمقدمة لهذه العودة وهى :

١- إقامة دولة إسرائيل بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات وعودة اليهود إليها .

٢- إقامة الهيكل اليهودي .

٣- وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر تسمى(هرمجدون) " (١)

إذن كل من الكاثوليك والبروتستانت يرون أن الكنيسة هي التي ورثت الوعود من اليهود مع فارق رئيسي بينهما ، ففي حين أن الكاثوليك يناصبون اليهود العداء جهارا ، ويرمونهم بالكفر صراحة ، ويتمنون فناءهم يقيناً، نجد أن البروتستانت لا يفعلون ذلك بل يرون أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير وهم في ذلك يتفقون مع الصهيونية التي ترى " أن الأسطورة الاسترجاعية هي أسطورة صهيونية ومعادية لليهود في آن واحد. فهي ترى أن الخلاص لا يتم إلا بتحقيق عودة اليهود إلى وطنهم وتنصيرهم، أي التخلص منهم عن طريق التهجير والتنصير .

ومعنى هذا أن البروتستانت – وهي عقيدة معظم الأمريكان والإنجليز – ترى أن المسيح المخلص لن يأتي إلا بعد أن يتمكن اليهود من العودة إلى فلسطين ثم ينزل المسيح بن مريم – وليس ابن داود – لينصُر اليهود ويحقق للمسيحيين الخلاص و يبيد أعداءهم من غير المسيحيين وهذا ما يحدث في معركة هرمجدون .

أن ممثلي الطوائف البروتستانتية الأمريكية والغربية تطرح نفس المقولات التي يرددها حاخامات اليهود حول القدس، بل إنها تغالي في أصوليتها المتزمتة وعدائها العنصري للعرب والمسلمين.

وهي التي تدفع باتجاه هدم الأقصى والإسراع ببناء ما يسمى الهيكل حتى يأتي المسيح الجديد.

---

(١) الصليبيون الجدد www.alshaab.com

وهذه الطوائف لها الصدارة في الشئون السياسية والإعلامية في الولايات المتحدة وهي تمثل أكثر من مائة مليون بروتستانتي أمريكي من بينهم رؤساء للولايات المتحدة وزعامات الحزبين الجمهوري والديموقراطي." (١)

المذهب البروتستانتي قراءة مغلوطة للإنجيل

كيف يستطيع مسيحي أن يؤيد النظرية "المادية" التي تقرر أن الوعد وعد بأرض لشعب معين، على حين أن الإنجيل ما فتئ يردد أن الوعد قد تم في يسوع ــ المسيح، ومن أجل الإنسانية كلها .

ومهما يكن أمر الاتصال أو الانفصال بين العهد القديم والجديد، فإن ما يبقى هو أن "الوعد" بالنسبة إلى أي مسيحي يتم في يسوع المسيح، ولا يمكن أن يكون وعدًا بأرض.

ويسوع يُبَشِّر " بملكوت الرب "، ولكن هذهِ البشارة ليست مُقَيَّدَة بالنسبة إليهِ بمُجَرَّدِ إسترداد قومي لأرضٍ.

ويسوع لا يعترف بأي حق إلهي للإمبراطور الروماني، ولا لهيرودس، وهو يرفض في ثلاثة مواضع من الأناجيل رفضًا قاطعًا أن يربط رسالته بتملك أرض أو سلطة، وعندما أراد الشيطان من أعلى جبل أن يُريه ممالك العالم، وأن يُقدمها إليهِ قال له يسوع: "اذهب يا شيطان". "متى ٤/١٠".

إنه يرفض أن يدعى "المسيح"؛ لأن التقليد اليهودي يجعل لهذا الاسم مفهوما سياسيا، فهو يضرب ــ إذن ــ صفحا عن أولئك الذين أعطوه هذا اللقب، يضرب صفحًا ــ مثلاً ــ عن بطرس حين يقول له: أنت المسيح. "مرقص ٨/٣٠" وحين يسأله رئيس الكهنة قيافا: "هل أنت المسيح إبن الله ؟ "، "متى ٢٦/٦٤ ، ولوقا ٢٢/٦٨".

وعندما يسأله بيلاطس: أنت ملك اليهود ؟ يتجنب يسوع هذا الشرك، وبدلا من أن يجيب بنعم أو لا ــ يقول: مملكتي ليست من هذا العالم" ــ "يوحنا ١٨/٣٣ــ ٣٦".

---

(١) حسن الباش www.qudsway.com .

إن مسيحيته تمضي على النقيض من مسيحية اليهود التقليدية ، أولئك الذين كانوا ينتظرون مسيحًا يبعث مملكة داود. (١)

وموجز القول أن من المستحيل بالنسبة إلى أي مسيحي أن يقدم مغزًى لاهوتيًا لدولة إسرائيل، فإن احترام الإيمان اليهودي لا يستتبع مطلقا الاندماج بين اليهودية والصهيونية، الذي يؤدي إلى إضفاء صفة القداسة على الأهداف التاريخية لحركة سياسية.

هذه القراءة الانتقائية والقبلية للكتاب المقدس ليست أكثر قبولاً بالنسبة إلى اليهودي الروحاني منها بالنسبة إلى النصراني الكاثوليكي والأرثوذكسي ؛ لأنها تستتبع بالنسبة إلى اليهود أنفسهم نوعا من الردة: هو أن يستبدلوا "دولة إسرائيل بإله إسرائيل".

أما بالنسبة لليهودي الصهيوني فإنه يتمسك بأساطير الشعب المختار والأرض الموعودة والخلاص ويكفر بما عداها من روحانيات الدين المُوسوي وفي مقدمتها إله إسرائيل الذي منحهم هذه العهود !! (٢)

مخطط الصليبيين الجدد

مخطط الصليبيين الجدد يرمي إلى استخدام اليهود والبروتستانت معـا لتحقيـق المخطط الاستعماري الداعي إلى :

أولا : الهيمنة الاقتصادية :

١-بالسيطرة على موارد العرب الطبيعية وخاصة البترول الذي يعد أمرا حيويـا لمنظومة الصناعة في الغرب .

٢-السيطرة على الأسواق العربية التي تعد أهم الأسواق لتسويق السلع الغربيـة (من الإبرة للصاروخ) .

---

(١) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " للباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية . مرجع سابق .
(٢) نفسه .

٣- استثمار رأس المال الغربي في البلاد العربية التي تعد أصلح المناطق لاستثمار هذه الأموال نظرا لتوفر العمالة الماهرة الرخيصة ، والموارد الطبيعية ، والقرب من منافذ تسويق السلع المنتجَة .

ثانيا : الهيمنة العسكرية :

١- بالسعيْ الحثيث على تمزيق البلاد العربية وعدم استقرار الأمن فيها :

- بإشعال الحروب في المنطقة وإزكاء الصراع العربي الإسرائيلي .

- عن طريق مطامع بعض الزعماء العرب في الهيمنة على المنطقة عن طريق القوة لا عن طريق وحدة الأكفاء المتماثلين كما حدث مع جمال عبد الناصر ، وصدام حسين .

- ضعف بعض الحكام العرب الطامعين في البقاء في الحكم مؤثرين اللجوء إلى أمريكا لحراسة عروشهم بدلا من التحصن بالعدل أساسا للبقاء في الحكم فاستغلتهم أمريكا في العمل على تنفيذ مخططاتها في المنطقة .

وأخيرا قررت أمريكا إدارة المخطط بنفسها بدلا من عملائها من العرب أو الإسرائيليين فغزت العراق :

- للسيطرة على أكبر منطقة عندها احتياطي من المواد الخام خاصة البترول الذي أدركت أمريكا قيمته عندما استخدمه العرب كسلاح مؤثر أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ولم تفلح كل المحاولات لإيجاد بديل عن البترول لذا قررت أمريكا أن تحتاط حتى لا يحدث هذا ثانية فعملت على الهيمنة على البلاد العربية خاصة التي تملك أكبر احتياطي للبترول (السعودية ، والعراق ، والكويت ، وقطر ، وليبيا ..) .

- السيطرة على الأسواق العربية من دون الغرب .

- تقليص دور إسرائيل أو أي قوى أخرى في المنطقة .

ولكي تحقق هذا المخطط عملت على استغلال بعض حكام العرب الحمقى المرضى بجنون العظمة في تحقيق أهدافها فأغرت صدام باحتلال الكويت وإحداث شرخ عربي غير قابل للالتئام ، ثم اتخذت من غزو صدام للكويت ذريعة للسيطرة

على المنطقة كلها خاصة بعد أن ارتمت دول الخليج في أحضانها وتوسلت إليها بكل عزيز لديها (البترول) أن تحميهم من صدام ، وأخيرا – وبعد أن أصبحت القطب الأوحد– لم تعد أمريكا في حاجة لذريعة حقيقية واكتفت بذريعة وهمية (امتلاك العراق لأسلحة تدمير شمال) (١)لتحتل العراق بعد أن سيطرت على السعودية والكويت وقطر ، ودول الخليج قاطبة .

وقررت عدم الرضوخ لأية قوى تحاول منع هذا المخطط حتى ولو كانت قوى غربية مثل : محاولة فرنسا وألمانيا وغيرهما منع أمريكا من احتلال العراق .

وهذا هو المخطط الصليبي العلماني الاستعماري .

ولا مانع من أن يكون بعض رؤساء أمريكا أو انجلترا غير علمانيين ويؤمنون بالمذهب البروتستانتي قولا وعملا فإن هذا لن يغير من المخطط الاستعماري شيئا بل يسارع به بعد إضافة بعد ديني إليه .

والذي يؤكد هذا أن هذا المخطط الغربي الاستعماري لم يقتصر على توطين اليهود في فلسطين لصالح القوى الاستعمارية الغربية بل شمل استيطانات أخرى كثيرة تحت شعارات دينية أخرى غير الشعارات التي استخدموها مع اليهود منها مثلا :

" تم الاستيطان في جنوب أفريقيا باسم المسيحية ، تم الاستيطان في استراليا باسم تفوق الإنسان الأبيض ، تم الاستيطان في أمريكا الشمالية باعتبار أنها أرض عذراء منحها الله للبيوريتانيين، الذين هم المستوطنون الأول، تم في فلسطين باعتبار أن اليهود شعب مختار، وأنه قد وُعد هذه الأرض، إن ما يتغير في جميع هذه الحالات هو التبريرات، وليس الفعل الاستيطاني نفسه.

في منتصف القرن التاسع عشر تحددت الاستراتيجية الغربية التي تسعى إلى تقسيم العالم العربي،والإسلامي من خلال القضاء على الخلافة العثمانية، وهذا القرار اتخذ قبل ظهور اليهود كفاعلين أساسيين في السياسة الدولية ..

---

(١) الرئيس بوش في مقابلة تلفزيونية قال : إنه يترك البيت الأبيض مرفوع الرأس، رغم اعترافه بإخفاق الاستخبارات وإيهامه بامتلاك العراق أسلحة دمار شامل " جريدة الرياض السعودية ٣ ديسمبر ٢٠٠٨م .

فالنمط السائد في الولايات المتحدة وفي الاستراتيجية الغربية ككل هو أنه يجب أن تكون هذه المنطقة مقسمة،و أنه يجب أن يكون العالم الإسلامي مقسم، أن أي اتجاه نحو توحيد هذه المنطقة يشكل مشكلة بالنسبة للعالم الغربي ..

إن الرأسمالي اليهودي هو جزء من الرأسمالية الغربية، والموظف في وزارة الخارجية الأطريكية جزء من الوزارة، إن وجود اليهود داخل المجتمع الأمريكي مثل موظف داخل مؤسسة، يتم ترفيع – ترقية – هذا الموظف طالما أنه يخدم هذه المؤسسة بكفاءة، و إن حاد عن ذلك يتم فصله. " (١)

والساسة الإسرائيليون يدركون هذا المخطط الغربي إدراكا كاملا " ولذا لا يكفون عن الحديث عن أهمية إسرائيل كقاعدة عسكرية وحضارية وأمنية للغرب ، وأنها علاوة على ذلك ، قاعدة رخيصة ، أرخص بكثير من ١٠ حاملات طائرات تبلغ تكاليفها ٥٠ بليون دولار ، كانت الولايات المتحدة الأمريكية ستضطر لبنائها وإرسالها للبحر الأبيض المتوسط وللبحر الأحمر لحماية المصالح الأمريكية " (٢)

أظن أن اللغز الأمريكي الإسرائيلي قد حُلَّ ولم يعد هناك غرابة في موقف أمريكا و حلفائها من اليهود .

والسؤال هنا يطرح نفسه هل يعلم اليهود بهذا المخطط المسيحي الغربي الأمريكي ؟

والإجابة – بدون تردد– نعم ، يعلمون بكل هذا بل يعملون على تنفيذه ، و لا يكادون يخرجون عليه .

لكن هم إذ يفعلون هذا ليس حبا في أمريكا ؟ ولا حبا في الغرب المسيحي ؟

فالعداء بينهم مستحكم من قديم ، وإنما التقت مصالحهم مع المصالح الاستعمارية الغربية في هذه المرحلة إلى حين .

استفاد اليهود من الصليبيين الجدد مساعدتهم في :

---

(١) حوار مع المسيري . الجزيرة نت .
(٢) عبد الوهاب المسيري " اليد الخفية " ص ٢٥٧ مرجع سابق .

عودتهم إلى أرض الميعاد- في زعمهم - ومساعدتهم في هزيمة أعدائهم من العرب والمسلمين ، إلى جانب المكاسب المادية والعلمية والتكنولوجية ...

" والسر الحقيقي للنجاح الصهيوني في الغرب ، لا يعود إلى سيطرة اليهود على الإعلام أو لباقة المتحدثين الصهاينة ، أو إلى مقدرتهم العالية على الإقناع والإتيان بالحجج والبراهين ، أو إلى ثراء اليهود وسيطرتهم المزعومة على التجارة والصناعة ، وإنما يعود إلى أن صهيون الجديدة جزء من التشكيل الاستعماري الغربي وأنه لا يمكن الحديث عن مصالح يهودية صهيونية مقابل مصالح غربية وإلى أن الإعلام واللوبي الصهيونيين يمثلان أداة الغرب الرخيصة : دولة وظيفية عميلة للولايات المتحدة تؤدي كل ما يوكل إليها من مهام بنجاح وتنصاع تماما للأوامر ولا توجد سوى مناطق اختلاف صغيرة بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية لا تختلف كثيرا عن الخلافات التي تنشا بين الدول الإمبريالية الأم والجيوب الاستيطانية التابعة لها ، وتنصرف هذه الاختلافات أساسا إلى الأسلوب والإجراءات لا إلى الأهداف النهائية ، اختلافات يمكن حسمها عن طريق الإقناع والضغط كما يحدث عندما تطلب السعودية صفقة أسلحة ولا ترضى إسرائيل عن ذلك ، أو عندما تريد إسرائيل توسيع رقعة استقلالها قليلا عن طريق إنتاج سلاح مثل طائرة اللافي ولا ترضى المؤسسة العسكرية الصناعية الأمريكية عن ذلك . فالاختلاف ينصرف إلى التفاصيل لا إلى المصلحة وإدراكها ، ومن هنا يمكن إدارة الحوار حسب قوانين اللعبة المتعارف عليها وتتم ممارسة الضغط داخل إطار من التفاهم بشأن المبادئ الأساسية ومن داخل النسق لا ومن خارجه " [1]

وهذا المخطط الغربي المسيحي واليهودي ليس جديدا فقد بدأ منذ نحو قرنين من الزمان وأخذ شكل منظمة دولية تسمى الصهيونية العالمية .

ما هي الصهيونية ؟ وما أهدافها ؟

عندما دعا تيودور هرتزل إلى إقامة دولة قومية لليهود عارضه معظم الحاخامات اليهود ، لأنهم وجدوا أن الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة للديانة اليهودية ، فإذا

([1]) عبد الوهاب المسيري " اليد الخفية " ص ٢٥٧ مرجع سابق .

كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلص السعي للحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب .

وهذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية لم تكن بأي حال تمثل روحانية الديانة اليهودية ، ففي نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل انعقد مؤتمر في مونتريال في أمريكا جاء في بيانه الختامي :

" إننا نشجب تماما أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية ، وإن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطئ لرسالة إسرائيل .. التي كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها .. ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسي ولا قومي ، ولكن روحي .. (١)

أهداف الصهيونية

لكل حركة أو تنظيم أهداف يسعى لتحقيقها ولما كانت الصهيونية تقوم على الفكر الغربي العلماني الاستعماري الذي يهدف إلى التخلص من العناصر اليهودية المنبوذة بتوطينهم في فلسطين – كما بينا – لذا جاءت أهداف الصهيونية في صالح الغرب المسيحي الاستعماري ومن تحالف معهم من اليهود الرأسماليين وليس في صالح اليهود بعامة .

ولقد اعتقد الكثير أن الصهيونية حركة يهودية دينية ، وأن كلمة صهيوني مرادفة لكلمة يهودي والذي أوقع الكثير في خطأ قصر الصهيونية على اليهود فقط أن أشهر الأسماء التي ارتبطت بالصهيونية السياسية كانت يهودية مثل : تيودور هرتزل ، اللورد روتشيلد ، حاييم وايزمان ، ناحوم جولدمان ، بن جوريون والدارس لحياة هؤلاء الأشخاص وغيرهم من اليهود الصهاينة يتضح له أنهم جميعا ينطلقون من

---

(١) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين الكتاب السابع ١٨٩٧ ص ١٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢١ .

أيديولرجية علمانية غربية لا تحركها إلا دوافع مادية نفعية لا دينية ولقـد واجـه هؤلاء الصهاينة اعتراضات كبيرة من اليهود المتدينين – كما بينا – ونظرة إلـى أهداف الصهيونية التي تحققت يتبين لنا جليا لمصلحة من كانت الحركة الصهيونية تهدف ، ويمكن أن نجمل أهداف المخطط الصهيوني في الآتي :

١- تخلص الغرب من مشاكل اليهود على كافة المستويات : القومية ، والسياسية ، والاقتصادية ، تلك المشاكل التي باتت تهدد النهضة الغربية .

٢- نقل دور اليهود كجماعة وظيفية كانت تقوم بدور تسخير الطبقات الشعبية الدنيا لصالح الطبقة الأرستقراطية الحاكمة إلى فلسطين لتسخير العرب لتحقيق المصالح الغربية الاستعمارية .

٣- العمل على تحقيق النبوءة المسيحية بالخلاص ونزول المسيح المخلص والتي لا تتم إلا بقيام دولة صهيون في أرض الميعاد .

٤- إبادة اليهود وغيرهم من غير المسيحيين " فما تضمره المسيحية الإنجيليـة، أو المسيحية الصهيونية أو الصهيونية المسيحية هو دعوة اليهود إلى العـودة إلـى أرض الميعاد – فلسطين – تمهيداً إما لتنصيرهم أو لإبادة معظمهم "(١)

هذه هي أهم أهداف الصهيونية وهي في عمومها تـصب فـي صـالح الغـرب المسيحي في المقام الأول والأخير .

إن الدولة الصهيونية، في واقع الأمر، ما هي إلا أداة في يد الاستعمار الأمريكي على وجه الخصوص، والغربي على وجه العموم، وهذا هو العدو الحقيقـي الـذي يحاول أن يفرض منظومته على العالم فيُحولّـه إلـى سـوق ومـصنع، والدولـة الصهيونية هي الوسيلة والجزء وليست الغاية والكل ... ولعل موقف بلفور (وكـل الصهاينة من غير اليهود) هو خير تعبير عن هذا الموقف الذي ينم بلا شـك عـن تسامح مع اليهود حيث وقف إلى جوارهم حتى أعلن الوعد المعروف باسمه عـام ١٩١٧. ولكن من الواضح أن تسامحه هذا نابع من رغبته في وضع اليهـود فـي

---

(١) حوار مع المسيري " قناة الجزيرة " .

خدمة المصالح الإمبريالية البريطانية بحيث يحولهم إلى أداة لقمع العرب واغتصاب أرضهم. ومن ثم، نجد أن بلفور المتسامح هو نفسه الذي حاول أن يوقف هجرة يهود اليديشية إلى إنجلترا، واستصدر من القوانين ما يكفل ذلك حينما كان رئيساً للوزراء. فكأن تسامحه مع المشروع الاستيطاني الصهيوني تعبير عن رغبته الصادقة في التخلص منهم وتوظيفهم. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن نابليون بونابرت وغيره من الزعماء الغربيين ممن أبدوا تسامحاً كبيراً تجاه اليهود." (١)

الدليل على خضوع اليهود للمخطط الغربي الإمبريالي

ودونك هذه الأدلة التي تؤكد فكرة تبعية اليهود للمخطط الغربي الإمبريالي وليس العكس :

١- فكرة الصهيونية السياسية فكرة غربية مسيحية وليست فكرة يهودية بل إن معظم الحاخامات رفضوها وناصبوها العداء ؛ لأنهم وجدوها قراءة مغلوطة ومتعصبة للديانة اليهودية ، فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلص السعي للحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب .

٢- رفض أمريكا ومعظم دول أوربا فتح أبوابها لليهود أثناء المرحلة النازية التي عملت على إبادة أعداد كبيرة من اليهود ، بسبب سوء حالة الاقتصاد الأمريكي آنذاك والخوف من تسلل الجواسيس الألمان لأمريكا ففضلت أمريكا مصلحتها الاقتصادية والأمنية وأغلقت الأبواب في وجه اليهود .

٣- إسراع أمريكا بالاعتراف بدولة إسرائيل فور إعلانها رغم أن اللوبي الصهيوني آنذاك كان ضعيفا في مقابل اللوبي اليهودي المعادي للصهيونية الذي كان لا يزال قويا إذ كان يضم عددا كبيرا من أثرياء اليهود المندمجين ، وهذا يعني

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٣ .مرجع سابق .

أن المصالح الأمريكية هي ما تسعى أمريكا لتحقيقه بغض النظر عن أية ضـغوط يهودية أو إعلامية .

٤- حينما تصرفت إسرائيل دون إذن من أمريكا ، ودون مراعاة لمصالحها فـي حرب السويس سنة ١٩٥٦م أجبرت أمريكا إسرائيل على الانسحاب من سيناء التي كانت قد احتلتها . إذ أن المصلحة الأمريكية آنذاك كانت تقضي بإجلاء الاسـتعمار القديم (انجلترا وفرنسا) من منطقة الشرق الأوسط لتحل محله .

٥- لم تقدم إسرائيل على القيام بحرب ٥ يونيو ١٩٦٧ إلا بعدما أن أضاءت لها أمريكا الضوء الأخضر لأن السياسة الأمريكية آنذاك كانت تريد التخلص من جمال عبد الناصر الذي أدخل عدوها اللدود الاتحاد السوفييتي في المنطقة ، والذي عملت سياسته على زيادة نفوذه فيها ، ومحاربة المصالح الأمريكية عن طريقه .

٦- شهدت الفترة من ١٩٦٧- ١٩٧٤ تنامي العلاقة بين إسـرائيل والولايـات المتحدة الأمريكية في فترة حكم نيكسون الذي لا يكن حباً خاصاً لليهود .

٧- ضغط أمريكا في عهد كاتر على ساسة إسرائيل لتوقيع معاهدة السلام وإعادة كل سيناء لمصر والتعهد باستمرار المفاوضات من أجل سلام شامل فـي المنطقـة وإعادة كل الحقوق لأصحابها لكن حكام العرب – عدا الرئيس السادات – قد فوتوا على أنفسهم فرصة ذهبية يصعب تكرارها .

٨- إن سياسة إنجلترا أكثر اقترابا من السياسة الأمريكية وأكثر دعما لإسـرائيل رغم الضعف الشديد للجماعة اليهودية في انجلترا ، في مقابل أن سياسة فرنسا أكثر ابتعادا عن السياسة الأمريكية رغم أن جماعة اليهود في فرنسا تعدادها ٧٠٠ ألـف يهودي وهي جماعة ذات نفوذ قوي في الإعلام وغيره . مما يؤكـد أن الجماعـة اليهودية في الغرب لا تأثير لها يذكر في المخطط الغربي الاسـتعماري بـل هـم يمثلون أحد أدوات هذا المخطط .

٩- وقوف أمريكا في وجه إسرائيل حينما حاولت الاستقلال النسبي عنها وظهر هذا جليا في قضية " جوناثان بولار " الأمريكي اليهودي الـذي تجـسس لحـساب إسرائيل ، وكان رد الفعل المؤسسة الأمريكية حاسما ، إذ قبض على بولار وأدخل

السجن لمدة عشرين عاما وأُجري تحقيق في إسرائيل لتحديد المسئولية ، كما أن الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة ثارت ثائرتها ضد إسرائيل ، ورفض كل من بوش ، وكلينتون العفو عن بولار رغم إلحاح اللوبي الصهيوني في ذلك .

كذلك رفض أمريكا السماح لإسرائيل بإنتاج " طائرة اللافي " محليا في إسرائيل وبمساعدة أمريكي .

١٠- أثبتت حرب الخليج الثانية (التي بدأت بالاحتلال العراقي للكويت) بما لا يدع مجالا للشك أن إسرائيل لا تتحرك إلا في إطار المصالح الغربية وليس في إطار المصالح اليهودية أو الصهيونية ، فإسرائيل قد أعدها الغرب للقيام بالدور العسكري لصالح الغرب في المنطقة العربية ، وكانت إسرائيل تأمل أن تقوم بدورها في حرب صدام حسين خاصة أنه هددها بحرقها بسلاحه الكيماوي قبل غزود للكويت بزمن ، لكن جاء قرار أمريكا بعدم مشاركة إسرائيل في هذه الحرب حتى لا تستثير حفيظة الشعوب العربية الكارهة لإسرائيل ضد أمريكا وحلفائها ، وتتعاطف مع صدام الذي سيظهر بدور البطل العربي الشجاع الذي يحارب أمريكا وإسرائيل . وقد حاول صدام أن يستثير حفيظة إسرائيل لدفعها في الدخول في المعركة ليكسب تأييد الشعوب العربية فضربها بعدة صورايخ " سكود " ، ولكن إسرائيل وبضغط من أمريكا لزمت الصمت ، وامتثال إسرائيل لأوامر أمريكا في هذا الظرف يؤكد مدى ذكاء اليهود الصهاينة في معرفة قواعد اللعبة السياسية ، بعكس كثير من حكام العرب وعلى رأسهم صدام حسين . (١)

آليات تنفيذ المخطط الصهيوني

أعلن هرتزل هدف الصهيونية في مؤتمر بازل قائلا : "إن الصهيونية تستهدف أن تنشئ للشعب اليهودي، وطنًا في فلسطين، مضمونًا بوساطة القانون العام .

وللوصول إلى هذا الهدف يُطالب المؤتمر بالوسائل الآتية :

١ــ تطوير استعمار فلسطين على أحسن وجه، بالمزارعين والمهَنيِّين، والتجار اليهود .

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول تبعية اليهود للمخطط الغربي وليس العكس الرجوع إلى كتاب " اليد الخفية " د. عبد الوهاب المسيري الفصل الخاص باللوبي اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية .

٢ــ تنظيم اليهود، وتوحيدهم في العالَم أجمع، في تشكيلات محلية أو قومية، تبعًا لقوانين كل بلد .

٣ــ تقوية الشعور القومي اليهودي، ووعيهم بأنهم قومية.

٤ــ المساعي التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات، التي هي ضرورية لبلوغ أهداف الصهيونية .

وقد ظل هذا البرنامج دستور الحركة الصهيونية حتى المؤتمر الثالث والعشرين الصهيوني عام ١٩٥١، في أورشليم، حيث صيغت الأهداف بطريقة جديدة .

ولقد اعتمدت الصهيونية في تحقيق استراتيجيتها الاستيطانية على :

١- نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم (التوراة) والجديد (الإنجيل) .

استعارات الصهيونية السياسية الفكرة الأساسية من الصهيونية الدينية التي كانت منتشرة في القرون الوسطى . وطورت فكرة عودة اليهود الحتمية من التشتت في الكرة الأرضية إلى جبالِ صهيون في أورشليم أي إلى أرض الأجداد معتمدا على أمور الدين اليهودي المُسَلَّم به ، ومعتمدة على ما جاء في الكتاب المقدس من أن فلسطين " الأرض المقدسة " سترجع إلى أبناء سكانها القدماء في يوم ما . (١)

ولقد أسس الصهيونيون أسطورة "العودة" على أسطورة الاستمرار العرقي والتاريخي بين العبرانيين الكتابيين، وبين اليهود المعاصرين، وقد حاولوا حمْل الآخرين على الاعتقاد بأن كل "يهوديّ" أينما وُجد في العالم، عندما يَجيء إلى إسرائيل ــ إنما "يعود" إلى أرض أجداده، في حين يُقرِّر الواقع أن ٩٩% على الأقل من اليهود المعاصرين ليس من أجدادهم أحد وطئت قدماه أرض فلسطين، بسبب التحوُّل من ناحية، وبسبب الزيجات المختلطة خلال القرون من ناحية أخرى .

فهرتزل عندما صاغ الشعارات: "نحن شعب"، "وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا يُنْسَى" فإنه لم يفعل سوى أن تناول ما أطلق عليه هو نفسه: "الأسطورة العظيمة" (٢)

---

(١) الكاتبة الروسية جالينا نيكيتينا : " دولة إسرائيل خصائص التطور السياسي والاقتصادي " دار الهلال ص ١٧ .

(٢) تيودور هرتزل " الدولة اليهودية " نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٤٥

وهناك وثيقة ظهرت لأول مرة في كتاب صدر عام ٢٠٠٨ لعميد المؤرخين الإسرائيليين الجدد وهو " بيلي موريس " الوثيقة هي حوار دار بين اثنين من منشئي إسرائيل بلا جدال، أولهما رئيس الوكالة اليهودية وهو ناحوم جولدمان، والثاني هو أول رئيس لوزراء إسرائيل ورئيس الهيئة التنفيذية التي أنشأت إسرائيل وهو ديفيد بن جوريون الذي هو بحق مؤسس الدولة، هذه المناقشة موجودة في صفحة ٣٩٣ من هذا الكتاب ، يرجع زمان هذه الوثيقة إلى عام ١٩٤٨ ، وفيها يقول ناحوم جولدمان لبن جوريون إنه يعتقد أن السلام مع العرب ممكن ويرد عليه بن جوريون بالحرف: " إنني لا أفهم سببا لتفاؤلك بالسلام، لماذا يقبل العرب بالسلام معنا ؟ إذا كُنتُ – يتكلم عن نفسه– زعيما سياسيا عربيا فلن أعقد سلاما مع إسرائيل، تلك هي طبيعة الأمور ذاتها، إننا استولينا على بلدهم، صحيح أن إلهنا وعدنا بها لكن ذلك لا يعني لهم شيئا، فإلهنا غير إلههم إننا كنا في هذه الأرض من قبل هذا صحيح ولكن ذلك كان قبل ألفي سنة وهذا له معاني وقيم كثيرة بالنسبة لهم، ودعوانا في العودة أننا قاسينا من العداء للسامية والنازية وهتلر لكن تلك لم تكن مسؤوليتهم. بصراحة فيما يبدو لهم فإننا جئنا لسرقة وطنهم فلماذا يكون على العرب أن يقبلوا ؟ " (١)

٢- استخدام اليهود كجماعة وظيفية لتنفيذ المخطط الاستعماري الاستيطاني .

إن أهم العناصر على الإطلاق التي ساهمت في نجاح الصهيونية السياسية هو ظهور الإمبريالية الغربية كقوة عسكرية وسياسية عالمية (بمعنى أن ساحتها العالم بأسره) تُجيِّش الجيوش وتنقل السكان وتقسم العالم .

وقد وجدت الإمبريالية الغربية في أعضاء الجماعات اليهودية ضالتها باعتبارهم مادة استيطانية تسبب مشاكل أمنية إن بقيت داخل العالم الغربي، ولكنها تستطيع أن تزيد نفوذه إن نُقلت خارجه وتحولت إلى مادة قتالية تعمل لحساب الغرب داخل نطاق الدولة الوظيفية. ووجدت القيادات الصهيونية بدورها أن ثمة إمكانية لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ من خلال تَقبُّل الوظيفة القتالية المطروحة .

---

(١) محمد حسنين هيكل برنامج مع هيكل حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " ٢٠٠٨/٥/١٥ قناة الجزيرة .

ويجب ملاحظة أن الصهيونية التوطينية ظهرت في غرب أوربا حيث كان عـدد اليهود صغيراً وحيث حقق أعضاء الجماعات اليهودية قدراً عالياً مـن الانـدماج والعلمنة في مجتمعات كانت تحل مشاكلها الاجتماعية عن طريق الاستعمار وغير ذلك من الآليات. أما الصهيونية الاستيطانية فقد ظهرت أساساً في شرق أوربا حيث توجد كثافة سكانية يهودية ضخمة، وحيث تفاقمت القضايا الاجتماعية دون حل حتى عام ١٩١٧ .

ثم ظهرت الصهيونية النفعية (صهيونية المرتزقة) بعد ذلك بـين يهـود الـدول العربية منذ عام ١٩٤٨، وبين يهود الاتحاد السوفيتي بعد عام ١٩١٧، وتصاعدت وتيرتها بعد عام ١٩٧٠. والسياق التاريخي للصهيونية النفعية يتفاوت من بلد لآخر، ومن جماعة يهودية إلى أخرى. (١)

٣- المذهب البروتستانتي لتأييد المخططات الصهيونية .

احتلت فكرة عودة المسيح إلى الأرض، مكانـاً رئيـسياً فـي الفكـر المـسيحي البروتستانتي . وتقوم هذه الفكرة على أساس الاعتقاد بأن السيد المسيح سيعود إلى الأرض ثانية ليقيم مملكة الله على الأرض والتي ستدوم ألف عام حيث سيحكم العالم من مقره في مدينة القدس .

وفي ذلك يقول هرتزل في يومياته : " إن المسيحيين المتدينين في إنجلترا (البروتستانتية) سوف يساعدوننا إذا ما ذهبنا إلى فلسطين؛ لأنهم ينتظرون عودة المسيح عندما يعود اليهود إلى بلدهم .. ومع جولد سميد وجدتني فجأة في عالم آخر.

إنه يريد أن يسلِم قبر المسيح للمسيحيين، على أن يتعاوروه فيما بينهم، صلاة بِصلاة، نصف لموسكو، والآخر لروما !! وكان، شأنه شأن مونتاجو، يفكِر فِي "فلسطين الكبرى" (٢)

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٦ ج١ الباب الثالـث: العقـد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية .مرجع سابق .

(٢) يَوْميَّات هرتزل الكَامِلَة". "نوفمبر عام ١٨٩٥ جـ ١ ص ٢٨٢".

٤- **الاضطهاد الغربي لليهود**

مما ساعد على نجاح المشروع الصهيوني فظاعة " جيتو " العصور الوسطى اليهودي ، فعندما دب اليأس إلى اليهود الفقراء وجدوا أملهم الأخير في الصهيونية الدينية ، ويعبر النشيد الديني عن هذا الحلم قائلا : لا نزال مشردين في هذا العالم ولكن في العام القادم سنكون في أورشليم .

" لا نزال عبيدا في هذا العام ، ولكن في العام القادم سنكون أناسا أحرارا " (١)

وهكذا أصبحت الدولة اليهودية هي العلاج الوحيد لكل مصائب ومآسي اليهود . وبدا اليهود المشتتون بين البلاد المختلفة " كأمة يهودية واحدة " ويشرح أيديولوجيو الصهيونية فلسفة هيرتزل باستخدامه لاصطلاح " المشكلة القومية " أنه كان يريد أن يقول أن المشكلة اليهودية ليست مشكلة فقراء اليهود فقط كما يظن الخيرون على اختلافهم ، ولكنها كذلك مشكلة أغنياء اليهود وكافة اليهود عموما ممن يعيشون في ظروف غير عادية فمعاداة السامية موجهة إليهم قبل أي شيء . كما أن المشكلة اليهودية تمس كل اليهود بصرف النظر عن الوضع الاقتصادي والاعتقاد الديني لأننا كلنا شعب واحد . (٢)

لقد ظلت الصيغة الصهيونية حتى نهاية القرن التاسع عشر مجرد فكرة إلى أن الحادثة التي أثارت اليهود كثيرا ودفعتهم إلى تكوين أول مؤتمر يجمعهم هي " مذبحة ليشينيف " الشهيرة التي كشفت اضطهاد روسيا القيصرية لليهود ومعاملتهم بعنف وقسوة .

وتعترف الدولة الصهيونية بأن الاضطهاد الأوربي لليهود هو الذي ولّد الصهيونية السياسية : " وقد تبلورت الصهيونية السياسية رداً على الاضطهاد وملاحقة اليهود المستمرة في أوروبا الشرقية، ونتيجة لخيبة الأمل المتزايدة من حركات التحرر في أوروبا الغربية التي لم تضع حداً للتمييز ضد اليهود ولم تؤد إلى دمجهم في المجتمعات المحلية. " (٣)

---

(١) الكاتبة الروسية جالينا نيكيتينا " دولة إسرائيل خصائص التطور السياسي والاقتصادي " مرجع سابق ص ١٧، ١٨

(٢) نفسه ص ١٨ .

(٣) نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت .

وانتهز صحفي نمساوي هو " تيودور هرتزل " حوادث العنف ضد اليهود وعمل على إثارة عطف الدول الأوربية ، وساعده في ذلك كاتبان فرنسيان هما ، أميل زولا ، وكليمونصو .

واستطاعوا جميعا أن يضعوا أرضية سياسية مناسبة ليصدر هرتزل كتابه " الدولة اليهودية " ينادي بالتجمع لبناء دولة يهودية .

حدد هرتزل في مقدمة كتابه (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٦م بكل وضوح على أية قوة سوف يعتمِد في تحقيق المشروع الصهيوني للكفاح ضد دمج اليهودية في بلادهم الخاصة وللهجرة إلى فلسطين .

وكتب يقول: " هذا المشروع ينطوي على إستخدام قوة محركة موجودة في الواقع، كل شيء يجري علي القوة المحركة، فما هذِهِ القوة ؟ إنها محنة اليهود " (١)

ويقول المؤرخون الأكاديميون اليهود " ظل الصهيونيون حركة أقلية بين الشعب اليهودي حتى وقعت الهولوكست (الكارثة) .. التي ساهمت في إقناع الشعب اليهودي، مع استثناءات قليلة، لمساندة قيام دولة يهودية حديثة في أرض إسرائيل. يستطيع اليهود هناك أخيرا أن يحكموا ويدافعوا عن أنفسهم ولن يعودوا تحت رحمة الشعوب التي لا تهتم برفاهيتهم، أو تلك التي تعمل على اضطهادهم أو على تدميرهم (٢)

٥- نشاط اليهود الصهاينة وإخلاصهم لقضيتهم

إلى جانب العناصر الخارجية لا ينبغي أن نغفل دور اليهود الصهيونيين الذين استغلوا هذه الظروف لتحقيق حلمهم في الأمان والنفوذ فهم يريدون النفوذ الذي يحمي ضعفهم لذا توجهوا إلى المال، وبعد المال توجهوا للإعلام. يقول روتشيلد " أنا اليهودي التائه لا أريد أن أملك عقارا لا أستطيع أن أحمله معي حيث ذهبت، أن أريد أن أحمل ما أستطيع حمله و أهرب به إذا وَجَدْتُ الظروف مختلفة. " ولقد أضاف اليهود الصهاينة إلى قوة المال رؤى العصر أضافوا لها الإعلام، أضافوا لها نفاذا في الإعلام .

---

(١) تيودور هرتزل " الدولة اليهودية " مرجع سابق ص ١١

(٢)الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق .ص ٦٦، ٦٧ .

قال رئيس تحرير الواشنطن بوست العتيد بن بريدلي لأستاذ حسنين هيكل " يوجد عشر وسائل إعلام في أميركا هي تحدد جدول أعمال الاهتمامات العالمية كلها. قوة الإعلام الأميركي هم موجودون فيه ". ويكمل هيكل مبينا نفوذ اليهود الصهاينة :

قوة الصورة دخلوا فيها وبالتالي أنت تتكلم عن جماعة إنسانية لها دور وتعرضت لاضطهادات صحيح طبعا لكن السؤال لماذا كان عليَّ أنا أدفع الفواتير.؟!

قال هيرتزل وهو يتناقش حول وجوب كسب تعاطف العالم للمشروع الصهيوني عن طريق التباكي على اضطهادات الغرب لليهود : " نقول هذا الكلام لأناس آخرين ولكن أرجوكم أن تتذكروا أن الأوطان لا تقام بالدموع، والأماني لا تحقق بالدموع، نستطيع أن نبكي أمام الآخرين لكن في الداخل لا يجب أن نبكي " . (١)

لقد كان الدور الذي لعبته الأسطورة الصهيونية في وهم الشعوب هائلاً، وليس بوسعنا أن نبين تأثير اللوبي "جماعة الضغط" الصهيوني وفاعليته على المستوي العالمي بالاعتماد فقط على قوة تنظيمه، والوسائل السياسية والمالية الهائلة التي يتحكم فيها، ولا سيما ذلك الدعم غير المشروط، وغير المحدود الذي تقدمه الدولة الأمريكية، نعم، إن هذه القوة تلعب دون ريب دورا عظيما ولكن قبول هذه الأسطورة الفجَّة، بقدر كبير من حسن النية، وقبول نتائجها السياسية الموغلة في الدموية ــ يبقى غير مفهوم، إذا لم نتذكر ذلك العبث الإيديولوجي الذي إستمر قرونا طويلة، والذي خلقت به الكنيسة المسيحية هذه "الصهيونية المسيحية"، التي كانت مجالا قابلا للاستغلال بسهولة من جانب دعاية الصهيونية السياسية، والدولة الإسرائيلية. (٢)

٦- **فساد الحكام العرب وضعف شعوبهم .**

لقد فشل الحكام العرب في التعامل الجدي مع قضية توطين الدول الغربية الاستعمارية اليهود في فلسطين ، واكتفوا بالشكوى والتنديد بالأوضاع القائمة الظالمة دون السعي الحسيس لتغيرها .

أما الشعوب العربية فسيطر عليهم الجهل والتخلف والسلبية ،ودب فيهم الوهن فأحبوا الدنيا وإن كانوا أذلاء فيها ، وكرهوا الجهاد في سبيل الله وإن كان فيه عزهم

---

(١) محمد حسنين هيكل برنامج مع هيكل حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل
(٢) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الأول : العهد القديم وميلاد الصهيونية المسيحية .مرجع سابق .

الحقيقة أنه منذ أن وطئت قدم العثمانيين أرض العروبة والإسلام وحل بها الخراب والدمار " حيث صارت البلاد مسرحا للفوضى والاضطراب نتيجة تنازع الهيئات التي تقتسم الحكم فيها ، وسارت الدولة على سياستها التقليدية في تغيير الباشوات خوفا من جنوحهم إلى الاستقلال تحقيقا لأطماعهم الخاصة ، كما اتسم الحكم العثماني في بلاد المشرق العربي بالرجعية وشمل البلاد التأخر إذ كانت فكرة الحكم عند العثمانيين بسيطة اقتصرت وظيفة الدولة في نظرهم على الدفاع عن البلاد وحفظ الأمن وجمع الضرائب والفصل في الخصومات أما ما عدا ذلك من خدمات عامة فقد أهملت ولم تعتبرها الدولة من بين مسئولياتها وتركتها للأفراد والجماعات ، ولذلك ساءت أحوال الشعوب العربية اقتصاديا . " (١)

لذا جاءت حركة القومية العربية وحركة المقاومة العربية الفلسطينية، وبخاصة في العقود الأولى من هذه الفترة ضعيفة غير قادرة على تعبئة الجماهير وتنظيمها ضد الاستعمارين الإنجليزي والصهيوني بتنظيمهما الحديث وعلاقاتهما العالمية وتعاونهما الوثيق داخل فلسطين وخارجها .

ودونك هذا المثال الذي يؤكد ضعف العرب ، لما بدأ الأتراك يفكرون في القومية التركية فكر العرب في القومية العربية في مقابلها ولجأ أحرار الناس من أعيان الشام إلى الهاشميين، لأننا نحن – العرب – دائما نفكر بعقلية قَبَلِيّة ، ونحتاج لشيخ قبيلة – مع الأسف الشديد – باستمرار، لذا راح الناس الذين يتكلمون على القضية العربية والوعي العربي للأمراء الهاشميين. بدأ الأمراء الهاشميون يهتمون بالقضية العربية لكنهم لم يكن عندهم تَصَوُّر للدولة العربية التي يتكلم عليها أحرار العرب في الشام و مصر والمغرب إلى آخره. ويذكر محضر بريطاني "سئل فيصل بن الشريف حسين خلال المحادثات عن موضوع فلسطين فأشار إلى أن العرب مثقلون بأفضال بريطانيا العظمى وأنه لن يليق بهم أن يضعوا العراقيل أمام قضية يرون الحكومة البريطانية خير حكم فيها، ويعترف العرب بأن هناك مصالح متضاربة كثيرة تتركز في فلسطين ويقرون بادعاءات الصهاينة الأدبية، وهم يعتبرون اليهود أقارب سيسرهم أن يروا ما هو عادل من مطالبهم تستجاب لأنهم يشعرون أن

---

(١) د. محمود صالح منسي " حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي " ص ٣١ .

مصالح السكان العرب يمكن أن تودع بأمان في يد الحكومة البريطانية" واعتبرت الحكومة البريطانية أن هذا تفويض عربي. (١)

ويذهب الملك عبد الله – ملك الأردن – لجسر المجامع مع جولدا مائير قبل قرار التقسيم ويتفق معها على الحدود العربية الإسرائيلية .

الإسرائيليون حكمتهم قضية تسابقوا لأجلها لكن نحن – العرب – حكمتنا باستمرار أسرة تسابقت لتأمين نفسها . هنا فرق، عندما تكون كل الخلافات التي بين فايتشمن وبن جوريون وجولدمان هؤلاء الناس كانوا أعداء جدا لكن المشكلة أن خلافهم كله كان في أيهم يستطيع أن يقدم أكثر للمشروع . نحن بنفس المقدار كان كل الناس المسئولين عن القضية كلهم كانوا موجودين وكلهم كان لهم عداءات لكن المشكلة أن عداءاتهم لم تكن سباقا إلى أن أيهم يخدم أكثر هذه القضية وإنما أيهم أكثر يستفيد منها ! . أتصور أنا أن الوكالة اليهودية في ذلك الوقت كانت معبرا شرعيا عن مشروع وعن أمل وعن حقيقة في حين أن النظم العربية التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى والتي لا تزال مستمرة بشكل أو آخر في الدول العربية الحديثة لم تستكمل بعد أساسا حقيقيا يعطيها الشرعية . (٢)

صدر كتاب عام ٢٠٠٨ بعنوان the accidental Empire الإمبراطورية التي نشأت بمحض مصادفة. والحقيقة إن إسرائيل لم تنشأ بسبب الصدفة بل بسبب الغفلة لأن كل عوامل القوة في إسرائيل المفترضة لم تكن كفيلة أنها تخلق إمبراطورية تبدو في هذه اللحظة هي القوة المتحكمة في هذه المنطقة وهي التي تضع جدول أعمال هذه المنطقة مع الأسف الشديد، إسرائيل ليست إمبراطورية بالمصادفة، إنما هي إمبراطورية لم تكن لديها مقومات أن تقوم لولا أن المجال الذي قامت فيه كان مخلخلا (٣)

***

---

(١) محمد حسنين هيكل برنامج مع هيكل حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

الفصل العاشر

حقيقة السياسة الأمريكية

هل السياسة الأمريكية سياسة دينية أم علمانية ؟

يطيب لكثير من الكتاب المسلمين وسم السياسة الأمريكية بميسم التدين والتمسك بتعاليم الكتاب المقدس ، وأن الحروب الأمريكية الغربية التي تشنها على المسلمين ما هي إلا حروب دينية صليبية جديدة

لو طبقنا تعاليم الإنجيل على الأمريكان : حكومة وشعبا ، هل يا ترى تنطبق عليهم كما يحب بعض الكتاب أن يروجوا لتدين الأمريكان ؟

وهل الأمريكان يستمدون مرجعيتهم ليس من منطلق علماني إنما من منطلق إنجيلي حتى أن أنشط جماعة دينية الآن تسمى الإنجيليين ؟

وإليك أهم ما يميز العقيدة المسيحية كما تبدت في الأناجيل :

١- رسالة يسوع أساسها المحبة : محبة الله ، ومحبة الناس .

فقد جاء في الوصية العظمى " أحب الرب إلهك من كل قلبك من وكل نفسك وكل فكرك هذه هي الوصية العظمى الأولى ، والثانية مثلها أحب قريبك من كنفسك بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة وكتب الأنبياء " (متى : ٢٢)

٢- يسوع لم يكن رجل حرب إنما كان داعية سلام لكل البشر ، وحذَّر من استخدام السلاح فإن عقوبته ستكون بالمثل .

" فإن الذين يلجئون إلى السيف بالسيف يهلكون " (متى: ٢٦)

ويجعل جزاء السب - ناهيك عن القتل - دخول جهنم .

" سمعتم أنه قيل للأقدمين لا تقتل ومن قتل يستحق المحاكمة أما أنا فأقول لكم كل من هو غاضب من أخيه يستحق المحاكمة ومن قال لأخيه يا تافه يستحق المثول أمام المجلس الأعلى ومن يقول يا أحمق يستحق نار جهنم ." (متى : ٥)

" وسمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر بمثله بل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الخد الآخر ومن أراد محاكمتك ليأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضا ومن سخرك أن تسير معه ميلا فسر معه ميلين "
(متى: ٥)

٣- إن دعوة الحب لدى يسوع ليست قاصرة على الأخوة في الدين بل تشمل الأعداء أيضا !

" سمعتم أنه قيل لكم : تحب قريبك وتبغض عدوك ، أما أنا فأقول لكم أحبوا : أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ، ويضطهدونكم ؛ فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار وغير الأبرار فإن أحببتم الذين يحبونكم فأية مكافأة لكم أما يفعل ذلك حتى جباة الضرائب وإن رحبتم بإخوانكم فقط فأي شيء فائق للعادة تفعلون ؟ أما يفعل ذلك حتى الوثنيون ؟ فكونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل " (متى : ٥)

" فإن من ليس ضدنا فهو معنا " (مرقس : ٩).

وجاء مثله في لوقا " من ليس ضدكم فهو معكم " (لوقا : ٩)

٤- النهي عن الرياء : في الصدقة ، والصلاة ، وسائر الأعمال .

" عندما تتصدق على أحد فلا تدع يدك اليسرى تعرف ما تفعله يدك اليمنى لتكون صدقتك في الخفاء وأبوك السماوي الذي يرى الخفاء هو يكافئك .. وعندما تصلي فادخل غرفتك و أغلق الباب عليك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء وأبوك الذي يرى في الخفاء هو يكافئك " (متى : ٥)

٥- النهي عن حب المال والنهي عن كنزه .

" لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسدها السوس والصدأ وينقب عنهـا اللصوص ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسدها سوس ولا ينقب عنا لصوص ولا يسرقون فحيث يكون كنزك هناك أيضا يكون قلبك ... لا يمكن أن لأحد أن يكون عبدا لسيدين لأنه إما أن يبغض أحدهما فيحب الآخر وإما أن يلزم أحدهما فيهجر الآخر لا يمكنكم أن تكونوا عبيدا لله والمال معا " (متى:٥)

٥- النهي عن الكيل بمكيالين ؛ حتى تعاقب الإنسان بالمثل .

" لا تدينوا لئلا تدانوا فإنكم بالدينونة التي تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم " (متى : ٥)

٦- الأمر بالانشغال بعيب النفس وترك عيوب الناس .

" لماذا تلاحظ القشة في عين أخيك ولكنك لا تنتبه إلى الخشبة الكبيرة التي في عينك أو تقول لأخيك دعني أخرج القشة من عينك وها هي الخشبة في عينيك أنت يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وعندئذ تبصر جيدا لتخرج القشة من عين أخيك " (متى : ٥)

٧- غض البصر عن المحرمات .

" وسمعتم أنه قيل لا تزن أما أنا فأقول لكم كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها فقد زنى بها بقلبه فإن كانت عينك اليمنى فخا لك فاقلعها وارمها عنك فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا يطرح جسدك كله في ا جهنم وإن كانت يدك اليمنى فخا لك فاقطعها وارمها عنك فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا يطرح جسدك في النار " (متى : ٥)

٨- الأمر بمساعدة الفقراء ، وعدم ردهم خائبين .

" ومن طلب منك شيئا فأعطه ومن جاء يقترض منك فلا ترده خائبا " (متى:٦)

٩- الأمر بالقناعة والرضا بالقليل .

" لذلك أقول لكم لا تهتموا لمعيشتكم بشأن ما تأكلون وما تشربون ولا لأجسادكم بشان ما تكتسون أ ليست الحياة أكثر من مجرد طعام والجسد أكثر من مجرد كساء ؟تأملوا طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع في مخازن وأبوكم

السماوي يعولهم أ فلستم أنتم أفضل منها كثيرا فمن منكم إذا حمل الهموم يقــدر أن يطول عمره ولو ساعة واحدة ؟ لماذا تحملون هم الكساء ؟ " (متى : ٦)

" قد كتب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان " (متى : ٤)

ويرشد يسوع المؤمنين به إلى السعادة الحقيقية فيقول :

" طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السماوات طــوبى للحزانـــى فــإنهم سيغزون طوبى للودعاء فإنهم سيرثون الأرض طوبى للجياع و العطاش لبر فإنهم سيشبعون طوبى للرحماء فإنهم سيرحمون طوبى لأنقياء القلب فــإنهم ســيرون الله طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون أبناء الله طوبى للمضطَهَدين من اجل البر فإن لهم ملكوت السماوات طوبى لكم متى أهانكم الناس واضطهدوكم وقالوا فيكم مـــن أجلي كل سوء كاذبين افرحوا هللوا فإن مكافأتكم في السماء عظيمة فــإنهم هكــذا اضْطَهَدوا الأنبياء من قبلكم " (متى : ٥)

إن السياسة الأمريكية كافرة بهذه التعاليم ولا أكون مبالغــا إذا قلــت إن معظــم الشعب الأمريكي كافر بها أيضا إن لم يكن كفر اعتقاد فعلى الأقــل كفــر عمــل وتطبيق .

ولا تخدعنا الكتب الأمريكية و تصريحات الرؤساء والمسئولين الأمريكيين التــي تؤكد عمق إيمان الشعب الأمريكي وإيمانه المطلق بمعركة هرمجــدون ، وعقيــدة الألفية والخلاص ؛ فإنه لا يكفي أن تؤمن بالخلاص – وفق عقيدتهم – حتى تُخلَّص بل لابد من الالتزام بكل تعاليم الإنجيل بل السهر على تنفيذها هذا ليس كلامي إنما هو كلام يسوع نفسه ولقد ضرب أمثلة عديدة ومتنوعة لتأكيد هذا المعنى وفي آخر كل مثال يقول للمؤمنين بعودته وخلاصه " فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون فــي أي ساعة يرجع ربكم " (متى : ٢٤) .

وضرب لتأكيد ذلك أربعة أمثلة هي :

رب البيت واللص . درس في الاستعداد و الحيطة .

العبد الأمين وسيده . درس في الإخلاص وعدم المراءاة

العذارى العشر والعريس .دروس في الذكاء والعلم ، وترك الغباء والجهل .

الوزنات : دروس في العمل المثمر ، وحسن التصرف ، وتـرك الـشر واللـؤم والكسل .

وهاك الأمثلة البليغة :

مثال رب البيت واللص .

" واعلموا أنه لو عرف رب البيت في أي ربع من الليل يدهمه اللص لظل ساهرا ولم يدع بيته ينقب لأن ابن الإنسان سيرجع في ساعة لا تتوقعونها " (متى:٢٤)

فهذا درس في الاستعداد والحيطة وعدم الغفلة .

مثال العبد الأمين مع سيده .

" فمن هو إذن ذلك العبد الأمين والحكيم الذي أقامه سيده على أهل بيته ليقدم لهم الطعام في أوانه طوبى لذلك العبد الذي يأتي سيده فيجده يقوم بعمله الحق أقول لكم : إنه سيقيمه على ممتلكاته كلها ولكن إذا قال ذلك العبد الشرير في قلبه : سـيتأخر سيدي في رجوعه وبدأ يضرب زملائه العبيد ويأكل ويشرب مع السكّيرين فإن سيد ذلك العبد لابد أن يرجع في يوم لا يتوقعه وساعة لا يعرفها فيفصله ويجعل نصيبه مع المرائين هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ." (متى : ٢٤) وقريب من هذا المعنى عند (مرقس : ١٣)

و هذا درس في الإخلاص وعدم المراءاة .

المثال الثالث : العذارى العشر والعريس .

" يشبّه ملكوت السموات بعشر عذارى أخذن مصابيحهن وانطلقن لملاقاة العريس وكانت خمسة منهن حكيمات وخمس جاهلات فأخذت الجاهلات مـصابيحهن دون زيت وأما الحكيمات فأخذن مع مصابيحهن زيتا وضعنه في أوعية وإذ أبطأ العريس نعسن جميعا ونمن . وفي منتصف الليل دوّى الهتاف ها هو العريس آت فـانطلقن لملاقاته فنهضت العذارى جميعا وجهزن مصابيحهن ، وقالت الجاهلات للحكيمات : أعطيننا بعض الزيت من عندكن فإن مصابيحنا تنطفئ فأجابت الحكيمات : ربما

لا يكفي لنا ولكن فاذهبن بالأحرى إلى بائع الزيت واشترين لَكُنَّ ، وبينما الجاهلات ذاهبات للشراء وصل العريس فدخلت المستعدات معه قاعة العرس وأغلق البـاب وبعد حين رجعت العذارى الأخريات وقلن يا سيد يا سيد افتح لنا فأجاب العـريس الحق أقول لكن إني لا أعرفكن " فاسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم والساعة ! " (متى : ٢٥)

وهذا درس في الذكاء و العلم ، و وترك الغباء والجهل .

المثال الرابع : الوزنات .

" فذلك أشبه بإنسان مسافر استدعى عبيده وسلمهم أمواله فأعطى واحـدا مـنهم خمس وزنات وأعطى الآخر وزنتين وأعطى الثالث وزنة واحدة كل واحد على قدر طاقته ثم سافر وفي الحال مضى الذي أخذ الوزنات الخمس وتاجر بها فربح خمس وزنات أخرى وعمل مثله الذي أخذ الوزنتين فربح وزنتين أخريين ولكن الذي أخذ الوزنة الواحدة مضى وحفر حفرة في الأرض وطمر مال سيده وبعد مدة رجع سيد أولئك العبيد واستدعاهم ليحاسبهم .. فقال للأول : حسنا فعلت أيها العبـد الـصالح الأمين كنت أمينا على القليل فسأقيمك على الكثير " وكذلك فعل مع الثاني أما العبد الثالث فقال له " أيها العبد الشرير الكسول عرفت أني أحصد من حيـث لـم أزرع واجمع من حيث لم أبذر فكان يحسن بك أن تدع مالي عند الصيارفة لكي أسـترده لدى عودتي مع فائدته ثم قال لعبيده خذوا منه الوزنة وأعطوها لصاحب الوزنـات العشر فإن كل من عنده يعطى المزيد فيفيض ..أما هذا العبد الـذي لا نفـع منـه فاطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " (متى : ٢٥)

فهذه دروس في العمل المثمر ، و حسن التصرف ، و ترك الشر واللؤم والكسل .

هذه هي الأمثلة الأربعة التي ضربها يسوع للمؤمنين بعودته لكي يفوزوا بخلاصه فهل الأمريكان وحلفاؤها استعدوا لخلاص المسيح وعودته بتنفيذ تعاليمه وشريعته ؟

اللهم ..لا .. إنما العكس هو الصحيح فقد خالفوا كل تعاليمه ؛ فـأنكروا عمليـا شريعته ، و وكفروا بالفعل بوصاياه .

ومع أن الأمر أوضح من أن يضرب له أمثلة إنما الذكرى تنفع المؤمنين :

جاء يسوع لنشر محبة الله ومحبة الناس كل الناس .

فزرعت أمريكا كراهيتها في كل القلوب بما في ذلك دول أوروبا وإن كانوا لا يجهرون بهذا ، أما المسلمون والعرب فقد جهروا بكره أمريكا على كافة الأصعدة ، لدرجة أن الأمريكان أجروا دراسات بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لمعرفة أسباب كره العالم لهم وجعلوا عنوان الدراسات " لماذا يكرهوننا ؟! لماذا كل هذا الكره ؟! " كأنهم لا يعلمون !

وقديما قال المتنبي :

وليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

٢- أمر يسوع بحب الأعداء ، وقال " من ليس ضدي فهو معي ".

عكست أمريكا الشعار وصرح بوش " من ليس معي فهو ضدي " والفارق كبير بين المعنيين ففي حين يدعو يسوع لحب الناس جميعا أو على الأقل حب الذين لم يناصبوك العداء فإن بوش يدعو لعَدَاء كل من لا يعمل لخدمته !!

دعا يسوع إلى عدم الكيل بمكيالين .

وها هي أمريكا تكيل بألف مكيال : مكيال للأمريكيين ، ومكيال لإسرائيل ، ومكيال لانجلترا ، ومكيال للغرب المسيحي ، ومكيال لروسيا ، ومكيال للصين ، ومكيال لكوريا الشمالية ، ومكيال لكوريا الجنوبية ، ومكيال للعرب المسلمين ، ومكيال للعرب المسيحيين ، ومكيال للفلسطينيين ومكيال ، ومكيال ...

وعلى الجملة فلكل بلد مكيال .

فالعرب أنفسهم ليسوا سواء فمكيال مصر غير مكيال سورية غير مكيال ليبيا ..وكذلك أوربا ...

٤-دعا يسوع لمساعدة الآخرين ، ومد يد العون لهم .

وأمريكا وحلفاؤها يغتصبون حقوق الآخرين ، يحتلون بلاد المسالمين ، يروِّعون بلاد الآمنين ، يدكون بلاد المساكين ، وسجلهم حافل بالجرائم . فهم الذين أبادوا الهنود الحمر ، ودكوا اليابان بقنبلتين ذريتين في نجازاكي وهيروشيما ، ومكنوا اليهود من احتلال فلسطين ، ومن سيناء ، ومرتفعات الجولان ، والضفة الغربية ،

وجنوب لبنان ، كما أنهم احتلوا فيتنام ، وجوعوا ليبيا ، ودمروا أفغانستان ، واحتلوا و دمروا و دكوا العراق !

أمريكا وأسلحة الدمار الشامل

إن أمريكا أكثر من استخدم أسلحة الدمار الشامل في العالم ؛ فقد استخدمت الأسلحة الجرثومية بشكلها الواسع في قتل الهنود الحمر ، والأسلحة الكيماوية في قتل مئات آلاف من الفيتناميين في الحرب الفيتنامية. وأمريكا أول من صنع الأسلحة النيوترونية .

أمريكا أول من استخدم الأسلحة النووية في تاريخ البشرية في مدينتي هيروشيما وناجازاكي، التي حصدت بسببها عشرات الآلاف من الأرواح ، بلا أدنى تفريق بين مدني وعسكري، أو رجل وامرأة وطفل،مع أن الكثير من الباحثين اثبت أن اليابان كانت قد وافقت على شروط الاستسلام، قبل استخدام أمريكا للأسلحة النووية ضد الشعب الياباني، وفي كوريا تدخل الأمريكان لعزل الحكومة الشعبية فيها وأغرقوا البلاد في حروب طاحنة سقط خلالها فوق ١٠٠ ألف قتيل .

وفي بعض التقارير تم إثبات إنه بين عامي ١٩٥٢-١٩٧٣، قتل الأمريكيون زهاء عشرة ملايين صينيي وكوري وفيتنامي وروسي وكمبودي، وفي جواتيمالا قتل الجيش الأمريكي أكثر من ١٥٠ ألف مزارع في الفترة ما بين ١٩٦٦و١٩٨٦. وبتواطؤ أمريكا قتل الملايين في مجازر عديدة في فلسطين ولبنان وسوريا ومصر والأردن وإندونيسيا ونيكاراجوا والسلفادور وهندوراس بالأسلحة الأمريكية الفتاكة، والتي منها أسلحة لم تدخل مخازن الجيش الأمريكي، بل صنعت وصدرت إلى بعض الأنظمة المتآمرة والمتعاملة مع الولايات المتحدة لاستعمالها ضد شعوبها . وارتكب الأمريكان المجازر البشعة في حرب الخليج الثانية ضد العراق، وكان مقدار ما ألقي على العراق من اليورانيوم المنضب بأربعين طنا، وألقي من القنابل الحارقة ما بين ٦٠ـ٨٠ ألف قنبلة قتل بسببها ٢٨ ألف عراقي .

بعد كل هذه الحقائق التي وردت، هل نتجنى على الأمــريكيين عنــدما نــذكرهم ببعض ماضيهم المعبر عن حضارتهم وعن ثقافتهم وعن جرائمهم وعن إرهــابهم، وعن قتلاهم في أفغانستان والعراق . (١)

هذا عن جرائم الأمريكان العسكرية أما عن أخلاقياتهم وسلوكياتهم الشخصية فهي لا تتسم بأية تعاليم دينية ولا حتى إنسانية فعلى الرغم من أن يسوع نهاهم عن الزنا فإن " أن آخر الإحصاءات تؤكد أن هناك حوالي (٥٠) مليون شاذ في الولايــات المتحدة من الجنسين ، وحوالي (١٧) مليونا منهم من الشواذ الرجال ... ووصلت نسبة الإصابة بالأمراض الجنسية بين باقي الأمراض حوالي (٢٦ %) من المرضى الأمريكيين . " (٢)

وعلى مدار العشرين سنة الأخيرة زادت نسبة الحمل غير الشرعي في أمريكا من ١٥ % إلى ٥١% ... وفي ظل الفوضى الجنسية أصبح ٥١ % مــن الحــالات الداخلية في المستشفيات لشباب تحت الثامنة عشر هي لحالات ناتجة عن مضاعفات الإباحية الجنسية وزادت نسبة الإصابة بالسيلان للفتيات المراهقــات ٤٠٠% فــي السنوات العشرين الأخيرة " (٣)

أما فيما يتعلق بإدمان الخمور فإن المبشّر الأمريكي الشهير جــيمس ســوجارت يسجل في كتابه " الكحول " أن في أمريكا (١١) مليون مدمن خمور لا يفيقون وهم يسمونه هناك " الشارب المشكلة " وهناك أيضا (٤٤) مليون سكّير يشرب الخمــر بغزارة وفي رأيه أنه ليس هناك فرق بين الفئتين فكلاهما سواء فشرور الخمر تترك آثارها المدمرة على الجميع" (٤)

أما بالنسبة لبقية تعليمات يسوع مثل " كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يــشتهيها فقد زنى بها بقلبه " ، و " يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وعندئذ تبصر جيدا لتخرج القشة من عين أخيك " ، و " ومن جاء يقترض منك فلا ترده خائبــا"، " لا تهتموا لمعيشتكم بشأن ما تأكلون وما تشربون ولا لأجسادكم بشان ما تكتسون " ...

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول جرائم الولايات المتحدة الأمريكية الرجوع إلى موقع www.al-asra.org

(٢) الأهرام العربي ٢٥ / ٨ / ٢٠٠١ .

(٣) الدكتور ماهر حتحوت " أثر الانحلال الإباحي على الصحة العامة" دراسة في التجربة الأمريكية.

(٤) " محمد –ص– الخليفة الطبيعي للمسيح " أحمد ديدات . ص ٧٢

فهذه لم يعد لها وجود في الولايات المتحدة الأمريكية بعدما غرقت هذه التعاليم في بحر العلمانية الشاملة .

أما فيما يتعلق بالجماعات الدينية المنتشرة في أمريكا وزيادتها في الآونة الأخيرة ، وإيمان سبعة من رؤساء أمريكا بحرب الهرمجدون ، وعقيدة الألفية ، وملايين الأمريكان المتحمسين لهذه العقيدة من الإنجيليين (١) وغيرهم – خاصة من الجماعات البروتستانتية – أقول أما عما نشر بشأن هؤلاء الأمريكان المتدينين فيجب ألا ننخدع بهذا التدين الزائف والنفاق المكشوف .

إن معظم هؤلاء هم أعدى أعداء يسوع – أولئك الذين ينتظرون خلاصه – بما يمارسونه من أفعال يأنف إبليس نفسه من ارتكابها وقد ذكرنا طرفا منها ، أما عن تصريحاتهم وبعض ممارساتهم لبعض الشعائر الدينية ومشاهدتهم للدقائق لما يسمى بالكنيسة المرئية فإنها نوع من المخدر الديني الذي يخدعون به أنفسهم لبعض الوقت بعدما سحقتهم المادية الانتهازية واللذة الحسية ، وحياة التشيؤ ، وانتحار الروح . فلم تعد للحياة معنى ولا لمتعها لذة فسقطوا فريسة سهلة للدجالين على اختلاف أشكالهم من دجل ديني أو دجل علمي أو دجل سياسي أو دجل إعلامي ..

وهذا ما أنبأ به يسوع حين قال " أما الجبناء وغير المؤمنين والفاسدون والقاتلون والزناة والمتصلون بالشياطين وعبدة الأصنام وجميع الدجالين فمصيرهم إلى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت " سفر الرؤيا

نعم أمريكا خاصة والغرب عامة هم من ينطبق عليهم نبوءة يسوع هم الجبناء حقا الذين يستترون وراء قوتهم العسكرية ليرتكبوا أبشع الجرائم .

هم القاتلون حقا بما أراقوه من دماء ملايين النفوس الزكية .

هم الزناة حقا بما ارتكبوه حقا من فواحش وكبائر الإثم .

---

(١) لقد ألفت كتب كثيرة تتبنى هذا الاتجاه : عربية وأجنبية منها : "النبوءة والسياسة" لجرسيل خالسل ، و"الدين والسياسة في إسرائيل " لعبد الفتاح محمد ماضي ، و" البعد الديني في السياسة الأمريكية " لإسماعيل كيلاني ، و" الصهيونية المسيحية" امحمد السماك " و" القدس الوعد الحق والوعد المفترى " لسفر الحوالي ،و" هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام " أمين جمال الدين ، وأمريكا وإسرائيل البداية والنهاية " عبد التواب عبد الله ، و" نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية " خالد عبد الواحد، و" الجفر ، المهدي المنتظر على الأبواب ، المفاجأة ..." محمد عيسى داود ..وغيرها

هم الشياطين حقا بما يضلون به الناس من أفكار مسمومة وعقائد مدلسة وإباحية مطلقة .

هم عبدة الأصنام حقا بما يعتنقون من مذاهب : هيجــل ، ودارون ، ونيتــشه ، وفرويد ، وماركس ، ...

هم الدجالون حقا بما يمارسونه من دجل سياسي بأن يحتلوا العراق ويزعمون أنهم يحررونه !!

يقمعون كل الشعوب الحرة ، ويدعون أنهم ينشرون الديمقراطية !!

ويضربون شعب الأفغان ويزعمون أنهم يحاربون الإرهاب !!

يجعلون إرهاب شارون ضد الفلسطينيين دفاعا عن النفس ، وأطفــال الحجــارة إرهابيين !!

.. أرأيتم دجلا سياسيا أكبر من هذا ؟!.

يحررون بلادهم من اليهود ويوطنوهم في فلسطين ، ويزعمون أنها تعاليم الكتاب المقدس !!

يجيشون الجيوش ويحتلون البلاد العربية ويزعمون إنها نبوءة السيد المسيح !!

يرتكبون أبشع ما ارتكب على ظهر هذه الأرض من جرائم ويزعمون أنــه قــد حان مجيء المسيح المخلص ليرفعهم معه فوق السحاب ويحرق من علــى الأرض بالكبريت المتقد !!

الحقيقة أن الأمريكان علمانيون لا يؤمنون بمسيحية ولا يهودية ، لا يؤمنــون إلا بأنفسهم ، والعلمانية الشاملة التي ترى أن إنسان يضرب بجذوره في الطبيعة/المادة ، لا يعرف حدوداً أو قيوداً ولا يلتزم بأية قيم معرفية أو أخلاقية، فهو مرجعية ذاته ولكنه في الوقت نفسه يتبع القانون الطبيعي ولا يلتزم بسواه ولا يمكنه تَجاوُزه. ولذا فهو في واقع الأمر كائن غير قادر إلا على التمركز حول مصلحته (منفعته ولذته) المادية وبقائه المادي وغير قادر على الاحتكام لأية أخلاقيات إلا أخلاقيات القــوة

المادية ولذا فبدلاً من مركزية الإنسان في الكون تظهر مركزية الإنسان الأبيض – الأمريكي – في الكون، وبدلاً من الدفاع عن مصالح الجنس البشري بأسره يتم الدفاع عن مصالح الجنس الأبيض، وبدلاً من ثنائية الإنسان والطبيعة وتأكيد أسبقية الأول على الثاني تظهر ثنائية الإنسان الأبيض مقابل الطبيعة المادية وبقية البشر الآخرين وتأكيد أسبقيته وأفضليته عليهم، وبدلاً من الاحتكام للقيم الإنسانية تُستخدَم القوة، ويصبح هَمّ هذا الإنسان الأبيض هو غزو الطبيعة المادية والبشرية وتوظيفها لحسابه واستغلالها بكل ما أوتي من إرادة وقوة " (١)

هذا هو هدف أمريكا تسخير العالم أجمع لخدمة المصالح الأمريكية وهي مصالح مادية نفعية ولا بأس بعد ذلك من الإيمان ببعض النصوص الدينية التي تحقق هذه المصلحة . أو على الأقل ترويجها بين شعوبهم لكسب تأييدهم في مخططاتهم .

حقيقة الشعب الأمريكي

إن كثيرا من الناس يتخيلون أن الشعب الأمريكي شعب مثقف ، عالم بكل ما يجري حوله له آراؤه الحرة المبنية على دراسات عميقة .

والذي يجعل الناس يظنون ذلك بالشعب الأمريكي :

١- التقدم العلمي الرهيب الذي حققته أمريكا في علوم مادية كثيرة (٢)

٢- القوة العسكرية الجبارة التي تمتلكها أمريكا وترهب بها العالم .

٣- الدعاية الأمريكية المتمثلة في الأفلام التي تغزو العالم والتي تصور الأمريكي " سوبر مان أو ماتركس " يعرف كل شيء ، وقادر على فعل أي شيء .

---

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ١ / ج ٤ / الباب التاسع مدخل العلمانية الشاملة مرجع سابق .

(٢) إن التقدم العلمي الذي تملكه أمريكا إنما صنعه وقام به آلاف العلماء غير الأمريكان فقد نجحت أمريكا في اجتذاب هؤلاء العلماء من شتى أقطار الأرض وهيأت لهم كافة الظروف ووفرت لهم كافة الإمكانيات لتحتكر هي إنتاجهم العلمي لخدمة مصالحها . فالتقدم العلمي الأمريكي إذن شارك في صنعه كوكبة من العلماء غير الأمريكيين ، وليس وليد العبقرية الأمريكية فقط كما يظن البعض . وأحمد زويل خير شاهد على هذا .

والحقيقة التي يجهلها الكثيرون حتى من الشعب الأمريكي نفسه هي أن معظم الشعب الأمريكي :

١ - ضحل الثقافة فلا يكاد يعلم شيئا عن العالم الخارجي فأمريكا بالنسبة له هي كل العالم .

٢- أن الإعلام رغم الحرية – المزعومة- هو القادر على التأثير على الشعب وتوجيهه حيث تشاء الإدارة الأمريكية وليس اليهود كما يعتقد الكثير .

٣- أن الشعب الأمريكي ليس عنده وقت ليفكر في شيء آخر غير عمله الذي يضمن له الحياة السعيدة الآمنة ، ومتعته ولذته التي يعمل من أجل تحقيقها وهي في الغالب متعة حسية تعتمد على الإفراط في إشباع الجانب الجسدي في الإنسان : طعام ، شراب ، جنس ..

٤- أن قوة أمريكا العسكرية ، ورفاهيتها الاقتصادية تجعل الشعب الأمريكي يسلم قيادته للإدارة السياسة ولا يعنيه كثيرا ما تفعل ما دامت تحقق له الحرية ، والرفاهية .

٥- عدم انتماء الشعب الأمريكي لحضارة عظيمة تضرب بجذورها في التاريخ يستلهم منها القيم والمثل العليا فتاريخ أمريكا لا يتجاوز قرنين من الزمان فهي مازالت في طور الطفولة الحضارية بالنسبة لشعوب ذات تاريخ عريق مثل مصر والعراق والصين ..

٦- أن التاريخ الأمريكي مبني على اغتصاب ما ليس له (١) واحتلال أرض الغير ، وقتل الأبرياء ، مما رسخ في عقيدة كل أمريكي أن القوة هي الوسيلة الوحيدة لتحقق ما تريد .

---

(١) فقد اغتصبوا أمريكا من سكانها الأصليين الهنود الحمر بعدما أذاقوهم كافة صنوف العذاب والإبادة .

٧- الثقافة التي يربى عليها الشعب الأمريكي تنشئه على الأنانية وحب الذات والتعالي على غيره من الشعوب فهو يُنَشَّأ على أنه أغنى ، وأقوى ، وأعلم من في الأرض وأن بقية الشعوب عبيد له وهي نفس فكرة شعب الله المختار عند اليهود .

كل هذه العوامل تجعل من الشعب الأمريكي شعب جاهل !!

نعم الشعب الأمريكي جاهل ، جاهل بمعرفته بغيره ، وجاهل بمعرفته بالحضارات القديمة ، وجاهل بمعرفته بالتعاليم السماوية السامية ، وإن كان يصنف على أنه مسيحي .

١١ سبتمبر ٢٠٠١

ومما زاد أمر الشعب الأمريكي سوءا أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حيث تنازل لإدارته السياسية عن كل حقوقه التي كان يفاخر بها مثل : الحرية ، والعدالة ، وسيادة القانون ، وحقوق الإنسان ، والشرعية الدولية ، تنازل عن كل شيء في سبيل أن تحقق له الإدارة السياسية أمنه وتقضي على أعدائه (محور الشر) حتى لا يتكرر ما حدث ثانية .

والإدارة السياسية بدورها لكي تثأر لكرامتها المطعونة ، ورغبة في مزيد من السيطرة شنت الحروب على الشعوب البريئة ، واتهمتها بأنها ضالعة فيما جرى لها.

فضربت أفغانستان لقتل أسامة بن لادن- الذي صنعته أمريكا لقتال الروس المحتلين لأفغانستان - المتهم الأول الذي خلت صحيفة اتهامه من دليل حقيقي يدينه في حادث ١١ سبتمبر الذي هو شرف - بالنسبة له - لا يدعيه ، برغم مرور أكثر من سبعة أعوام كاملة على الحادث فإن أمريكا وحلفاءها لم يجدوا دليلا حقيقيا لإدانته ،وبرغم ذلك دمرت أفغانستان ولم تجد أسامة بن لادن .

ونفس الشيء في العراق اتهمت صدام - الذي جهزته أمريكا لقتال إيران حليفتها أيام الشاه ضد روسيا ، وعدوتها بعد الثورة الإسلامية وحكم الخميني - بامتلاك

أسلحة التدمير الشامل ، واعترفت أخيرا أنها هي التي أعطته هذه الأسلحة ليضرب بها إيران ، وأن فواتير هذه الأسلحة مازالت أمريكا تحتفظ بها ، ونسيت أمريكا أن صدام حسين قد استنفد كل الأسلحة في قتال العرب والمسلمين ، فقد أباد مليوني مسلم في حروبه ضد شعبه أو ضد إخوانه من المسلمين – إيران والكويت – ودمرت أمريكا العراق تدميرا شاملا ولم تجد أسلحة التدمير الشامل دليل الاتهام .

واعترف بوش قبل أن يودع البيت الأبيض – إلى غير رجعة – بأن أجهزة الاستخبارات الأمريكية قد أخطأت عندما أكدت له وجود أسلحة تدمير شامل في العراق ، ومع ذلك فإنه غير نادم على حربه للعراق وتدميره لشعبها !!

هذه هي أمريكا وهذه هي سياستها سياسة علمانية صريحة ليس لها مرجعية إلا مصلحتها ، وإذا كانت تعادي الإسلام فليس بمنطلق ديني إذ ليس هناك عداء بين الأديان السماوية إنما تعاديه لأنها تحس أن الصحوة الإسلامية قوة قادرة على مواجهتها وزلزلت عرشها ، بعد سقوط الشيوعية وتمزق دولها وبعد أن كفر بها من كانوا يؤمنون بها .

أما بالنسبة لتصريح بوش بعد أحداث ١١ ستمبر بأنه سيشن حربا صليبية فهو تصريح سياسي وليس تعبيرا عن عقيدة دينية كما فهم البعض فهو يريد بهذا التصريح أن يجد مبررا لما سيقوم به من أعمال إرهابية لا تستند إلى دليل واحد لإدانة أي من الدول التي سيحاربها مما دفعه إلى التستر وراء الصليب ليكسب تعاطف الدول الغربية المسيحية وكذلك جموع الشعب الأمريكي وهو بذلك يضرب عشرة عصافير بحجر واحد :

١- يثأر لكرامته الجريحة .

٢- يفرض هيمنته على العالم بعد سقوط روسيا كقوة عظمى كانت تنازعه زعامة العالم .

٣- الاستيلاء على كثير من خيرات البلاد الأخرى وإنعاش الاقتصاد الأمريكي

٤- ضرب الإسلام بدعوى أنه يدعو إلى الإرهاب وبهذا يكون قد تخلص من عدوه القادم بعد انهيار الشيوعية .

٥- إخضاع المسلمين الذين يملكون أكبر احتياطي بترول في العالم بخلاف الثروات الطبيعية الأخرى .

٦- توجيه رسالة شديدة اللهجة إلى أي قوة تحاول أن تنازعها زعامة العالم .

٧- كسب تعاطف أوروبا المسيحية لمعاونته في مخططاته .

٨- كسب تعاطف الشرق المسيحي لمعاونته في مخططاته .

٩- إيجاد مبرر مقنع لشن هذه الحروب .

١٠-محاولة تقليص دور إسرائيل كمنفذة للسياسة الأمريكية ، وقيام أمريكا بتنفيذ هذا الدور بنفسها ؛ لتتخلص من الصداع الإسرائيلي المزمن لذا طرح بوش مشروع " خارطة الطريق " لحل المشكلة الفلسطينية ولأول مرة يعترف رئيس أمريكي بحقوق – أو بعض حقوق – الشعب الفلسطيني .

وهذا ما دفع كثير من الكتاب مثل جارودي المفكر الفرنسي وغيره من الكتاب الفرنسيين والألمان لتأليف كتب يؤكدون فيها أن ما حدث في ١١ سبتمبر ما هو إلا مخطط قامت به المخابرات الأمريكية أو على أقل تقدير قامت به جماعات إرهابية أمريكية ، وأن أمريكا حاولت الاستفادة منه إلى أقصى حد .

***

الفصل الحادي عشر

موقف مسيحيي العرب من مخطط الصليبيين الجدد

موقف المسيحيين العرب من اليهود

إن موقف المسيحيين العرب جد مختلف عن مسيحي الغرب وذلك يرجع لاختلافات جوهرية بينهما :

إن المسيحيين العرب معظمهم أرثونكس ، وقليل منهم كاثوليك ، وموقف الأرثونكس والكاثوليك يختلف تماما عن موقف البروتستانت (عقيدة غالبية الأمريكان والإنجليز) فيما يتعلق بالوعد الإلهي لبني إسرائيل ، وعقيدة شعب الله المختار، والعودة إلى أرض الميعاد .

الأرثوذكس والكاثوليك وعقائد اليهود

يعتقد الأرثوذكس والكاثوليك " أن مجيء المسيح قد نقض العهد الإلهي لإسرائيل وأنهاه . فبعد المسيح لا وعد ولا اختيار إلا لمن آمن بالخلاص وسعى إليه. وباب الخلاص مفتوح لكل الناس بلا استثناء، وعلى اليهود أن يؤمنوا بالمسيح مثلهم مثل غيرهم إذا أرادوا الخلاص.

أما النبوءات الخاصة بعودة اليهود فكانت تُؤوّل على أنها تحققت حينما أعادهم قورش الفارسي إلى فلسطين.

أما الفقرات الأخرى التي تتنبأ بمستقبل مُشرق لإسرائيل فتقتصر على إسرائيل الجديدة وحسب، أي الكنيسة المسيحية. وبعد ظهور المسيح وإنكار اليهود له أصبح

اليهود إسرائيل الجسدية الزائفة والشعب المختار للعنة الإله وأصبحت اليهودية اسماً لا ديناً " (١)

طوائف البروتستانت الغربية

أما ممثلي الطوائف البروتستانتية الأمريكية والغربية فتطرح نفس المقولات التي يرددها حاخامات اليهود حول القدس، بل إنها تغالي في أصوليتها المتزمتة وعدائها العنصري للعرب والمسلمين.

وهي التي تدفع باتجاه هدم الأقصى والإسراع ببناء ما يسمى الهيكل حتى يـأتي المسيح الجديد.

أقوال أبرز الرموز المسيحية العربية في البروتستانتية الغربية

يؤكد رموز المسيحية العربية – أرثوذكس وكاثوليك – رفـضهم التـام لعقائـد المسيحية البروتستانتية الغربية الأمريكية الخاصة بوعود بني إسـرائيل ، وحـق العودة ، والألفية ، والخلاص ...

يقول د. ميلاد حنا المفكر المسيحي البارز (عضو المجلس الأعلى للثقافة).

" اليهود ركبوا موجة كبيرة جداً في تفسير بعض نصوص دينية في أن يجعـل المؤمن المسيحي البروتستانتي علشان يبقى مسيحي كويس لازم يؤمن بحق إسرائيل في الوجود وإنها تستنى وإن دا يخلي المسيح ييحيى يقوم دا يحقق القيامة " (٢)

ويضيف الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك (عضو مجلس الشعب المصري الأسبق والمفكر المعروف) قائلا :

" الأخطر هو الاختراق الصهيوني للمسيحية من خلال إعمال بعـض نـصوص العهد القديم اللي هو كتاب اليهود لتبرير صفقات سياسية، يعني هو لما مـا يقـول حكاية الألفية دي، هو المقصود باختصار شديد، الألفية إنه لابد تنتهي ببناء الهيكل

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري "اليهود واليهودية والصهيونية " م ٣ / ج ١ / الباب الاول البروتستانتية والإصلاح الديني مرجع سابق .

(٢) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا يبقى تبرير للوجود الإسرائيلي وإنهاء للقضية الفلسطينية من أساسها، وللأسف الشديد أن هناك بعض المسيحيين يغرر بهم باعتبار إن دي تحت مقولات ونصوص دينية، ومن هنا لا.. لا ينظرون إلى مجمل العقيدة وموقف المسيحية بشكل عام من اليهود، ومعروف إن إحنا كنائسنا التقليدية اللي هي الأرثوذكسية والكاثوليكية ضد الحكم الألفي باعتبار إن إحنا الآن يحكمنا المسيح حكما روحياً، ولا وجود لما يسمى بشعب الله المختار، ولا أرض الميعاد، ولا حكم (ألفي) ولا كل الكلام دا كله الهراء الكذب، " (١)

د. رعوف أبو جابر (رئيس المجلس الأرثوذكسي في الأردن وفلسطين) يقول :

" إن الأرثوذكس هم كبقية العرب المسيحيين جزء لا يتجزأ من هذه الأمة، والتفكير واحد، نحن نشعر بأن الإنجيليين – طائفة من البروتستانت الأمريكيين – هم فعلاً من أسس البلاء، لأنهم يؤثرون بشكل كبير على السياسة الأمريكية المتعصبة ضد العرب والمسلمين " (٢)

لم يكتف المسيحيون العرب بالرفض السلبي لعقائد البروتستانتيين الغربيين بل قاوموا الحملات التبشيرية البروتستانتية الغربية واعتبروها خارجة على نهج تعاليم المسيحية الصحيحة وحذروا أتباعهم منها .

وإليك هذا الحوار بين أحد القسيسين الأرثوذكس ، وشاب مسيحي من نفس المذهب حول الجمعيات البروتستانتية التبشيرية :

" مارك : شفت يا أبونا الإعلان عن هذه النهضة الروحية .

أبونا : آه ده نهضة في جمعية بروتستانتية – خلوا بالكم .

مارك : إحنا مش ممكن نحضرها، لكن عايزين نسمع رأيك في اللا طائفية المزعومة بهذه الجمعية فهي تدعوا الناس للخلاص ، ولا تتعرض إلى أي عقيدة – و ليه بنقول أنها بروتستانتية ؟

---

(١) قناة الجزيرة برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

(٢) قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

أبونا : لأنها جميعه لا تنادى بالتعليم الصحيح وإنما تدعوا الناس إلى الخلاص بمفهوم غير أرثوذكسي خالى من الروحانية الأرثوذكسية. " (١)

إن المسلمين والمسيحيين العرب جنسهم واحد، ولغتم واحدة ، و حضارتهم واحدة ، ولهم تاريخ واحد وتجمعهم وثقافة واحدة ويهددهم خطر واحد .

وحدة الأمة العربية رغم اختلاف الأديان

وهذه طائفة من أقوال أبرز المفكرين المصريين المسلمين في الوحدة بين المسلمين والمسيحيين .

يقول الأستاذ عباس العقاد :

" ينقض التاريخ كل ما يقال عن التفرقة بين عناصر الوطنية المصرية .. فمن الحقائق الواضحة أن المسلمين والمسيحيين ، سواء في تكوين السلالة القومية ، ولا فرق بين هؤلاء وهؤلاء في الأصالة والقدم عند الانتساب إلى هذه البلاد " (٢)

يقول العلامة جمال حمدان في كتابه الفذ " شخصية مصر " :

" وليس صحيحا مطلقا في هذا المجال أن الموجة العربية الإسلامية أزاحت الأساس القبطي إلى جيب الجنوب المغلق في الصعيد ... فالانتشار العربي كان أشبه شيء بعملية الانتشار الغشائي الاسموزي : عالمية وسارية : عملية تغلغل لا زحزحة " (٣)

ثم يختم بحثه في هذا الموضوع قائلا :

" نخلص من هذا كله إلى أن مصر القديمة والمعاصرة جنسيا وغير جنسي ، جسم متجانس أساسا " (٤)

وتقول د . نعمات أحمد فؤاد :

---

(١) عن موقع مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالفيوم .
(٢) عن كتاب " شخصية مصر " د. نعمات أحمد فؤاد ص ٢٧٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٣)د . جمال حمدان " شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان " ص ٤٣ دار الهلال
(٤) نفسه ص ٤٥

" إن كل عقيدة دانت بها مصر ، وكل رأي قالت به مصر ، وكل عمل مارسته جزء من نسيج الشخصية المصرية ، الخطأ منه والصواب اعترفنا أم أنكرنا .. أننا بهذا كله ، مصريون .

المسيحية دين سماوي كتابي دانت به مصر وجعله الإسلام شرطا للإيمان به . فلن يكون المسلم مؤمنا حتى يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإنجيل كتاب الله .. وعيسى نبي الله .

والإسلام دين كتابي اعتنقته مصر بعد أن أصهر إليها وأعطت رسوله دون غيرها ، الولد ، كما أعطت الولد قبلا ، أبا الأنبياء إبراهيم .

فإسماعيل بن إبراهيم أمه هاجر المصرية .

وإبراهيم بن محمد أمه مارية القبطية .

يجب أن يعرف هذا الكبار قبل الصغار حتى لا تكون عقد ولا استعلاء ولا تفاضل ولا تناحر يتسلل منه إلينا مستعمر يفرق ليسود ، أو جاهل بالدين أو التاريخ يحسب التعصب تدينا فيضر بالدرجة الأولى من يتعصب لهم بما يفتح عليهم من ردود فعل من أمثاله من الجهلاء في الطرف الآخر " (١)

ويقول عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية :

" ومع كون الأقباط عاشوا دهرا طويلا وهم أصحاب مشيئة واحدة يأتمرون بأمر رئيسهم الديني وينتهون بنهيه فإنهم لم يجتمعوا يوما لتفريق عصا الجماعة ولا شق ثوب الائتلاف ولا تنافروا مع المسلمين بسبب من الأسباب : دينيا ، أو دنيويا ، ولا مالوا للخروج من ظل عدل الحكومة المصرية إلى حرارة غيرها لعدم الموجب "(٢)

حتى أعداء الأمة لم يستطيعوا أن ينكروا الامتزاج الكامل بين عنصري الأمة : المسلمين والمسيحيين فها هو اللورد كرومر المعتمد البريطاني كتب عن القبط في فقال : " إن تجربته الخاصة تقوده إلى عدة نتائج منها أن القبطي المصري قد

---

(١) د. نعمات أحمد فؤاد " شخصية مصر " ص ٢٦٨ مرجع سابق .
(٢) عن كتاب " شخصية مصر " د. نعمات أحمد فؤاد ص ٢٧٠ مرجع سابق .

اكتسب خصائص أخلاقية يتصف بها المسلم المصري ... وأن الخلاف الوحيد بين القبطي والمسلم أن الأول مصري يتعبد في كنيسة مسيحية ، بينما الثاني مصري يتعبد في مسجد محمدي " (١)

المسيحيون العرب يؤكدون هذه الوحدة

" معروف إن المسيحيين العرب قد شاركوا وساهموا في صنع الحضارة الإسلامية باعتبارنا حضارة متعددة الروافد من لغة وتاريخ وتراث وتقاليد وعلى رأس هذه الروافد بالتأكيد العقيدة، وبالتالي المسيحيون العرب شركاء في تلك الروافد باستثناء العقيدة، وده ما يسمى بالإسلام الحضاري والذي يميزهم عن المسيحيين الغرب الذين يقفون من الإسلام والمسلمين موقف العداء، و لابد أن نتكلم بصراحة شديدة يعني، لا يمكن أن نعزل أحداث سبتمبر عن الفكرة الاستعمارية الأمريكية الذي كانت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والذي كانت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، والذين كان فيها الهدف استبدال الإسلام كعدو بديلا للشيوعية،ومن هنا ظهرت ما يسمى بفلسفة.. وأصّلوا ونظّروا لفلسفة (هنتنجتون) صراع الحضارات، وبالتأكيد صراع الحضارات ملخصة إنه صراع بين الغرب المسيحي اليهودي وبين الشرق المسلم، ومن الطبيعي جداً ومن المنفعة الذاتية أن يكون المسيحيون العرب شركاء في ذلك الصراع المصطنع لأنه يقع سوياً عليهم، لأنهم يتألمون سنوياً ويأملون سوياً، إذاً الصراع هو تبرير لأهداف استعمارية أمريكية للسيطرة على الشرق الإسلامي من خلال استبداد مسيحي، طبعاً استبداد الغرب المسيحي ضد الإسلام مش ضد أي حد تاني، أكبر دليل بقى هو استغلال أحداث سبتمبر لإلصاق الإرهاب بالإسلام والتغرير بالمسيحيين العرب للوقوف على أرضية أمريكية تحت مقولة الحرب الصليبية، وأيضاً لتصفية القضية الفلسطينية وضرب العرب بعد أفغانستان، وهذا بالتأكيد هو إعادة لصياغة المنطقة والعالم لصالح أميركا ؟ " (٢)

ويقول الأنبا يوحنا قُلته (نائب بطريريك الكاثوليك في مصر) :

---

(٣) طارق البشري " المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية " ص ٤١ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك (عضو مجلس الشعب المصري الأسبق والمفكر المعروف) قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢ الجزيرة نت .

" بالنسبة للمسيحيين العرب أنا أود أن أقول نحن -كمسيحيين عرب- ننتمي لأمتنا العربية قبل كل شيء، نحن لسنا غرباء، ولا أقليات ولم يتعامل المسلم -في تاريخ الحضارة العربية- لم يتعامل مع المسيحي العربي أبداً كغريب أو كأجنبي أو كوافد أو كجالية، في كل التاريخ -شهادة حقة- بأن المسيحي العربي كان دائماً يُعتبر مواطناً أخاً لأخيه المسلم، طبعاً هناك بعض الصعوبات التي مر بها التاريخ، وهناك بعض العقبات في كل مجتمع، لكن الحضارة العربية قدمت شهادة، الحضارة العربية الإسلامية قدمت شهادة للعالم بالتعددية، بالتنوع، بتعدد الثقافة، باحتضان كل الثقافات وكل الآراء وكل اختلاف المذاهب والملل.

فيه نقطة أخرى ... لم نعرف نحن في عالمنا العربي فكرة التعصب الديني والتطرف الديني بشكل مرفوض تماماً إلا .. بعد قيام إسرائيل، فلنعترف بصراحة، قيام إسرائيل كان أحد أسباب ظهور النعرة الدينية زرعت مع ما زرعته." (١)

د. ميلاد حنا: " إن هذه الهجمة الشرسة الغربية على الحضارة العربية وعلى الأمة العربية الإسلامية ينبغي لنا مؤقتاً أن ننسى هذه الخلافات العقائدية، وأن نتوحد كمسيحيين عرب، أننا عرب في الأول قبل أن نكون مسيحيين، أننا مصريين قبل أن نكون أرثوذكس، وهذا الأمر في غاية الأهمية ويعطي مناخ عام، ليه بقى ؟

لأنه ثبت الآن أن الحضارة الغربية اللي بتدعي أنها عندها حقوق إنسان، وعندها.. وعيب إن الواحد يسأل واحد عن دينه تحولت إلى تعصب ديني، فينبغي على الحضارة العربية الإسلامية -كما كانت عبر التاريخ- أن تكون مظلة لقبول الآخر، يعني أنا أذكر إنه أولاً فيه موضوع أهل الكتاب يعني أهل مودة، أهل الذمة يعني في ذمتنا وفي ذمة الرسول، ثم تجاوزنا الأمر الآن وبقينا في مواطنة، فلو إحنا قدمنا للعالم أن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة قابلة للآخر، وأنها توجد تحالف بين المتعدلين من جميع الأديان الإبراهيمية بما فيها اليهود، هذا يعطي نغمة جديدة." (٢)

---

(١) قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

(٢) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

ولم يكتف المسيحيون العرب بموقف المشاهد لما يجري للمسلمين من هجمة شرسة بعد أحداث ١١ سبتمبر على الإسلام والمسلمين بل وقفوا موقفا مشرفا أثبت للعالم أجمع أن هجوم الغرب على العرب والمسلمين إنما هو هجوم علي المسيحيين العرب أيضا لأنهم أبناء الحضارة العربية الإسلامية ومن المساهمين في صنعها .

واستمعوا إلى ما قام به الدكتور رياض جرجور (الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط).

" خطة المواجهة، إحنا بدأنا فيها بحملات توعية في أميركا وفي كندا عن الإسلام ومفهوم الإسلام، وصدر عن مجلس كنائس أميركا مثلاً كتاب عن Islam the Right Set to God، "الإسلام الطريق الصحيح إلى الله"، وكان فيه عدة مجموعات اللي هي كانت من العالم العربي ومن أميركا اللي دارت على الكنائس وعلى معظم المؤسسات وفي الجامعات اللي عملت حملة.. كان عندها حملة توعية عن مفهوم الإسلام، لتصحيح المفهوم الخاطئ يا اللي صار بعد أحداث ١١ أيلول.

حالياً نحن فيه عندنا خطة نتعاون فيها مع مجلس كنائس أميركا، ومع مجلس كنائس كندا، وبالذات مع الكنيسة المشيخية في أميركا بإرسال عدد كبير من المسلمين العرب مع مسيحيين عرب إلى أميركا للحديث -طبعاً- حول التعايش الإسلامي المسيحي من جهة، وأيضاً لإعطاء الصورة الصحيحة عن اللي نحن بنعيشها في عالمنا العربي كمسلمين ومسيحيين معاً، منادين بالعدالة والإسلام للجميع، وطبعاً منددين بالإرهاب لكن مميزين ما بين المقاومة وحق الفلسطينيين"(١)

ويقول بطريرك السريان الكاثوليك الإنطاكي أغناطيوس بطرس الثامن عبد الأحد :

" قبل العدوان الأميركي - البريطاني على العراق، أعربنا عن احتجاجنا وأرسلنا مذكرات احتجاج إلى الرئيس الأميركي جورج بوش والرئيس الفرنسي جاك شيراك والأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان، وقداسة البابا يوحنا بولس الثاني، لقد رفعنا صوتنا، وأكدنا فيها أن الدين المسيحي يمنع كسائر الأديان أي استخدام للعنف لقهر

(١) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢

أي شعب، أو لقلب نظام، أو استهداف الأطفال والشيوخ والنساء، وكان التجاوب من قداسة البابا كبيراً.

وأضاف : ما زلنا على موقفنا بعد حصول العدوان، ومصرين على أنه عدوان غاشم وغير عاقل وهو حرب وجريمة ضد الإنسانية ولا نقبلها بتاتاً.

وأضاف: إذا كان الهدف استهداف الرئيس العراقي صدام حسين، فلا يجوز أن يقتل شعب في سبيل شخص، وعلى هذا الأساس فإن موقفنا واضح وصريح.

وتابع قائلا : رغم هذا العدوان لا خوف على الحوار الإسلامي - المسيحي، ففي لبنان يسير على طبيعته، وكنت في القدس، وهناك حوار وتراث إسلامي - مسيحي، وكذلك الحال في الأردن، إذ جرى حوار بين الفاتيكان والمسلمين تحت رعاية الأمير حسن، وكذلك في الشام تجري حوارات عديدة، ونحن نأمل أن لا يبقى على مستوى النظريات، بل ينتقل للعلاقات الطبيعية الاجتماعية بين الشعب العادي بحيث يتقارب الشعب نفسه مسلمين ومسيحيين، ليتعرفوا على بعضهم، ويأخذوا فكرة محبة وتصالح وتعايش.

وختم البطريرك عبد الأحد بالقول :

" نحن لسنا أعداء بعضنا وإنْ اختلفنا في بعض العقائد الدينية، ولكن العقيدة الأساسية هي وحدانية الله والثواب والعقاب والخير والصلاح وهذه الأمور كلها أساس الدين المسيحي والإسلامي وهما متوافقان عليها " (١)

إن المسيحيين العرب مع إخوانهم المسلمين وقفوا صفا واحدا ضد أي غاز أو معتد مسلما كان أو مسيحيا يدافعون عن أوطانهم وبلادهم ضد من يحاول الاعتداء عليها ، وشواهد التاريخ أكثر من أن تحصى " حيث شاركوا بكل قواهم في التصدي للخطر الصهيوني سواء بدمائهم أو بأقلامهم التي كانت لها صولات وجولات في فضح الخطر الصهيوني والتصدي له من خلال كتابات ومواقف كثيرة ، ونخص بالذكر هنا موقف الكنيسة القبطية المصرية وعلى رأسها قداسة البابا

---

(١) عن موقع . www.bintjbeil.com .

شنودة الذي أصدر أوامره إلى أتباعه بعدم زيارة مدينة القدس ما دامت تخضع للاحتلال الإسرائيلي هذا بالرغم من وجود اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل، كما أن البطريرك الماروني نصر الله صفير قال تعليقاً على الحرب التي تنوى أمريكيا شنها على أفغانستان وبعض دول المنطقة : إن المسيحيين في لبنان جزء من الشرق وان الاعتداء على هذا الشرق اعتداء على المسيحية ." (١)

وامتزجت دماء المسلمين بدماء المسيحيين في الثورات ضد المستعمرين أو في الحروب ضد الغزاة المعتدين لأنهم على يقين أن المستعمر لا يفرق بين مسلم ومسيحي إنما يصنفهم على أنهم مصريون أو عرب يجب سحقهم والاستيلاء على أراضيهم دون النظر إلى انتماءاتهم الدينية .

يقول د. ميلاد حنا :

" الحرب الصليبية المسيحيين تحت راية الصليب لما دخلوا بيت المقدس قضوا على اليهود والمسيحيين، قضوا على اليهود والمسلمين، إنما لما جه صلاح الدين في ١١٨٧م صلاح الدين إدّى – أعطى- فلوس لليهود ورجعهم وخلاهم يبنوا المعابد بتاعتهم، هنا فيه سماحة تقابل القتل."

وتجلت الوحدة الوطنية في أروع صورها في الصراع العربي الإسرائيلي مع استمرار الانتفاضة الفلسطينية والذكرى السنوية الأولى لمجزرة جنين، حيث كانت للطوائف المسيحية مع الإسلامية دور بارز في ردع العدوان الإسرائيلي، الذي لم يُميز بين كنيسة ومسجد، وبين مسلم ومسيحي، إذ كان هدفه القضاء على الانتفاضة والتراث العربي الإسلامي والمسيحي في فلسطين، مهد الحضارة ومولد سيدنا المسيح (عليه السلام).

وتقول السيدة بهية الحريري (أخت رئيس وزراء لبنان الراحل) :

" لا شيء أفضل لفهم رسالة المسيحية والإسلام في السلام والعدالة، من تأمل ما يجري في فلسطين والعراق، والتي كان للفاتيكان، ولقداسة البابا، ومجلس الكنائس

---

(١) عن موقع الصليبيون الجدد www.alshaab.com

العالمي، موقفٌ واضحٌ منها، نريد أن نثمره اليوم وغداً في عيشنا المشترك، ووحدتنا الوطنية للتأكيد على عروبتنا، وعلى اعتزازنا بقوميتنا وبقيمنا الدينية المسيحية والإسلامية· ففي هذه المنطقة تكوّنت التقاليد العريقة للتنوع وإدارته، وللمعاني السامية للعيش الإنساني الحر والكريم· "

والخلاصة فإذا كان المسيحيون العرب مسيحيين عقيدة فهم مسلمون تاريخا وحضارة وثقافة ، وهم يؤمنون أن الأهداف العربية واحدة فيجب التكاتف من أجل تحقيقها وصد كل هجمات أعداء العروبة التي يشنها الغرب المسيحي اليهودي الصهيوني .

قال المطران تيمو أساوس (تيموس) السكرتير العام لبطريركية الروم الأرثوذكس بالقدس :

" "إننا مع هذا الشعب حتى تحقيق طموحاته الوطنية، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، ونحن نعيش بهذه البلاد المقدسة متضامين مع هذا الشعب الذي ينتظر الحرية " (١)

***

(١) عن موقع إسلام أون لاين ٣-٢-٢٠٠١

الفصل الثاني عشر

العرب ومخطط الصليبيين الجدد

هل المخطط الأمريكي الصهيوني الاستعماري خاف على حكام العرب ؟

لا .. ليس المخطط الصهيوني الاستعماري بخاف على حكام العرب فهم يعلمون بهذا المخطط وعلى أقل تقدير يعلمه كبار قادة العرب ؛ فلقد أفصح عن هذا المخطط كثير من قادة أمريكا وإسرائيل ، كما تكلم عنه كثير من أصحاب الفكر الغربي والعربي وبات أوضح من الشمس في كبد السماء .

إذن الأمر ليس بخاف على جميع أطراف الصراع : المسيحية الغربية ، واليهودية الصهيونية ، والعرب المسلمين .

و بعد أن عرفنا كلا من الموقفين الأمريكي الغربي ، واليهودي الإسرائيلي من الصراع ، فترى ما هو الموقف العربي و الإسلامي تجاه هذا الصراع ؟

إذا كان الموقفان : الأمريكي الغربي ، والإسرائيلي الصهيوني يستمدان قوتهما من تأييد غالبية شعوبهم ، وقوة سلاحهم ، وتقدم علومهم ،وتقدم صناعاتهم ، وقوة اقتصادهم ، وسيطرتهم على البلاد العربية الأخرى إما بالاحتلال المباشر الكلي كفلسطين والعراق أو الاحتلال المباشر الجزئي كسورية والأردن، أو الاحتلال غير المباشر– عن طريق وجود قواعد أمريكية ضخمة – كقطر والكويت والسعودية ...

هذا حال الحكام العرب أما عن حال الشعوب العربية .

عرفنا في الفصول الثلاثة الأخيرة حقيقة المشروع الصهيوني : النشأة ، والهدف ، وآلية التنفيذ ، كما عرفنا ما آل إليه الصراع العربي / الإسرائيلي فبعد أن كان

اليهود يحلمون بوطن قومي في فلسطين في كنف الفلسطينيين أصحاب الدولة ، صار الحلم الفلسطيني هو إقامة وطن قومي في كنف دولة إسرائيل !

والسؤال الآن ما موقف العرب شعوبا وحكومات مما جرى ؟ وما استراتيجيتهم التي أعدوها للخروج من هذا المأزق الراهن ؟ وما آلية تنفيذ هذه الاستراتيجية ؟

إن الموقف العرب – مع الأسف – ليس فقط غير موحد بل متضارب وأحيانا متصارع فليس هناك إجماع عربي على شيء فلا هدف موحد ، ولا خطط مدروسة ، ولا حتى فهم صحيح للحقيقة الصراع .

الحكام العرب والمخطط الصهيوني

النُظُم العربية نُظُم دكتاتورية في عمومها لا تستمد شرعيتها من تأييد شعوبها ولم تصل لسدة الحكم بالاقتراع الحر المباشر بين أكثر من مرشح كسائر حكام الأمم المتقدمة إنما جثموا على صدور شعوبهم إما عن طريق الانقلابات العسكرية أو الوراثة أو الانتخابات المزورة هذه هي الطرق الثلاثة التي لا يعرف حكامنا طرقا سواها للوصول إلى كراسي الحكم .

لذا فإن حكام العرب يستقْوُون بأمريكا على شعوبهم بدلا من الاستقواء بشعوبهم على أعدائهم ، والشعوب بدلا من العمل على تحرير أنفسها أولا من حكامهم الطغاة عن طريق الممارسة الإيجابية للعملية الانتخابية لاختيار من يمثلهم : في رئاسة الجمهورية ،أو البرلمان ، أو مجلس الشورى أو المجالس المحلية ... يتقاعسون عن أداء هذا الواجب الديني الوطني ، ومن يذهب منهم للإدلاء بصوته يذهب غالبا ليصوت لصالح أصحاب الرشاوى الانتخابية أو للعصبية القبلية وليس هناك من يصوت لصالح الوطن . وهذا هو سر ضعف الأمة العربية وهوانها . حكام مستبدون وشعوب سلبية جاهلة ،ونخب إما أصحاب مصالح أو عبيد لأيديولوجيات أجنبية علمانية أو سلفية رجعية .

التنظيمات الإسلامية والمخطط الصهيوني

نتيجة لفشل الحكام في التصدي الجدي لأعداء الأمة ، ونتيجة لاستبدادهم وقهرهم لشعوبهم ، وغياب العدالة الاجتماعية تكونت جماعات وتنظيمات تبنت الخيار

العسكري كحل للصراع العربي الصهيوني ، والذي عمل على ظهور هذه الجماعات عدة أسباب هي :

١- فشل الحكومات العربية في التصدي للمخططات الصهيونية التي استشرت في المنطقة كالسرطان ، بل راح بعضها يعمل على تنفيذ هذه المخططات .

٢- استبداد الحكام واستئثارهم بالحكم ، ووقوفهم ضد التداول السلمي للسلطة ، غياب الحريات ، وعرقلة قيام أحزاب جديدة تعبر عن آمال الشعوب ، وإجهاض الأحزاب القديمة .

٣- المذابح اليومية التي ترتكبها أمريكا وإسرائيل في العراق وفلسطين ولبنان ، والتي لم يعد السكوت عليها ممكنا وقد طفح كيل العدوان .

وتتميز هذه الجماعات بعدة سمات :

١- قلة عددها وعتادها .

٢- افتقارها إلى الحنكة السياسية التي تؤهلها لتحديد مصائر شعوب .

٣- السعي إلى تنفيذ أجندتها الدينية أو السياسية دون تنسيق مع حكوماتها .

٤- تبني أفكار مثالية أيديولوجية أو شعارات عنترية .

٥- مصلحة الجماعة أو التنظيم مقدمة على المصلحة الوطنية إن تعارضتا .

٦- عدم احترامها للمعاهدات التي أبرمتها حكومتها مع إسرائيل . (١)

الشعوب العربية والمخطط الصهيوني

فيغلب على الشعوب العربية الحماس للقضية الفلسطينية والعراقية واللبنانية بسبب : خطباء المساجد ،والكتب الدينية التي تتناول هذه القضية ، وصور الاعتداءات الوحشية التي يبثها التلفاز كل يوم من الأراضي المقدسة الفلسطينية أو العراقية أو اللبنانية لكنهم لا يملكون فعل شيء إلا الدعاء للمجاهدين ، وعلى اليهود الملاعين

---

(١) انظر " فتح وحماس من مقاومة الاحتلال إلى الصراع لى السلطة " للمؤلف دار الإبداع للصحافة والنشر .

ومن يعاونهم من الأمريكان والإنجليز ، وحكام العرب ، وقد يتبرع بعضهم للشعوب المحتلة بدراهم معدودة .

لكنهم بعد العودة من صلاة الجمعة أو بعد مشاهدة الصور الدامية للاعتداءات الإسرائيلية أو الأمريكية يعود معظمهم للانشغال بأعمالهم الدنيوية التي لا تتسم أغلبها بروح الإسلام والتي لا تتناسب مع حماسهم للقضية الفلسطينية أو العراقية إنما تتسم بعدم مراقبتهم لله ، و الإهمال ، وعدم الإخلاص ، والفساد ، والمحسوبية ، والرشوة ، واللهو المحرم ، و ...

فينطبق عليهم قول أبي العتاهية

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لا تجري على اليبس

الكُتّاب العرب والمخطط الصهيوني

تهدف الكتابات العربية عامة والدينية بصفة خاصة التي تتناول الصراع العربي الصهيوني إلى رد كل مصيبة حلت بالعرب والمسلمين إلى اليهود وراح الكتاب يصفون اليهود بعدة صفات خارقة منها :

١- أن اليهود هم المتحكمون في العالم بما لهم من قوى خارقة في التأثير على صانعي القرار الغربي عامة والأمريكي خاصة .

٢- أن اليهود هم المتحكمون في الاقتصاد العالمي بما يملكون من كبرى الشركات و البنوك ، فإذا كان الاقتصاد العالمي يتحكم فيه خمس شركات كبرى فأصحاب هذه الشركات يهود .

٣- أن اليهود متحكمون في الإعلام الغربي بل الإعلام العالمي كله .

٤- أن إسرائيل تمتلك من القوة النووية والقوة العسكرية ما تستطيع أن تفني به أي قوة معادية لها .

٥- أن جميع ما ينزل بنا من محن ومصائب مصدره الحقيقي هو اليهود .

٦- أن أي عمل إيجابي يهدف إلى خدمة الإسلام والعروبة فإن الذي يحبطه ويجهضه هم اليهود .

٧- إن جميع الشركات و المؤسسات الاقتصادية في الوطن العربي ملك لليهود ويديرونها من الباطن .

٨- أن أي رئيس عربي لا يمكن أن يتخذ قرارا مهما إلا بعد أن يجيزه اليهود

٩- إن أي كتاب أو فيلم أو مقال في جريدة أو مجلة أو شيء أيا كان فيه إدانة لليهود فإنه يصادر وإن صدر يجرم صاحبه ، وربما يصفي جسديا .

ويستشهد هؤلاء الكتاب على صحة رأيهم بالنصوص الدينية كالتوراة والتلمود وبالكتاب المنتحل [1] على الصهيونية " بروتوكولات حكماء صهيون " الذي يؤكد على :

" أن السياسة لا تخضع للأخلاق ، وأن على اليهود أن يستعملوا الحيلة والدهاء والنفاق ويستغلوا الحريات العامة وإمكانيات النقد لتقويض كيان الدول، ويسعوا لإيقاعها في الحروب على ألا تؤدي هذه الحروب إلى تعديلات في حدود الدول أو إلى مكاسب إقليمية ليتمكن رأس المال فقط من الخروج بالغنائم ، وينبغي تركيز المنافسة في المجتمع ليجري الجميع نحو بريق الذهب ، ويصبح الدين والسياسة مهزلتين ويسود رأس المال كل شيء . و التأكيد على الصحافة وسيطرة اليهود عليها ، واستخدام المال والإعلام والعلم في التأثير على الدول، والاعتماد على أي أسلوب مهما كان غير أخلاقي كالرشوة والفساد والمرأة والغش والإرهاب، ومنها أن على الدولة اليهودية أن تعتمد على العنف والرياء، وعلى اليهود أن يستغلوا الخلافات بين الدول و يبسطوا نفوذهم عليها ولا يتركوا اتفاقا دون أن يكون لهم ضلع فيه. " (٢)

وبهذا صنع هؤلاء الكتاب دون أن يدروا من اليهود أسطورة خارقة وقوة لا تقهر حتى من القوى العظمى وترتب على ذلك أن عُدَّت أي محاولة لمحاربة اليهود من قِبَل العرب محكوم عليها بالفشل الذريع ، وهم بهذه الأوهام إنما يثبطون الهمم وينشرون اليأس ويحبطون الآمال .

---

(١) أثبتت الدراسات عدم صحة نسب هذا الكتاب لليهود أو الصهاينة ، انظر " فلسطين أرض النبوات الإلهية " لرجاء جارودي ، و" موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " لعبد الوهاب المسيري .
(٢) انظر " برتوكولات حكماء صهيون " محمد خليفة التونسي دار التراث .

وما على المسلمين إلا الانتظار إلى حين يجيء المهدي المنتظر – الذي حان مجيئه في زعمهم – لكي يخلصهم من اليهود .

وعاظ الدين والمخطط الصهيوني

إن بعض إخواننا من الكتاب المسلمين يشايعهم معظم الوعاظ الدينيين يريدون أن يحولوا الصراع العربي الأمريكي اليهودي إلى صراع عقدي بين الأديان الثلاثة ويتخطفون تصريحا من هنا ، أو فقرة في كتاب من هنالك ؛ لإثبات الصراع العقدي معتقدين أننا لو سلمنا بأنه صراع عقدي وأن الأمريكان واليهود يحاربون من أجل عقائدهم الدينية فقط فإنه في هذه الحالة يمكن أن نحاربهم بنفس سلاحهم .

وهذا يعني دخول الإسلام الدين الحق في حرب مع المسيحية و اليهودية الديانتين الباطلتين مما يترتب عليه هزيمة أمريكا وإسرائيل وانتصار العرب والمسلمين !!

والدين الحق لا ينتصر بغير مؤمنين به يبيعون حياتهم من أجله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ }(التوبة:٣٨)

إن الإسلام لا ينتصر بالشعارات الجوفاء إنما ينتصر بالإيمان الصحيح الذي يطهر القلوب ويوقظ العقول وينشط الأبدان ينتصر بالعلم الشامل لكل دروب الحياة ينتصر بالعمل جاد المخلص المبني على منهج علمي صحيح وهذا كله يحتاج لإعداد كبير وجهد ومثابرة .(١)

فإن كان القصد من تحويل الحرب العربية الإسلامية مع الصليبيين الجدد واليهود الملاعين إلى حرب عقدية لشحذ الهمم وإطلاق الطاقات ، وإعداد العدة واستكمال أسباب النصر فنحن نؤيد هذا ونباركه .

وإن كانت مجرد شعارات جوفاء ، وخطب عصماء ؛ لإشعال حماسة دينية رعناء ، تنتهي بالدعاء على الأعداء ، بأن ييتم الله أولادهم ، ويرمل نساءهم ، ويجعل الدائرة عليهم ، وينفل المسلمين أنفالهم ، ثم يعود كل إنسان إلى ما كان

---

(١) انظر كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللا أصولية " للمؤلف مكتبة مدبولي .

يعمله من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات فلا أهلا بها دعوة تحث على التواكل والسلبية .

إن أهم آفات الشخصية العربية النزعة الخطابية والإفراط في استعمال العبارات نفسها في موضعها أو غير موضعها ، وفي المناسبة الملائمة وغير المناسبة لها لا فرق مما يفقد أهم الكلمات معناها ، وينزع من أخطر العبارات مدلولها وتأثيرها في النفوس ، **فاللغة سلاح ذو حدين هي أمضى من السيف في يد من أحسن استعمالها ، وباهتة خاوية في يد أو على لسان من يفرط في دقتها ، ويتوسل استغلالها في كل حين ، فتنقلب اللغة على أصحابها . لذلك أصبحت كثيرا من الكتابات والخطب عبئا على الأمة وميدانا لفظيا نستغني به عن الواقع ، وحجابا يمنع الرؤية ، ومزيجا يتساوى فيه الرئيسي والثانوي ويضيع فيه الجوهري** .[1]

نحن نقول هذا لأن كثيرا من المسلمين بعد الهيمنة الغربية الأمريكية الصهيونية على البلاد العربية تزعزع إيمانهم بالله فيا طالما ارتفعت الأكف بالدعاء بالنصر للمسلمين وبالدحر للكفرة الملاعين وكانت النتيجة مزيدا من الهزائم للمسلمين ومزيدا من الطغيان و التجبر لأعدائهم فلابد أن يعلم الدعاة أن الدعاء وحده لا يكفي إنما لابد أن يشفع بالعمل الصالح والجهاد المستمر حتى يتحقق نصر الله .

{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (الحج : ٤٠)

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (التوبة : ١٤- ١٦)

من هو عدونا الحقيقي وشواهد التاريخ على ذلك ؟

لو أن الغزو العثماني العسكري الغاشم لم يحط على أمة العربية الإسلامية كقطع الليل المظلم لاستمرت النهضة الإسلامية ولما غرقت البلاد الإسلامية في بحر الظلمات .

([1]) فيصل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " مرجع سابق ص ٢٢

لقد استغلّ العثمانيون اسم الخلافة الإسلامية التي يعلمون مدى تأثيرها في نفوس المسلمين الذين كانت العاطفة الدينية لديهم أقوى من أي رابطة أخرى ليقضوا بها على حضارة الإسلام ويحبطوا بها كل حركة تحرر " كان الحكم العثماني سيئا فهو حكم أجنبي جامد متخلف أسدل على الشرق العربي أستارا من التخلف والتأخر في كافة المجالات ونواحي النشاط ، ومع ذلك فإن العرب في المنطقة لم يحاولوا الانتفاض عليه ويرجع ذلك إلى الرابطة الدينية التي ربطت العرب بالعثمانيين فإن بلاد المسلمين كانت تعتبر دولة واحدة يطلق عليها (دار الإسلام) ولما كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية حملت لواء الحرب أول ما حملت على الدول الأوربية (بلاد الكفر) ، وكانت العاطفة الدينية في تلك القرون من أقوى الروابط ، وكانت العاطفتان الدينية والوطنية ممتزجتين بحيث كان من الصعب الفصل بينهما ، ولم يكن للعروبة كيان منفصل عن الإسلام وإلى ما بعد قيام الحرب العالمية الأولى وفي مطلع العقد الثاني من القرن العشرين ظل هذا الرباط يشد جماهير كثيفة من العرب إلى الخلافة الإسلامية " (1)

لقد كان العثمانيون السبب ليس فقط في تخلف الأمة الإسلامية بل كانوا السبب أيضا في وقوعها في براثن الاحتلال الأجنبي : الإنجليزي والفرنسي والإيطالي لسنوات طويلة مما صير الأمة الإسلامية إلى هذا الوضع المهين في الوقت الراهن

لقد شهد الشرق والعالم العربي في ظل الاحتلال العثماني انحطاطهما الطويل الذي امتد قرونا بينما كان الغرب والعالم الأوروبي يصنعان نهضتهما ويمهدان لمد نفوذهما إلى كل مكان .

وهذا الانحطاط العثماني هو الذي جعل العرب في فلسطين وخارجها مكبلي اليدين أمام القوة العلمية والتكنولوجية والعسكرية التي فرضها الاستعمار الغربي عليهم ، والتي تسلّحت بها الحركة الصهيونية لغزو فلسطين ، فالتخلف العثماني هو مصدر الداء . (2)

---

(1) نفسه ص ٣٤ ، ٣٥ .
(2) نفسه ص ٣٤

وشواهد التاريخ تؤكد أنه لا نصر بغير إيمان حقيقي ، و إعداد سليم ، و لا هزيمة إلا بسبب : ضعف الإيمان ، و الجهل ، والتخلف ، والخيانة ، و التواكل ، والاغترار بالنفس .

إن سبب نكبة الأمة العربية يرجع إلى ما أصاب الأمة العربية في العصور الأخيرة من وهن في الأخلاق ، وضعف في الإيمان والعزيمة الوطنية ، وما انتشر فيها من الفوضى وضعف التنظيم ، والغفلة الشديدة عن مواطن الخطر المحدق بكيان الأمة العربية بسبب الغزوة الاستعمارية والمؤامرة الصهيونية ، والاستخفاف بالأخطار استخفافا ناشئا عن الإهمال وخور العزيمة والاتكال ، والجهل بنيات المستعمرين الرهيبة ومكرهم السيء (1)

والدارس للحروب التي انتصر فيها العرب والمسلمون يجد أنها تقوم جميعها على الإعداد الجيد والتوكل الصحيح على الله.

أما الهزائم فسببها جميعا : ضعف الإيمان ، والجهل ، والتخلف ، والخيانة ، والتواكل ، والغرور وترديد الشعارات الجوفاء .

وإليك بعض الأمثلة من الهزائم الكبرى في تاريخ مصر والعالم العربي :

قنصوه الغوري السلطان المملوكي الذي لم يعمل على تحديث بلاده وتطويرها لتساير العصر ماذا قال عندما جاءه سليم الأول سلطان الترك غازيا ومسلحا بالمدافع قال : لن أحارب إلا بالسيف الذي حارب به رسول الله !

فكانت نتيجة هذا التخلف أن مات تحت سنابك خيل الأتراك ودالت دولته إلى الأبد .

ومحمد كريم حاكم الإسكندرية عندما طلب منه " نلسون" قائد الأسطول الإنجليزي " أن يسمح له بالمرابطة في المياه المصرية في انتظار مقدم الأسطول الفرنسي الذي لا قِبَل للمصريين بمواجهته ...انتهر السيد محمد كريم في كبرياء وصلف رسل الأسطول الإنجليزي وطلب منهم أن يسرعوا بالابتعاد عن المياه المصرية و

---

(1) السيد محمد أمين الحسيني " حقائق عن قضية فلسطين " مرجع سابق ص ١٧٣

إلا أطلق عليهم المدافع فإن مصر أرض السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها من سبيل فاذهبوا عنها . ولم تكن هذه المدافع التي هدد محمد كريم بإطلاقها إلا أربعة مدافع قديمة عفا عليها الزمن ولعله ليس هناك ما يكشف عن العزلة والجهل بأحوال الدنيا وما تطورت إليه أكثر من هذه العبارة من أن مصر أرض السلطان . لقد كان محمد كريم لا يزال يعيش في الوهم القديم من أن مجرد ذكر اسم السلطان من شأنه أن يخلع القلوب من الرعب ... وعندما جاء نابليون أبدى محمد كريم ومن معه بعض المقاومة لكن الأسلحة الحديثة حسمت قصة احتلال الإسكندرية " (١)

واسمعوا أحمد عرابي وهو يتحدث عن احتلال الأسطول الإنجليزي للإسكندرية " انصبَّت نيران المدافع الإنجليزية على القلاع و الحصون والترسانة وسراي رأس التين وبالجملة على جميع أرجاء المدينة ولم تجاوبها مدافع القلاع – المصرية – إلا بعد أن أطلق الأسطول – الإنجليزي – نحو ٢٠ طلقة من مدافعه ، ثم استمر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع الإسكندرية بعد ذلك إلى منتصف النهار ثم أخذت الاستحكامات في التناقص والاضمحلال حتى تم تدميرها قبل الغروب . وحيث كانت استحكامات الإسكندرية قديمة كما هو معلوم وجميعها يبنى بالحجارة من مدة ٦٧ سنة أو ٧٠ سنة وقد باغتنا الإنجليز بالعدوان على غير استعداد منا وتأهب فقد كان تأثير شظايا الأحجار المتناثرة وضررها أكثر من تأثير مقذوفات العدو نفسها . ولم يكن بالإسكندرية من حاميات الحصون غير ٧٠٠ رجل فقط من رجال المدافع ... وكانت قذائف المدافع القديمة لا تصل إلى المراكب الإنجليزية ومدافع أرمسترونج – المصرية– لم يكن لها مساطر تعرف بها المسافات وحكم الإصابة بواسطتها " (٢)

ولماذا نذهب بعيدا فتاريخنا المعاصر مليء بالأحداث الشاهدة على ضعف الإيمان ، والتخلف ، والجهل ، والثقة الزائدة بالنفس إلى حد الغرور . فها هو الرئيس الملهم جمال عبد الناصر يطلق تصريحاته النارية بإلقاء إسرائيل في البحر ومن وراء إسرائيل – يعني أمريكا – بل ويعلن الحرب على إسرائيل بإغلاق مضيق

---

(١) محمد حسين " موسوعة تاريخ مصر " دار الشعب المجلد الثالث ص ٨٧٩
(٢) نفسه ص ١٠٩٨

تيران فماذا كانت استعداداته ليطلق هذه التصريحات العنترية ، ويتخذ هذه الإجراءات الصاعقة !.

سوف نعتمد على تصريحات كبار قادة الجيش المصري في ذلك الوقت الذين رأوا بأعينهم هذه المأساة التي دمرت العرب ومكنت لإسرائيل ، وضاعت فيها القدس ، وفلسطين ، وسيناء ، والضفة الغربية ، ومرتفعات الجولان والكرامة العربية .

يقول الفريق سعد الشاذلي :

" النكسة سنة ٦٧ الحقيقة كنا نستحقها لأن طبعا ماكناش يجوز إن إحنا ندخل معركة بهذا الشكل وهذه الهرجلة وهذه التعبئة الممجوجة إزاي ننتصر بعساكر يأتوا إلينا في سيناء لابسين جلاليب علشان يدخلوا الحرب دون أي تجهيز " (١)

ويقول الفريق أول عبد المحسن مرتجي :

" إن حالة القوات كانت في الحضيض والدفاعات بتاعتنا في سيناء ما كانتش مستكملة لأن فكرة الحرب ماكانتش موجودة في دماغ أحد ولا في ذهن الريس ... رئيس البلد ورئيس الجمهورية يعرف كل الحاجات دي عن القوات المسلحة ويعرف إن القائد بتاعه مش على كفاءة وهو قالها في كتاب " لعبة الأمم" مع كوبلاند قال له : أنا عارف إنه قائد القوات اللي موجود عندنا متخلف بالنسبة للحروب الحديثة .. طيب وبعدين قال له : إن الجيش ما يقدرش يصد شوية عصابات حيجي يحارب إسرائيل إزاي .. إذن كانت كل المعلومات دي موجودة عنده إزاي هو يتخذ الإجراءات اللي تخلي الحرب لابد أن تقع ... جئنا من اليمن تعبانين ده علاوة على الحالة الاقتصادية ما فيش بترول وما فيش بنزين وما نقدرش نعمل مناورات حتى لدرجة لما يقال لهم يا جماعة ده إحنا حنحارب إسرائيل .. رد محمد فوزي وقال لما نحارب إسرائيل يجيلك الفرج .. الكلام ده في مارس ٦٧ " (٢)

ويقول شمس بدران وزير الحربية آنذاك :

---

(١) طارق حبيب " ملفات ثورة يوليو " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٣١٦
(٢) نفسه ص ٣١٧

" كان عندنا قاذفات قنابل لكن قاذفات القنابل ما تقدرش تدافع عن نفسها وأن عندنا طائرات سوخي طيارة قاذفة مقاتلة بس كان مداها صغير جدا وحمولتها صغيرة بالنسبة إلى طائرات إسرائيل " (١)

أما الزعيم المهيب صدام حسين فقد هدد إسرائيل بالحرق بالأسلحة الكيماوية ، وعندما جاءته قوات التحالف بقيادة أمريكا صرح قبل الحرب بأن عنده أسلحة بإمكانها إبادة جيوش العالم كله والنتيجة معروفة .

وغرق العرب في بحر الرمال المتحركة والله وحده يعلم متى نفيق من كبوتنا ونتقي الله في أنفسنا وأمتنا ؟

ليست – إذن – هزائمنا ترجع لقوة العدو ، وإنما ترجع لضعف إيماننا ، وتخلفنا ، و تفرقنا ، وعدم أخذنا في أسباب القوة والتقدم والوحدة .

ما أشبه الليلة بالبارحة

والقارئ المدقق للتاريخ يجد أن الهزيمة تأتي من الداخل أولا وتكون الهزيمة الخارجية نتيجة لها انظر مثلا : لحال العرب والمسلمين " عشية الحروب الصليبية كان التمزق السياسي والتناحر العسكري مخيما على العالم العربي وفي ظل هذه الظروف نجح الصليبيون في زرع إماراتهم ومملكتهم . لقد انتصرت الحملة الصليبية الأولى وتم محو الإمارات العربية والإسلامية الصغيرة في بلاد الشام واحدة تلو الأخرى في طيات الموجة الصليبية .. لقد كانت هذه الكيانات – العربية– السياسية المتصارعة كلها متورطة تماما في الحروب والمنازعات على مدى قرن كامل قبل قدوم الصليبيين وعندما قدموا لم يكن لدى الحكام سوى ميراث من الشك والمرارة تجاه كل منهم للآخر ومن ثم مضت قوات الصليبيين كما تمضي السكين في الزبد .

وفي طيات الموجة الصليبية الأولى غرقت هذه الإمارة الصغيرة واحدة تلو الأخرى وكان سقوط مدينة نيقية في أيدي قوات الحصار المشتركة من الصليبيين

---

(١) نفسه ص ٣١٦

والبيزنطيين صدمة ونذير خطر لجميع القوى الإسلامية ، ولكن الأنانية وضيق النظر جعل تلك الصدمة ، وذلك النذير بلا فائدة " (١)

مع أن العرب في هذه الفترة كانوا هم الأقوى وكانوا هم الأكثر تقدما وتحضرا لكنها الفرقة قاتلها الله والطمع والحسد وحب الذات الملعونين في كل كتاب .

ليست هذه دعوة لليأس بل دعوة للأمل فهزيمتنا نحن المسئولون عنها في المقام الأول وأن إزالة أسباب الضعف في مقدورنا وعندما نستكمل أسباب قوتنا سيولي العدو الأدبار وإن هذا ليس من الأمور المستحيلة بل من الأمور الممكنة فقط لو كل إنسان راعى الله فيما يقوم به من عمل .

هل إسرائيل حقا أقوى من العرب ؟

إن أعداءنا ليسوا عمالقة بل نحن الذين صيّرنا أنفسنا أقزاما .

فبرغم أن الاستعمار الغربي كان متحالفا مع العصابات الصهيونية إلا أن العرب كان بمقدورهم إفشال مخططهم ودحر اليهود الصهاينة لكن الخيانة العربية كانت عاملا حاسما في هزيمة العرب " ولا ينسى التاريخ حقيقة الملك عبد الله الأول (ملك الأردن) الخاضع لأوامر الإنجليز ، المنفذ لسياسة الصهيونية ، المخادع للشعب العربي ، الخائن الأول في الحرب الفلسطينية سنة ١٩٤٨ ؛ فقد كان بإمكانه أن ينظف فلسطين من اعتداءات عصابات الصهاينة ، وخيانته واضحة في أكمل معانيها عندما تقدم الجيش المصري بالنقب وانتصر فأمر بِهَدْر ذخيرته بإيعاز من " جلوب " وعمل على إضاعة الوقت في قصف القدس وضواحيها ليخلق حجة مقبولة يتسلح بها مبررا عدم تمكنه من التقدم في الزحف بنفس ذخيرته ثم كان من اتصالاته السرية مع وايزمان وبن جوريون واستاء العقيد عبد الله التل الحاكم القدسي الأردني فاستقال ولجأ إلى القاهرة وقد أعلن أن خيانة الملك تعتبر الخيانة الدنيئة للقضية العربية ، وأصر الملك عبد الله الأول على التمسك بالقيادة للجيوش التي أصبحت في سنة ١٩٤٨ على أبواب تل أبيب فأمر بتقهقر الجيوش ليتنفس

---

(١) د. قاسم عبده قاسم " ماهية الحروب الصليبية " كتاب عالم المعرفة ص ٩٤ ، ٩٧

اليهود الصعداء وتُوَقّع الهدنة بينهم وبين العرب ، وتم ذلك بخيانته التي قبض ثمنها ضم الضفة الغربية الفلسطينية إلى مملكته بحركة تمثيلية برلمانية بعد أن أذاع أنه سيعلن ضم فلسطين العربية كلها إليه " (١)

ولولا خيانة ذوي الأغراض من الحكام ما حدثت مأساة فلسطين ولو أن الدول العربية جميعا حينذاك اتحدت وتكتلت وكونت وطنا عربيا كبيرا واتحادا فيدراليا يجمعها ويوحد صفوفها ومساعيها وقواتها بحيث تكون حكوماتها وشعوبها قلبا واحدا ورجلا واحدا وقوة واحدة لما ضاعت الفرصة ، وتمكن أولئك الصهاينة من طرد العرب في فلسطين من بينهم والاستيلاء على دورهم وما يملكون (٢)

ويقول السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا الذي كان في بؤرة أحداث حرب ٤٨

" أصر الملك عبد الله على أن تكون له قيادة الجيوش العربية ، فعارضت أكثرية الدول العربية في هذا ، ثم عاد بعضها فوافق تحت تأثير الضغط البريطاني الشديد ، وتسلم الجنرال " جلوب " القيادة الفعلية للجيوش العربية ووقعت كارثة فلسطين على الشكل المعروف ، وكنت بطبيعة الحال معارضا لهذه القيادة الغبية الشاذة خوفا من تسلم القيادة العسكرية الفعلية في حرب فلسطين إلى قائد إنجليزي ؛ ليقيني أن الاستعمار الإنجليزي هو الخصم الألد الذي كان أساس البلاء في هذه القضية وفي معظم القضايا العربية " (٣)

إن الضغط الاستعماري الأجنبي على الأقطار العربية أدى على وضع القيادة العسكرية الفعلية للجيوش العربية في يد الجنرال " جلوب " الإنجليزي الذي أدار دفة المعركة بما يوافق أهواء السياسة البريطانية الضالعة مع اليهود ، وبدّل الخطة العسكرية التي وضعها رؤساء أركان حرب الجيوش العربية – في معسكر الزرقاء – بالإجماع في أوائل مايو سنة ١٩٤٨ ، وسحب الجيش السوري المرابط على حدود المنطقة الشمالية من فلسطين بطريقة مكشوفة إلى جبهة سمخ حيث عرضه

---

(١) علي إمام عطية " الصهيونية العالمية وأرض الميعاد " دار الشعب الطبعة الأولى ص ١٧٤
(٢) نفسه ص ١٧٨ .
(٣) السيد محمد أمين الحسيني " حقائق عن قضية فلسطين " مرجع سابق ص ٧٦، ٧٧

لخسائر فادحة ، كما غرر بالجيش العراقي ووجهه إلى مهاجمة مستعمرة – جيشر – التي كانت قاعدة من قواعد خط أيدن الحصين الذي أنشأه الإنجليز خلال الحرب لمقاومة الزحف الألماني ، وعاق الجيش الأردني الذي كان معسكرا حول القدس عن الدفاع عنها بضعة أيام لإعطاء الفرصة لليهود لاحتلالها ، ولولا استبسال المجاهدين الفلسطينيين وسكان القدس في الذود عنها لوقعت كلها بيد اليهود ، وقد منع " جلوب " الجيوش العربية من القتال الفعلي ، كما سحب الجيش الأردني من الرملة و اللد ، بعد أن نزع أسلحة المجاهدين الفلسطينيين مما أدى إلى سقوط منطقة الرملة و اللد وغير ذلك ولدينا وثائق بتفصيلات هذه المؤامرة " (1)

إن استحكامات إسرائيل الضخمة المتمثلة في خط بارليف الحصين والساتر الترابي والمانع المائي وزراع الطيران الطويلة ، والمعدات الحديثة كل هذا لم يصمد أمام القوات المصرية ، وبعد ست ساعات فقط كان قد انهار وانهارت معه الإرادة الإسرائيلية .

لم تكن معداتنا في حرب العاشر من رمضان تختلف عن المعدات التي كانت معنا في هزيمة ٦٧ بل كانت أقل عشرات المرات كما صرح بهذا الرئيس السادات في كتابه البحث عن الذات .

" كنا نعلم أن تسليحنا كامل بلا شك وقد كان سلاحنا بالفعل حينذاك – قبل الخامس من يونيو ٦٧ – أقوى عشرات المرات من سلاحنا في أكتوبر ٧٣ " (2)

فماذا حدث إذن لتتحول الهزيمة الساحقة إلى نصر مؤزر ؟

إنه الإيمان الصادق ، والعمل جاد المخلص ، و إرادة النصر ، و التخطيط الجيد ، و التنفيذ المحكم ، وقبل كل هذا صيحة الله أكبر .

إن من أخرج إسرائيل من جنوب لبنان سنة ٢٠٠٠ ، وعجزت عن القضاء عليه سنة ٢٠٠٦ لم يكون قوى عظمى تمتلك أحدث الأسلحة ، وأقوى المعدات ، إنما

(1) نفسه ص ١٨١ ، ١٨٢

(٢) محمد أنو السادات " البحث عن الذات " ص ١٨٧ المكتب المصري الحديث ط الثانية .

كانت مقاومة وطنية مخلصة أعدت ما استطاعت من قوة مع العزيمة والصبر فكان النصر حليفها .

إن انتفاضة أطفال الحجارة التي انطلقت في ٨٧ و التي زلزلت أمن واستقرار إسرائيل ما كان مع القائمين بها أحدث الأسلحة ولا أقوى المعدات إنما كانوا فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى فكانت الحجارة في أيديهم أضر على أعدائهم من القنابل والصواريخ .

إن انتفاضة أطفال الحجارة ما قامت إلا على الإيمان بالله وإرادة النصر فكان من ثمارها أن تنازلت إسرائيل عن بعض الأرض المحتلة (غزة و أريحا) .

وفي ٢٣ أغسطس ٢٠٠٥ رحلت قوات الاحتلال بالفعل عن غزة وأخلى الإسرائيليون المستوطنات بأيديهم عنوة رغم إرادة المستوطنين الذين تشبثوا بها تشبثهم بالحياة يقول جل شأنه :

{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ }(الحشر : ١، ٢)

وليس معنى هذا ألا نستكمل قوتنا العسكرية ونعمل على تطويرها وتحديثها لكن قبل هذا نريد الإيمان الراسخ والعمل المثمر البناء والكف عن ترديد الشعارات الجوفاء .

أيها المسلمون اتقوا الله في أنفسكم واتقوا الله في دينكم واتقوا الله في أعمالكم واتقوا الله في أوطانكم حتى تكونوا أهلا للنصر .

إن اليهود ليسوا أبدا بهذه القوة التي يصورها لنا بعض الكتاب المسلمين ، ونحن لسنا أبدا بهذا الضعف .

إن الحقيقة التاريخية الواقعية و المشاهدة هي أن اليهود من أجبن شعوب الأرض ومن أضعف الناس وأن أي مقاومة تأثر فيهم وتقض مضاجعهم . والانتفاضة

الفلسطينية خير شاهد على ذلك فقد أجبرت اليهود على التنازل عن بعض الأراضي الفلسطينية المحتلة وأن " استمرار الانتفاضة -كما يقول بعض المحللين العسكريين- هو إجهاض لإسرائيل لأن استدعاء القوة العسكرية يتطلب استدعاء إسرائيل لـــ ١١,٥% من القوة العاملة. " (١)

وإن المقاومة اللبنانية قد زعزعت الأمن الإسرائيلي وأظهرت عجز قواته ، وأن حرب العاشر من رمضان قد كادت أن تقضي على اليهود لولا الجسر الجوي الأمريكي .ولولا الدعم العسكري الأمريكي بأقمار صناعية، و بأسلحة جديدة لصارت إسرائيل أثرا بعد عين إذن هذا يعطينا مؤشرا مهما أن إسرائيل غير قادرة على حماية نفسها وأنها تحتاج دائما إلى من تحتمي به وإذا كانت أمريكا هي التي تحمي إسرائيل وتضمن لها أمنها من أجل دفاع إسرائيل عن مصالحها فإنه ببعض المقاومة الصادقة لإسرائيل وتهديد المصالح الأمريكية في الشرق – إذا استمرت أمريكا في دعمها لإسرائيل – من شأنه أن يغير الأوضاع ويقلب الموازين .

والحقيقة أن اليهود ليسوا إلا جماعة وظيفية استعملها الصليبيون الجدد لتحقيق أهداف استعمارية معتمدين على ضعف العرب ، وتخلفهم ، وتفرق كلمتهم وصدق رسول الله ﷺ القائل :

"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: "بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ (ما يحمله السيل من وسخ) كغثاء السيل، ولينزعنَّ اللّه من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ اللّه في قلوبكم الوهن" فقال قائل: يارسول اللّه، وما الوهن؟ قال: "حبُّ الدنيا وكراهية الموت".(حديث صحيح أخرجه أبو داود و البيهقي)

فحب الدنيا وكراهية الموت هو العدو الحقيقي الذي هزمنا وبدلا من البالغة في وصف قوة عدونا نطهر نفوسنا ونعد ما نستطيع من قوة { وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (النساء : ١٠٤)

---

(١) حوار مع د. عبد الوهاب المسيري . قناة الجزيرة .

إن تربص أعداء العرب والمسلمين بهم الدوائر ليس فقط هو السبب فيما صرنا إليه لكن تقاعس العرب أنفسهم عن نصرة دينهم وحماية حقوقهم ، وميلهم لممالأة أعدائهم بدلا من الاتحاد والتعاون مع بني جنسهم هو السبب الحقيقي لما نحن فيه من زل وهوان ، يشهد بهذا من رأى بعينه ضياع فلسطين وقيام إسرائيل .

" إن ما أخضع فلسطين للقوة اليهودية الغاشمة ، وما جعلنا نخسر فلسطين ليس فقط قوة الباطل الصهيوني ، وعبقرية السلام الغربي ، وحسن تنظيم العدو اليهودي بل أيضا وأساساً بسبب تخلفنا نحن ، وبسبب الفوضى القومية والوطنية التي نتخبط بها ، وبسبب الجهل الكامل لتاريخنا أولا وللنظام والانضباط ثانيا ، وبسبب الأنانية التي كان زعماؤنا ولا يزالون يتخبطون بها " (١)

ولا ريب أن لكل بلد عربي مشكلاتِه الخاصةَ التي تطفو على السطح، وتتقدم على فلسطين في قائمة اهتماماته، ولكن النظرةَ الفاحصةَ تَكشِف عن أن جميع ما تواجهه الأوطان العربية من مشكلات ناشئ عن مشكلة فلسطين أساسًا، فالتشاغل بالقضايا المحلّية عنها، هو في أدنى حالاته سذاجة وغفلة، وهو في أعدل حالاته تآمُر وخيانة، ولا شيء فوق هذا سوى الانتحار المادي، بعد الانتحار الخيَاني الأخلاقي .. ومن الخطأ أن يتَصَوَّر أحدٌ أن الشعب الفلسطيني هو المُستَهْدَف وحده من هذه الغارة الاستيطانية على فلسطين؛ لأن فلسطين لا تمثّل في الواقع سوى موطئ قدَم للزحف القادم على ما حولها من بلاد الإسلام، على امتداد الهلال الخصيب، منَ الفرات إلى النيل .. أن كل ما وقع من أحداث الغزو الصهيوني لفلسطين وما حولها كان من عناصر الحُلم الكبير، الذي راوَد خيال مُؤسّس الحركة الصهيونية، تيودور هرتزل خلال التسعينيات من القرن التاسع عشر، وما زالت بقية عناصر الحُلم تَنتَظِر أن تُوضَع مَوْضِع التنفيذ، ولا سيما مشروع قناة تَصِل البحر الأبيض بالبحر الميت، لتوليد الطاقة الكهربية من مساقطه، وإغراق شرقي الأردن، وربما كان من عناصره ــ أيضًا ــ شق قناة بين البحر الأبيض وميناء إيلات، تنافِس قناة السويس، وتنْهي أهميتها، تمهيدًا لتخريب اقتصاد مصر،

---

(١) فيصل أبو خضرا " تاريخ المسالة الفلسطينية . الأزمة والحل " مرجع سابق ص ٧

والإجهاز عليها، واقتطاع أجزاء لازمة من جَسَدِها لترقيع الكيان الصهيوني، وليست سيناء إلا جزءًا من حُلْم هرتزل الكبير.

أما لبنان وسوريةِ والأردن والعراق فأمرُها أهونُ بكثير، وفي جُعْبة الصهيونية ومَن يُساندها من القوَى الغربية العديد من المشروعات التقسيميةِ؛ لإعادة توزيع المنطقة سياسيًّا وطائفيًّا، وإيجاد كيانات يحكُمها ملوك طوائف، تُمكِّن إسرائيل من التهام ما تُريد من جسد الوطن العربي.

وأما الجزيرة العربية فليست بعيدةً عن مُتَناول هذا الأخطبوط؛ فإن بينها وبين الدولة الإسرائيلية حدودًا مشتركة في البحر، وهي في الوقت ذاته مدخل إلى الخليج الذي تتقاسَمه ــ أيضًا ــ دُوَيْلات، ولكن الأمر يحتاج إلى ترتيب على مراحل مُتَقارِبة أو مُتَباعدة.

باختصار: إن التخطيط يمضي إلى أوضاع يَعْجَز تَصَوُّر القادة في العالَم العربي والإسلامي الآن عن استيعابها، وهم غارِقون في بِحار التآمُر والدم، عاجزون عن حل مشكلاتهم اليومية والجزئية، كما أن بعضهم لا يَثْبُت في موقعه من السلطة إلا بقَدْر ما يُقدّم للعدو من خِدْمات، وما يَرْتكِب في حقّ الإسلام وفلسطين من خيّانات (1)

هذا حال حكام العرب وحال شعوبهم وحال كثير من كتابهم لذا فإن تحقُق المخطط الصهيوني حتى الآن كان جزاء وفاقا للعرب المسلمين الذي ضيعوا دينهم ودنياهم فأنى ينصرون ؟!

لأن الله تعالى اشترط لنصرة المسلمين أن ينصروه . فهل حقا نصرناه ؟

هل أدى كل منا واجبه نحو الله بالعبادة ونحو عباد الله بالعمل الصالح ونحو دنياهم بتعميرها ونحو الكون باكتشاف سننه و تطبيق علومه كما فعل الغرب بل كما فعلت إسرائيل ؟

لقد هُزِمْنا في معركتنا مع أنفسنا ، وهُزِمْنا في جهادنا مع العلم و التقدم ، وفي النهاية جلسنا نتباكى كالنساء ونرجو من الله النصر ، وأن يعجّل لنا بالمسيح المنتظر ؛ ليخلصنا مما نحن فيه من ذل وهوان .

---

(1) د. عبد الصبور شاهين مقدمة كتابة " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

إن هذا المشهد العربي الضعيف المتخاذل الباكي المُبْكِي ليذكرني بمشهد سقوط غرناطة آخر معاقل العرب في الأندلس و طرد العرب منها .

" وقف أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة بعد انكساره أمام جيوش الملك فرديناند والملكة إيزابلا على شاطئ الخليج الرومي (البحر المتوسط) تحت ذيل جبل طارق قبل نزوله إلى السفينة المعدة لحمله إلى أفريقيا ، وقف حوله نساؤه وأولاده ، وعظماء قومه من بني الأحمر . فألقى على ملكه الذاهب نظرة طويلة لم يسترجعها إلا مبللة بالدمع ، ثم أدنى رداءه من وجهه وأنشأ يبكي بكاء مرا وينشج نشيجا محزنا حتى بكى من حوله لبكائه ، وأصبح شاطئ البحر كأنه مناحة قائمة تتردَّد فيها الزفرات ، ويسبق العبرات ، فإنه لواقف موقفه هذا وقد ذهل عن نفسه وموقفه إذ أحس هاتفا يهتف باسمه ، بصوت كأنما ينحدر إليه من علياء السماء ، فرفع رأسه فإذا بشيخ ناسك متكئ على عصاه واقف على باب مغارة من مغارات الجبل المشرف عليه ينظر إليه ويقول :

" نعم ، لك أن تبكي أيها الملك الساقط على ملكك بكاء النساء ، فإنك لم تحتفظ به احتفاظ الرجال " (1)

نعم لكم أن تبكوا أيها المسلمون على ملككم بكاء النساء لأنكم لم تحتفظوا به احتفاظ الرجال .

ترى لو نزل المهدي والمسيح فمن سيحارب معهما وبأي سلاح سيحاربون بالسيف أم بالحجارة ؟!

" ومن قبل تساءل المسلمون الذين انهزموا في معركة «أحد» عن سبب هزيمتهم غير المتوقعة تلك، فأجابتهم كلمات الله :

{ أولـمَّا أصابتكم مصيبةٌ قد أصبتم مثلَيْها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم } (آل عمران : ١٦٥)

والمفاتيح عندنا أولاً وأخيراً، فإن لم نصل إلى اليوم الذي نبني فيه مختبراتنا ونشغّلها بعقولنا، ونصنع سلاحنا ونستخدمه بأيدينا.. إن لم نعد تشكيل عقولنا لكي تعمل كما أراد لها الإسلام أن تعمل، فلن تكون لنا خارطة أو مكان في هذا العالم،

---

(1) مصطفى لطفي المنفلوطي " العبرات " ص ٥٧ مكتبة مصر

ولن يكون بمقدور ألف سنة أخرى من الاتكالية وصور التعبّد والذكر القائمة أن تصنع المعجزة !!!

ذلك هو التحدّي الحقيقي الذي يقف قبالتنا صباح مساء..

وهذا هو طريق الاستجابة المرسوم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ " [1]

مقومات النصر

جعل الله تعالى للفوز بالدنيا مقومات ، وللفوز بالآخرة مقومات " يجب أن نعرف أن الله أوجب على الإنسان تعمير الكون كما أوجب عليه عبادته جل وعلا ، وأن الغرب قد أخذ فى أسباب العلم فى تعمير الكون والاستفادة منه فأعطاه الله نصيبه فى الدنيا من تقدم مادى وعلمى وظهور على سائر الأمم المتخلفة التى لم تأخذ فى أسباب العلم والحضارة لكن لا نصيب لهؤلاء فى الآخرة لأن أكثرهم لم يقوموا بمهمة الإنسان الأولى وهى عبادة الله وطاعته ، أما المسلمون فأكثرهم تظاهروا بعبادة الله – شكلا – بأداء بعض العبادات كالصوم والصلاة دون أن تثمر فيهم هذه العبادات حسن الخلق و لا حسن العمل ، فصلوا لكن صلاتهم لم تنههم عن الفحشاء والمنكر فكأنهم لم يصلوا ، وصاموا عن الطعام والشراب و أفطروا على المعاصى والآثام فكأنهم لم يصوموا ، وأهملوا– أو كادوا– مهمة الإنسان الثانية فى هذه الحياة وهى تعمير الكون فتخلفوا حضاريا ، فإذا كان أكثر الغربيين قد أهملوا الدين فشقوا فى الدنيا ولم يعرفوا للسعادة ولا الطمأنينة طعما وليس لهم فى الآخرة من نصيب فقد أهمل أكثر المسلمين الدنيا فتخلفنا فى الدنيا ولم نعرف للتقدم ولا للرقى طريقا وليس لأكثرنا فى الدنيا ولا فى الآخرة من نصيب – إلا من رحم ربى – لأنه لا يدخل الجنة إلا من آمن وعمل الصالحات ومن الأعمال الصالحات تعمير الكون .

تأمل معى هذه الآيات المباركات .

{ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم

[1] عماد الدين خليل مقال بعنوان " نحو حضور إسلامي فاعل في العالم "

مَّشْكُورًا كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً }
(الإسراء : ١٨-٢١) .

والآيات شديدة الوضوح فمن يعمل للدنيا فقط يعطيه الله تعالى الدنيا ويصليه في الآخرة جهنم ، ومن يريد الآخرة لابد له من أمرين : إيمان خالص بالله تعالى لا يشوبه شرك ولا رياء و لا سمعه ، وسعي وعمل الأعمال الصالحة التي " لا تقتصر على الشعائر التعبدية المعروفة من صلاة وزكاة وصيام وحج ، بل تشمل كل حركة وكل عمل ترتقي به الحياة ويسعد به الناس .. وكل عمل نافع يقوم به المسلم ، لخدمة المجتمع ، أو مساعدة أفراده .. "[1] .

يقول الله تعالى في سورة الشورى :

{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ } (الشورى : ٢٠)

و يقول تعالى { هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا } (هود : ٦١)

أي خلقكم من تراب هذه الأرض وأمركم بتعميرها فدخول الألف والسين والتاء على الفعل تدل على طلب القيام بالفعل كما يقول علماء اللغة فـ " استسقى " فلانا : أي طلب منه السقي ، و" استطعمه " أي : طلب منه أن يطعمه ، و" استعمره " في الأرض : أي طلب منه تعميرها وإصلاحها .

ويقول عبد الله بن عمر : " واحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا "

ويضرب الله تعالى المثل بذي القرنين (الإسكندر الأكبر على الراجح من أقوال المؤرخين المعاصرين) ذالك القائد المؤمن – وقيل أنه نبي – الذي جمع بين الصلاح والإصلاح ، يذكر الله تعالى لنا قصته لتكون مثالا لكل من يريد ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول تعالى :

---

[1] د. يوسف القرضاوي " الخصائص العامة للإسلام " مكتبة وهبة ص١٠٥ ، ١٠٦ بتصرف .

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا) (الكهف : ٨٣- ٨٥)

يبين الله تعالى بجلاء ووضوح لا يقبلان الشك ولا الجدال سر قوة وتمكين ذى القرنين فى الأرض وهو أخذه فى أسباب العلم والحضارة والتقدم والرقى .

{وآتيناه من كل شيء سببا}، قال ابن عباس: يعني علماً (وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسُّدى وقتادة والضحّاك وغيرهم) .

لقد أعطى الله تعالى ذا القرنين العلم فأخذ فى أسبابه وأخذ العلم عن علماء كل بلد فتحها بعد أن تعلم لغاتهم " كان لا يعرف قوما إلا كلمهم بلسانهم " [١] وبالعلم والإيمان ملك ذو القرنين الأرض .

سئل النبى عن ذى القرنين فقال: (ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب)[٢] .

ويؤكد القرآن أخذ ذى القرنين بأسباب العلم ثلاث مرات { فَأَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف : ٨٥) { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف : ٨٩) { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف : ٩٢) .

إذن التمكين في الأرض لا يكون إلا بالأخذ في أسباب العلم الكونى : فيزياء وكيمياء وفلك ورياضيات وهندسة وراثية وعلوم تكنولوجية و .. و فى أسباب الحضارة من : نظام وتعاون وإخلاص ونظافة .. فإذا أراد الإنسان الجمع بين سعادة الدارين فعليه أن يضيف إلى إصلاح الدنيا صحة الإيمان بالله بل عليه أولا أن يؤمن بالله تعالى ويؤدي ما فترضه عليه وينتهي عما نهاه عنه ثم يقرن هذا الإيمان بالعمل الصالح في الدنيا فإن فعل ذلك فقد استحق وعد الله بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين له وإبداله من بعد خوفه أمنا ." [١]

فالفوز بالدنيا أو بالآخرة أو بكليهما ليس من قبيل أماني العاجز الخمول الذي لا يشفع أمانيه بالسعي والجهاد ، أو أماني أتباع الأديان السماوية الذين يطلبون من الله النصر والفلاح في حين أنهم لم ينصروا الله ، ولم يسلكوا إلا طريق الفساد .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن زيد رضي الله عنه في قوله: {وآتيناه من كل شيء سببا}.

(٢) هذا الحديث ذكره القرطبي في تفسيره وكذلك السيوطي عن ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة، عن خالد بن معدان الكلاعي) .

(١) ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللاأصولية للمؤلف ص ٤٤ مكتبة مدبولي .

" لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً {١٢٣} وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً {١٢٤} وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً {١٢٥} (النساء : ١٢٣- ١٢٥)

عن ابن عباس قال: قال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب أنزل قبل كتابكم، ونبينا خير الأنبياء. وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال أهل الإسلام: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم النبيين، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا، فقضى الله بينهم فقال {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به} وخير بين أهل الأديان فقال (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه) (النساء الآية ١٢٥) الآية

وعن ابن عمر قال: سمعت أبا بكر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يعمل سوءا يجز به في الدينا "

أي ليس لكم – أيها المسلمون – ولا لهم – أهل الكتاب – النجاة بمجرد التمني ؟ بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على ألسنة الرسل الكرام ، ولهذا قال بعده : {من يعمل سوءاً يجز به} .

علامات في طريق النهضة العربية الشاملة

يجب علينا في البداية التفرقة بين دور البلاد الواقعة تحت الاحتلال والبلاد العربية الحرة الأخرى ففي حين أن الأولى يجب عليها مقاومة الاحتلال بكافة الأشكال المشروعة وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنه فإن على بقية الدول الأخرى العمل على إتباع الآتي :

١- أن تدَع الحكومات العربية خلافاتها جانبا وتعمل على توحيد الصف العربي ، و رأب الصدع .

٢- أن تعمل الحكومات العربية على إقامة تحالف عربي يضطلع بتوحيد العرب : سياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ، وإعلاميا على غرار أعمق وأقوى من الاتحاد الأوربي لتقف أمام القوى الاستعمارية .

٣- أن تعمل على تحديث الجيوش العربية وتدريب قياداتها وجنودها على أساليب الحرب الحديثة

٤- أن تعمل على قيام سوق عربية شتركة تقف في وجه الغـزو الاقتـصادي الغربي ، واتفاقية الجات وتمهد لقيام تحالف عسكري مشترك .

٥- أن تعمل على الاستفادة من الثروات العربية في خدمة البلاد العربية وحرمان القوى الاستعمارية منها .

٦- أن تعمل على مقاطعة كل المنتجات الأمريكية الإنجليزية اليهودية الصهيونية خاصة ما كان منها من سلع استهلاكية والعمل على إيجاد بدائل عربية لها إن كانت من الضروريات والاستغناء عنها إن كانت من الكماليات .

٧- أن تعمل على إحداث ثورة تكنولوجية في كل المجالات وفي كافـة الـبلاد العربية ...

٨- على العرب والمسلمين الذين يعيشون في البلاد الأجنبية وخاصة أمريكا وقد بلغوا في أمريكا وحدها أكثر من عشرة ملايين أن يكوّنوا لوبي إسلامي منـاهض للوبي اليهودي الذي يقلّ عنهم في العدد .

٩- العمل على إقامة حياة اجتماعية سليمة أساسها تكافؤ الفرص ، والإعلاء من قيمة العمل ، والإخلاص ، والإتقان ، والقيم الإيجابية ، و محاربـة الانتهازيـة ، والإهمال ، والأنانية ، الاتكالية ...

١٠- أن تحتكر البلاد العربية بترولها : تنقيبـا ، و اسـتخراجا ، وتـصنيعا ، وتصديرا ، وتنحي كل القوى الاستعمارية التي تعمل في مجاله ، وتجعله خالـصا للعرب من دون المستعمرين .

١١- التحرك الدبلوماسي على كافة الأصعدة لكسب أكبر عدد مـن دول العـالم وإقناعها بقضايانا العادلة والتعاون معها في الوقوف أمـام القـوى الاسـتعمارية الغاشمة .

١٢- مد جسور التعاون الحضاري الثقافي مع البلاد الكاثوليكية الأوروبية لمناهضة البروتستانتية الصهيونية الاستعمارية أعداء المسيحية الحقة قبل أن يكونوا أعداء للإسلام .

١٣- كشف كل المخططات الصهيونية ، وترجمة كل الكتب المؤيدة للحقوق العربية والفاضحة للمخططات الصهيونية الأمريكية البريطانية .

١٤- الإعلام يقوم أولا بالكف عن المفاسد التي يبثها ليل نهار والتي تدمر شبابنا ، والعمل على ربط الشعوب العربية بقضايا الوطن العربي وتبصيرهم بالأخطار المحدقة بهم ، كل ذلك عن طريق خطط إعلامية مدروسة تتكاتف في تنفيذها جميع وسائل الإعلام بحيث تصب جميع هذه الوسائل في نهر واحد .

١٥- فتح أبواب الإعلام بكل وسائله لعلماء الدين أصحاب الفكر المستنير والرؤية العصرية للدين والمهمومين بقضايا الوطن .

١٦- بث روح الأمل في نفوس الشعوب والشباب خاصة أن النصر على الأعداء ليس بالأماني البعيدة إنما في الإمكان بشرط الأخذ في أسباب النصر .

١٧- على كل المسئولين : كبارا وصغارا إعطاء القدوة الحسنة للشباب في العمل الجاد والسلوك القويم وتقديم مصلحة الوطن على المصالح الشخصية .

١٨- تشكيل حملات واسعة من كبار المثقفين لتصحيح الفكرة الخاطئة عن الإسلام في الخارج والداخل.

١٩- الاهتمام بالطفولة بحسن تعليمها أحدث العلوم بأحدث الوسائل التعليمية مع تقوية إيمانها بالله تعالى و بواجبها نحو وطنها .

٢٠- إعطاء الفرصة للشباب الواعي المثقف المستنير للقيادة بعد غرس القيم الدينية والوطنية فيه فهو الأقدر على استيعاب الوسائل التكنولوجية الحديثة وعلى مسايرة العصر .

٢١- سن قوانين صارمة على هذه الجرائم : الغش ، و والإهمال ، و الرشوة ، والمحسوبية .....، وتشجيع المخلصين المتفانين في خدمة الوطن .

ليس المسئول عن تنفيذ هذا البرنامج هم الرؤساء فقط كما يحب كثير من النـــاس إلقاء كل تهم التقصير على الحكام وربما يكنون هم المتسببون في كثير منها

إنما المسئول عن تنفيذ هذا البرنامج جميع الناس كل في مجال تخصصه ، وكل حسب جهده وعلمه ، وليعلم كل إنسان إنه محاسب على عمله هذا أمام الله تعـــالى أولا وأخيرا كما أخبر بذلك رسول الله .

" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: فالإمام راع وهو مسئول عــن رعيتـــه، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجـــل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتـــه " (متفق عليه)

وليعلم كل إنسان أن الله تعالى حتما سائله عن المسئولية التي كان مكلفا بأدائها ، ولا يحتقرن أحد معروفا مهما كان صغيرا فلا يقول :

إذا أنا لم ألق القمامة في الشارع هل يخرج الأمريكان من العراق واليهـــود مـــن فلسطين ؟

إنما يقول إذا لم ألق القمامة في طريق الناس فهذه شعبة من شعب الإيمان يجـــب أن أتمسك بها وأن أسعى لاستكمال بقية الشعب .

" الإيمان بضع وسبعون بابا فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" (رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة) .

فكل مسلم بل كل عربي عليه أن يعمل ما يستطيع ولا يكتفـــي بـــدور المـــشاهد لمسرحية مأساوية يذرف عليها الدموع دون أن يحرك ساكنا .

" على كل مسلم صدقة، فإن لم يجد فيعمل بيده فينفع نفسه ويتـــصدق، فـــإن لـــم يستطع فيعين ذا الحاجة الملهوف، فإن لم يفعل فيأمر بالخير، فإن لم يفعل فيمـــسك عن الشر فإنه له صدقة" (متفق عليه) .

إن مما ابتلينا به في عصور تخلفنا أمور ثلاثة :

١- رمي الآخرين بالخطأ والتقصير .

٢- التماس الأعذار لأخطائنا وتقصيرنا .

٣- احتقارنا لبعض صور المعروف ..

مع أن النبي ﷺ يعلمنا ألا نحتقر أي عمل نافع مهما كان صغيرا .

" تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " (رواه مسلم)

فلن نتقدم ولن نهزم أعداءنا إن أهملنا أعمالنا - مهما كانت صغيرة - واكتفينا بإلقاء التهم على أمريكا وإسرائيل وحكام العرب إننا نهزم أعداءنا بطريق معروف ومضمون وهو أن يؤدي كل إنسان عمله بإخلاص جاعلا الله عليه رقيبا .

أ هذا شيء صعب يا أمة الإسلام والعروبة ؟!

* هل من الصعب أن يهتم الفلاح بزراعة أرضه بدلا من هجرها والسفر إلى المدن الكبرى أو البلاد العربية والأجنبية بحثا وراء التليفزيون الملون ، والدش ، والتليفون المحمول ، ماكينة غسل الأطباق ؟!

* هل من الصعب أن يكون همّ طالب العلم ، البحث والتجريب ، والابتكار والاختراع ، ولا يكون غايته فقط دخول كلية من كليات القمة حتى وإن كانت لا تتناسب مع قدراته وميوله ؟!

* هل من الصعب على كل خريج أن يبحث عن العمل النافع لبلدة وإن كان شاقا ، وبمرتب معقول بدلا من أن يكون همه أن يعمل في مركز مرموق ويتقاضى مرتبا ضخما بصرف النظر عن أهمية العمل الذي يؤديه وفائدته للمجتمع وكيفية الحصول عليه ؟!

* هل من الصعب على الشاب أن يبدأ سلم العمل من أوله ، و يكافح ويتعب حتى يحقق ما يتمنى لدينه و بلده ونفسه بدلا من رغبته في أن يبدأ من حيث انتهى إليه الآخرون ماديا ، وينتهي من حيث بدأ الآخرون علميا ؟!

* هل من الصعب أن يفكر رجل الأعمال في مصلحة الوطن فيما يقوم به من أعمال وان درّت عليه رزقا أقل ؟ بدلا من إنتاج سلع استهلاكية عديمة الجدوى بل مضرة في غالب الأحيان لأنها تدر عليه ربحا أكثر ؟!

* هل من الصعب أن يؤدي الموظف عمله مراعيا الله فيه لا مراعيا ما يقدم إليه من رشوة أو واسطة أو مصلحة ؟!

* هل من الصعب على كل مسئول أن يفكر كيف يخدم وطنه من خلال عمله لا كيف يتربح من وراء عمله ؟!

* هل من الصعب أن يقوم العامل بعمله مرضاة لله وخدمة لأبناء وطنه بإخلاص ونشاط دون كسل أو إهمال ؟!

* هل من الصعب أن الأب يرعى أولاده ويحسن تنشئتهم على الفضيلة والخلق القويم وعلى الخوف من الله بدلا من تركهم لوسائل الإعلام تعلمهم كيف يكونون مواطنين مستهلكين لا منتجين ، وكيف يأخذون ولا يعطون ، وكيف يكسبون المال الكثير بالجهد القليل ، وكيف تكون أحلامهم الشقة الفاخرة ، والعذراء الساحرة ، والسيارة الفارهة ؟!

* هل من الصعب أن تكون الأم مدرسة لتربية الأطفال وأن يكون هذا هو جهادها الأكبر الذي يتضاءل أمامه أي عمل آخر بدلا من أن تكون عمالة زائدة في عملها خارج البيت نظير جنيهات تنفق معظمها على هيئتها ولوازم خروجها مضحية بأبنائها من أجل شعورها أنها مثل الرجل ، وأن الرجل لا يفضلها بشيء كأن عمل الرجل خارج البيت فضيلة وتربيتها لأولادها رذيلة وليذهب الأطفال إلى الحضانة وهم أبناء ثلاثة شهور أو ليعهد بهم لمربية ، أو ليذهبوا هم وأبيهم للجحيم المهم أن تخرج هي للعمل ؟!

* هل من الصعب على كل مواطن أن يقاطع كل المنتجات الأمريكية الإنجليزية اليهودية ، وأن يشجع منتجات بلده – وإن كانت أقل جودة – خدمة لاقتصاد بلده ومحاربة للمحتلين ؟!

* هل من الصعب على كل فنان أن يشارك بفنه في خدمة وطنه بنشر الفـضائل ومحاربة الرذائل ، بدلا من أن يكون مِعولا من معاول هدم القيم وتخريب العقـول وإفساد الذوق ؟!

* هل من الصعب على الإعلام العربي المسلم أن يكون إعلاما عربيا مسلما حقا ، بدلا من كونه إعلاما غربيا فاجرا ؟!

هل هذه الأمور من الصعب تحقيقها إن كانت صعبة التحقيق فأنا أبشركم بضياع مزيد من الأرض وانتهاك مزيد من الكرامة .

وإن لم تكن صعبة فلم لا ينفذها الكثيرون منا ؟!

لماذا نحسن الكلام في أي موضوع ولا نحسن العمل فيما نكلف به ؟!

يا أمة العرب بدلا من أن تلعنوا الظلام أضيئوا شمعة في طريق مصلحتكم .

يا أمة الإسلام أفيقوا فالطوفان الأمريكي قادم فلا تكونوا كغثاء السيل بل كنوا جبالا تقف في وجهه .

***

كتب للمؤلف

(أ) كتب مطبوعة

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي .

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي . دار الإبداع للصحافة والنشر .

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار الإبداع للصحافة والنشر .

٤- هذه استراتيجيتهم ، فماذا نحن فاعلون ؟ دار الإبداع للصحافة والنشر .

٥- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن. دار الإبداع للصحافة والنشر

٦- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة.دار الإبداع للصحافة والنشر

٧- من أحلام الشباب (قصص قصيرة) دار الإبداع للصحافة والنشر .

٨- زمن الطغيان (قصص قصيرة) دار الإبداع للصحافة والنشر .

٩- ابن السلطان يبحث عن سمير (قصص قصيرة) دار الإبداع للصحافة والنشر .

(ب) كتب تحت الطبع

* سلسلة نحو فهم صحيح لحقيقة الصراع العربي الصهيوني

١- الدين والسياسة والنبوءة .

٢- حقيقة اليهود وأوهام العرب .

٣- الطبيعة العربية والصهيونية ، الزعامات المزعومة والسياسات المدروسة

٤- دروس سياسية من التجربة الناصرية .

٥- معجزة إسرائيلية أم خيبة عربية .

٦- الخلاص الإلهي في آخر الزمان في اليهودية والمسيحية والإسلام .

* رؤية إسلامية للحضارة المصرية القديمة .

- يؤمن المؤلف بأنه لن يُجدِّد شباب الأمة العربية والإسلامية إلا الإيمان الصادق ، والفكر المستنير ، والعمل المخلص ، وفقه الواقع ، وأنه ليس أضر عليها من النفاق ، وجمود الفكر ، والتواكل ، والجهل بالواقع .

التليفون المحمول : ٠١٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness١١٢@hotmail.com

•••

الموضـــــــــــــــــــــوع	الصفحة

الفصل الثالث : الرد على أسطورة شعب الله المختار

الفصل الرابع : الرد على أسطورة قَصْر السامية علي اليهود وحدهم

الفصل الخامس : الرد على أسطورة عداء الأغيار لليهود

الفصل السادس : أشهر المذابح اليهودية

الفصل السابع : الرد على أسطورة الخلاص في آخر الزمان

الفصل الثامن : نوستراداموس وتنبؤاته

الفصل التاسع : علاقة الغرب باليهود

الفصل العاشر : حقيقة السياسة الأمريكية

الفصل الحادي عشر : موقف مسيحيي العرب من مخطط الصليبيين الجدد

الفصل الثاني عشر : العرب ومخطط الصليبيين الجدد

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة :

- ما النصوص الدينية التي بنى عليها اليهود معتقداتهم ؟
- ما علاقة هذه المعتقدات بما يجري الآن على أرض فلسطين ؟
- ما الصهيونية ؟ ومن أنشاها ؟ ومتى ؟ وما أهم أهدافها ؟
- لماذا تقف أمريكا وراء إسرائيل ؟
- هل السياسة الأمريكية سياسة دينية أم علمانية ؟
- ما حقيقة الهرمجدون؟ وهل لها علاقة بحرب الخليج ؟
- من هو المسيح المنتظر عند اليهود والمسيحيين والمسلمين ؟
- ما أهم سمات الشعب الأمريكي ؟
- ماذا حدث للشعب الأمريكي بعد ١١ سبتمبر ؟
- من هو نوستراداموس ؟ وما حقيقة تنبؤاته ؟
- ما موقف المسيحيين العرب من الصهيونية ؟
- ما موقف الحكومات العربية من الصهيونية ؟
- ما الحلول المقترحة للخروج من المأزق العربي ؟

